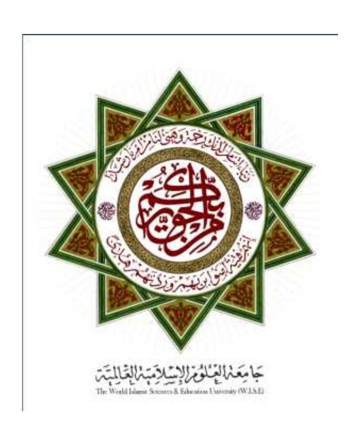


بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المملكة الأردنية الهاشمية

جامعة العلوم الإسلامية العالمية

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم العقيدة والفلسفة الإسلامية

عقيدة البنوة عند أهل الكتاب جذورها وآثارها وموقف الإسلام منها

The Sonship Belief of The people of The book & Its Roots and Effects and The Islamic View Towards It.

إعداد الطالب: عبد الرحمن أحمد كايد الصمادي

إشراف الأستاذ الدكتور: محمد حسن مهدي

قدمت هذه الرسالة استكمالا للحصول على درجة الدكتوراة في العقيدة الإسلامية في كلية الدعوة وأصول الدين في جامعة العلوم الإسلامية العالمية

1431هـ- 2010م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عقيدة البـــنوة عند أهل الكتاب جذورها وآثارها وموقف الإسلام منها

The Sonship Belief of The people of The Book & Its Roots and Effects and The Islamic View Towards It.

إعداد

عبدالرحمن احمد كايد الصمادي

إشراف

الأستاذ الدكتور

محمد حسن مهدي

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
1. أ.د. محمد حسن مهدي	رئيسا ومشرفا	....
2. أ.د.عزمي طه السيد	مناقشا	....
3. أ.د.حبيب الله حسن احمد	مناقشا	....
4. د. محمد صلاح عبده	مناقشا	....
5. د.بهجت عبدالرزاق الحباشنة	مناقشا	....

قدمت هذه الرسالة استكمالا للحصول على درجة الدكتوراة في العقيدة الإسلامية في كلية الدعوة وأصول الدين في جامعة العلوم الإسلامية العالمية

1431هـ- 2010م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الإهداء

إلى من أدرك قيمة العلم رغم فواته إياه، فحاول إدراك ما فاته في ذريته، فلم تمنعه قلة ذات اليد من ذلك، وكم كان متطلعا بشوق إلى مثل هذا اليوم، ولكن المنية قد أنشبت أظفارها فعاجلته، فأسأل الله تعالى أن يتغمده برحمته، وأن يسكنه فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء و الصالحين، وحسن أولئك رفيقا. إلى أبي العزيز.

وإلى من أسأل الله تعالى أن يجعلني عند حسن ظنها، و مطمع نفسها، صاحبة القلب الكبير و العين الساهرة، و التي إن كان لي من توفيق في هذه الدنيا فإنما هو من الله و ببركة من دعائها. إلى والدتي العزيزة.

وإلى من رافقتني في هذا الطريق من أوله إلى منتهاه، فكانت تقابل انشغالي بالدراسة عنها بانشغالها بي، فكانت نعم الصاحبة و خير المعين، لا سيما مع نهايات هذا المشوار حين افتقدني الله برحمته بكسر في ذراعي اليمنى، فكانت خير من أعانني على مصيبتي. إلى زوجتي الغالية.

وإلى من لم يستسلما يوما لانشغالي عنهما فأصرا على أخذ نصيبيهما كاملين من وقتي و اهتمامي، فكان لهما ما أرادا، إلى ولدي الحبيبين رحمة و محمد.

إلى هؤلاء جميعا أهدي هذا الجهد.

الشكر والتقدير

يا ربنا لك الحمد على ما قضيت، ولك الشكر على ما أنعمت به وأوليت، حمدا و شكرا كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

لما كان شكر أصحاب الفضل من الناس من تمام شكر الله تعالى؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري مرفوعا في الأدب المفرد عن أبي هريرة رضي الله عنه: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس"[1]، فإنني في هذا المقام أتوجه بخالص الشكر وعظيم الامتنان لأستاذي ومشرفي الأستاذ الدكتور محمد حسن مهدي، و الذي عرفت فيه جدة البحث وتواضع العلماء، فكان بملاحظاته و تعليقاته سراجا أنار لي الكثير من جوانب بحثي فجزاه الله خير الجزاء.

كما وأتوجه بالشكر الجزيل لكلية أصول الدين ممثلة بعميدها وأساتذتها الأفاضل، وجميع العاملين فيها، شكرا يليق بما قدمته خلال مدة دراستي فيها.

وخالص الشكر وعظيم الامتنان للأساتذة أعضاء لجنة المناقشة، الذين تفضلوا بقبول مناقشة هذه الرسالة:

الأستاذ الدكتور محمد صلاح عبده رئيس قسم العقيدة، الذي غمرني بعظيم لطفه منذ اللحظة الأولى التي التقيته فيها، فوجدته من خير الناس يألف ويؤلف، ويمد يد العون لمن يحتاجها.

الأستاذ الدكتور حبيب الله حسن أحمد، أستاذي الذي ما فتئ يدفعني إلى البحث في الكثير من جوانب هذا الموضوع، حتى قبل أن يتقرر بشكل رسمي كموضوع لهذه الرسالة، وذلك من خلال إضاءاته التي كان يشع بها علينا في مساق دراسات في

---

[1] – محمد بن إسماعيل البخاري، الأدب المفرد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط3، دار البشائر، بيروت 1409هـ– 1989م، ص(85)

التوراة و الإنجيل.

الأستاذ الدكتور عزمي طه السيد، الذي عرفت به ومن خلاله كنه الفلسفة، وحقيقة الفيلسوف، واستشعرت برحابة صدره سماحة العارفين، وذلك من خلال تتلمذي عليه في مرحلة الماجستير.

الأستاذ الدكتور بهجت عبدالرزاق الحباشنة، والذي وقفت بين يديه هذا الموقف من قبل؛ حيث شرفت به مناقشا لي في رسالة الماجستير، والتي كانت بعنوان" موقف أبي حامد الغزالي من عقائد النصارى من خلال كتابه الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل" فكانت ملاحظاته ومداخلاته ذهبا خالصا ازدادت به قيمة الباحث و البحث معا .

ولا يفوتني في هذا المقام بالتوجه بالشكر الجزيل كذلك لمكتبة المهتدين الالكترونية لمقارنة الأديان ،ممثلة بالسيد فيصل عازر على ما قدمته لي وللباحثين في مجال مقارنة الأديان من خدمة عظيمة بتوفير الكثير من المصادر و المراجع الضرورية والتي ما كنت سأحصل عليها لولا أن من الله علينا بهذه المكتبة العظيمة.

كما وأتوجه بالشكر الجزيل لكل من مد لي يد العون و المساعدة، ولكل من كان له أثر في إتمام هذا البحث، متضرعا إلى المولى عز وجل أن يجزي الجميع عني خير الجزاء، إنه ولي ذلك و القادر عليه.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ٩١ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣ ﴾ مريم: ٨٨ - ٩٣

(ولولا أن الله قد حكى عن اليهود أنهم قالوا: إن عزيرا ابن الله، ويد الله مغلولة، وإن الله فقير ونحن أغنياء . وحكى عن النصارى أنهم قالوا: المسيح ابن الله . وقال: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ التوبة: ٣٠ وقال: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ المائدة: ٧٣، لكنت لأن أخر من السماء أحب إلي من أن ألفظ بحرف مما يقولون) *الجاحظ في المختار في الرد على النصارى*

الفهرس

ملخص الرسالة

تبحث هذه الدراسة في" عقيدة البنوة عند أهل الكتاب جذورها وآثارها وموقف الإسلام منها)، وقد جاءت في مقدمة ومدخل وخمسة فصول.

جاء الفصل الأول بعنوان: أهل الكتاب، تطرق الباحث فيه لمصطلح أهل الكتاب(اليهود والنصارى) وقد جعل الباحث هذا الفصل في مبحثين، أولهما يدور على مصطلح اليهود، عقائدهم، فرقهم ونصوصهم المقدسة. ثانيهما: يدور على مصطلح النصارى، عقائدهم، فرقهم ونصوصهم المقدسة.

أما الفصل الثاني فقد تناول الباحث فيه نسبة الأبناء إلى الله تعالى في الكتاب المقدس، وهو كذلك مقسم إلى مبحثين، أولهما: يدور على نسبة الأبناء إلى الله تعالى في العهد القديم، ثانيهما: يدور على نسبة الأبناء إلى الله تعالى في العهد الجديد.

في الفصل الثالث تمحور البحث على عقيدة البنوة عند اليهود وجذورها، وآثارها، فتناول البحث من وصفوا بأنهم أبناء الله تعالى في الديانة اليهودية، وجذور تلك العقيدة وآثارها على اليهود في جوانب حياتهم المختلفة.

وكان الفصل الرابع مخصصا لبحث هذه العقيدة عند النصارى، تناول البحث تلك العقيدة، وجذورها الوثنية، وآثارها على النصارى في جوانب حياتهم المختلفة.

أما الفصل الخامس والأخير فمداره على موقف الإسلام من عقيدة البنوة.

وقد توصلت هذه الدراسة إلى نتائج متعددة، وأكثر هذه النتائج أهمية أن المسلمين يجب أن يدرسوا عقائد أهل الكتاب في ضوء القرآن الكريم، حيث إنه المعيار الذي نستطيع من خلاله التعامل مع تلك العقائد بصورة صحيحة.

داعيا المولى عز وجل أن ينفع الناس بهذه الدراسة، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي نزه نفسه عن الصاحبة والولد، بديع السماوات والأرض، إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون، القائل في كتابه العزيز: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ (116) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (117)﴾[1] هو الخالق، وغيره مخلوق، هو الرب وغيره مربوب، هو الله فلا معبود بحق سواه، منه مبدأ كل شيء وإليه منتهاه، يحكم لا معقب لحكمه، هو الواحد القهار: ﴿لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (4)﴾[2]. الذي لم يتخذ ولدا، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، ومن كان هذا شأنه فهو الحري أن يحمد فلا يجحد، ويشكر فلا يكفر: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (111)﴾[3].

والصلاة والسلام على سيد الموحدين، وإمام المتقين، محمد بن عبد الله الذي دفع الله بدينه كفر الكافرين وشرك المشركين، جاء إلى هذا الوجود، والناس في ضلالة، اختلط فيه الغث بالسمين، والصحيح بالسقيم، تُرك الخالق وعُبد المخلوق، نُسب إلى الله فيه الأولاد، فأرسله الله بالهدى وسبل الرشاد، محقا للحق، مبطلا للباطل، أعاد الأمور إلى نصابها، فنزه الله تعالى عن الصاحبة والولد، شرفه الله تعالى بمقام العبودية، فقال ﷺ :(لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله)[4] وبعد:

فلقد شغل أهل الكتاب بقسميهم اليهود والنصارى حيزا واسعا من اهتمام القرآن الكريم، ومن أهم

---

[1] – البقرة: 116، 117.

[2] – الزمر: ٤.

[3] – الإسراء: ١١١.

[4] – محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، تحقيق مصطفى البغا، ط3، دار ابن كثير، بيروت، 1407هـ– 1987م، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى واذكر في الكتاب مريم، (3/ 1271).

القضايا التي تناولها القرآن الكريم الانحرافات العقدية عندهم، تلك الانحرافات التي لم تدع جانبا من جوانب العقيدة الصحيحة إلا شوهته، وعكرت صفوه، ومنها نسبتهم الأبناء إلى الله ﷻ، فمن قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه، إلى قول اليهود عزير ابن الله، إلى قول النصارى المسيح ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، فقد عرض الوحي لهذا المعتقد، كاشفا عن جذوره، مبينا لآثاره، مبطلا له بأدلة يفهمها كل من يقرأها، بل ويستطيع الاستدلال بها، وانطلاقا من ذلك فقد قررت بعد طلب العون من الله تعالى، وإعداد العدة أن تكون عقيدة البنوة عند أهل الكتاب موضوعا لبحثي هذا.

مسوغات اختيار الموضوع

أولا: يعتبر اهتمام القرآن الكريم بهذا الموضوع من أهم الأسباب التي دفعتني لاختياره، والكتابة فيه، سيما أن القرآن الكريم غالبا ما يطرق المواضيع بشكل مجمل، تاركا المجال مفتوحا للبحث في التفاصيل، وفق الأسس الصحيحة للبحث والدراسة.

ثانيا: ذلك الاحتكاك والتدافع ما بين الإسلام من جانب وديانتي أهل الكتاب من جانب آخر، والذي يتمثل بصورة حروب ومعارك أحيانا، وحوارات ومناظرات أحيانا أخرى، دفعني للبحث في هذا الموضوع لما له من أهمية في فهم كل من اليهود والنصارى، وبالتالي التوصل إلى المنهج الصحيح في التعامل معهم.

ثالثا: تلك الوحشية التي ظهرت وتظهر في تعامل أهل الكتاب مع الناس عامة، ومع المسلمين خاصة، لا سيما في العقود الأخيرة، دفعتني للبحث عن العقيدة التي تقف وراء تلك الوحشية، والتي تبيح لأصحابها كل شيء في سبيل القضاء على المخالفين والتخلص منهم.

رابعا: أن الانحراف في العقيدة دائما ما يتبعه انحرافات كثيرة في جميع جوانب الحياة، فأحببت الكشف عن تلك الانحرافات، وذلك من خلال تتبع آثار هذه العقيدة في تعامل أهل الكتاب مع جميع مفردات الوجود، بداية من تصورهم للألوهية، وانتهاء بتعاملهم مع غيرهم.

خامسا: ظهور من يحاول التشكيك في القرآن والطعن فيه، وذلك من خلال محاولة إنكار ما نسبه القرآن الكريم لأهل الكتاب من نسبة الأبناء إلى الله ﷻ ، وعلى الرغم من أن القرآن الكريم لا تؤثر فيه تلك الشبه، إلا

أنها قد تؤثر في ضعاف القلوب، وضعاف العقول، فكان لا بد من تناولها، وإبطالها، وإثبات ما أثبته القرآن الكريم ، وذلك من خلال نصوصهم المختلفة.

سادسا: ظهور من يحاول خداع الناس من خلال الترويج لمصطلحات تنطوي على جانب كبير من الغش والخداع، والتلاعب بعواطف الناس وعقولهم، كمصطلح الديانات السماوية الثلاثة، والديانات التوحيدية الثلاثة، أو الديانات الإبراهيمية الثلاثة، فعلى الرغم من أن هذه العبارات متناقضة في ذاتها، وأنها تصادم الكثير من مسلمات العقيدة الإسلامية، إلا أن ذلك قد يغيب عن الكثير من عامة المسلمين، بل عن خاصتهم، يضاف إلى ذلك محاولات كل من اليهود والنصارى الانتساب للتوحيد، وإقناع الناس بأنهم أهله وخاصته، فأحببت بحث هذا الموضوع لبيان بعد أهل الكتاب عن التوحيد الخالص.

سابعا: لما كان التوحيد هو الأصل لكل من اليهودية والنصرانية فمن المسلَّم به أن نسبة الأبناء إلى الله تعالى ليست من أصل ذلك الدين في شيء، ولما كان القرآن قد أشار إلى الأصل الوثني لتلك العقيدة، فقد تناولت هذا الموضوع بالبحث للكشف عن الجذور الوثنية لهذه العقيدة الفاسدة.

ثامنا: إن تغلغل العقائد الوثنية في ديانتي أهل الكتاب، وما تعرضت له النصوص المقدسة لهاتين الديانتين من التغيير والتبديل فجعلها غير قادرة على المحافظة على تلك الديانتين من الانحرافات، كل ذلك جعل الباحثين غير المسلمين في حيرة وتخبط عند بحثهم للكثير من قضايا هاتين الديانتين، وذلك أنهم يعتمدون في الكثير من أبحاثهم على مناهج قد تنفعهم في معرفة الفساد في هاتين الديانتين دون معرفة الصواب، مما حدا بالكثير منهم إلى إنكار الكثير من المسلَّمات، بل وجعلها محلاً للسخرية والاستهزاء، الأمر الذي دفعني للبحث في هذا الموضوع لإبراز أهمية القرآن الكريم وحاجة البشرية إليه في هذا المجال.

أدبيات الدراسة

لم أطلع على دراسة سابقة تناولت موضوع عقيدة البنوة عند أهل الكتاب بشكل مستقل عن بقية عقائدهم، كما لم أطلع على دراسة تناولت هذا الموضوع عند كل من اليهود والنصارى في الوقت نفسه، ومع ذلك فلا يمكنني الادعاء أن هذا الموضوع بكر لم يكتب فيه، ولكن ما كتب فيه لا يحقق ما أطمح إليه من تغطية جوانبه ابتداء من نسبة أهل الكتاب الأبناء إلى الله تعالى، ومن كانوا محلا لهذا الاعتقاد، إلى الكشف عن الجذور

الوثنية لهذه العقيدة الفاسدة، إلى آثار تلك العقيدة، وانتهاء بموقف الإسلام منها، ذلك الموقف الذي عرض هذه العقيدة ورد عليها، وكشف عن جذورها الوثنية.

ويمكن الإشارة في هذا المقام إلى مجموعة من البحوث التي تناولت بعض جوانب هذا الموضوع، ويمكن تقسيمها إلى قسمين: أولهما ما تناول بعض جوانب هذا الموضوع عند اليهود، ومنها:

أولا: هند بنت دخيل الله القثامي، أثر عقيدة اليهود في موقفهم من الأمم الأخرى، وهو بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في العقيدة الإسلامية في جامعة أم القرى، ومما يؤخذ على هذا البحث عدم الرجوع إلى نصوص التلمود مباشرة، وإنما اكتفت الباحثة بالنقل عن الكثير من المراجع الثانوية.

ثانيا زياد مني، تلفيق صورة الآخر في التلمود، وقد تناول الباحث في كتابه هذا موقف اليهود من غيرهم، استنادا إلى ما جاء في التلمود، وقد استفدت من هذا البحث، في الإطلاع على التشريعات التلمودية المتعلقة بالأغيار، ولكن هذا الكتاب وكما يتضح من عنوانه خاص بالبحث في علاقة اليهود بغيرهم من خلال التلمود.

ثالثا: أحمد عمران الزاوي، كتابات من الجحيم. والكتاب كما يبدو من عنوانه يعالج موقف النصوص اليهودية المقدسة من غير اليهود.

رابعا: عبد المجيد همو في كتابيه:" الله أم يهوه" و" مفاهيم تلمودية" أما الكتاب الأول فيركز على تصور اليهود للألوهية عبر تاريخهم الطويل، والكتاب الثاني يعالج علاقة اليهود بغيرهم من خلال التلمود.

ويلاحظ على الكتابات السابقة أن المحور الذي تدور عليه هو عنصرية اليهود في تعاملهم مع غيرهم استنادا إلى نصوص التلمود في المقام الأول، وهذا الأمر يشكل جانبا بسيطا من هذه الدراسة.

ثانيهما: بحوث ودراسات تناولت بعض جوانب هذا الموضوع عند النصارى، ومنها:

أولا: محمد أحمد الحاج، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، وأصل هذا الكتاب رسالة ماجستير قدمت في جامعة الإمام محمد بن سعود. تناول الباحث فيه عوامل انحراف النصرانية، وتحولها من التوحيد إلى التثليث.

ثانيا: بسمة أحمد جستنيه، أسباب تحريف النصرانية، والأصل في هذا البحث رسالة ماجستير قدمت في جامعة أم القرى. وهو قريب من سابقه.

ثالثا: سلطان عبد الحميد سلطان،المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية. حيث تناول الباحث في القسم الثاني من هذا الكتاب أثر المجامع على تحريف النصرانية.

رابعا: محمد بن طاهر التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، والهم الأول والأخير لصاحب الكتاب هو حشد أوجه التشابه ما بين الديانات الوثنية في جميع أنحاء العالم من جانب، والنصرانية من جانب آخر.

خامسا: أندريه نايتون، إدغار ويند وكارل غوستاف يونغ، الأصول الوثنية للمسيحية، ترجمة سميرة عزمي، د. ط، المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، وهو كتاب جيد في الكشف عن الجذور الوثنية للعقائد النصرانية والتي من ضمنها عقيدة البنوة، وتكمن أهمية هذا الكتاب في أنه من تأليف علماء غربيين، مما يجعله حجة قوية على النصارى.

ويلاحظ على هذه الدراسات الطابع الشمولي في تناول العقائد النصرانية وما طرأ عليها من تحريف، دون التركيز على عقيدة البنوة بشكل أساسي، ودون التطرق لآثار هذه العقيدة.

وثمة دراستان أخريان ينبغي الإشارة إليهما:

أولاهما: موسى محمود طه سعيد، كشف القرآن لانحراف أهل الكتاب، وهو أطروحة تقدم بها الباحث للحصول على درجة الماجستير في جامعة النجاح في نابلس، وقد تناول الباحث في دراسته هذه انحرافات أهل الكتاب عامة على صعيدي العقيدة والتشريع، وتكاد هذه الرسالة تكون في تخصص التفسير، حيث كان تركيز الباحث منصبا على الآيات القرآنية التي أشارت إلى انحرافات أهل الكتاب، وآراء المفسرين حولها.

ثانيتهما: محمود عبد الرحمن قدح، الأسفار المقدسة عند اليهود وأثرها في انحرافهم، وهي بحث نشره الباحث في مجلة الجامعة الإسلامية، عرف الباحث فيه بالأسفار المقدسة، وجعلها السبب الأول في انحرافهم، والحقيقة ليست كذلك، حيث سأبين في دراستي هذه أن النصوص المقدسة عند أهل الكتاب غالبا ما كانت تقع تحت تأثير عقائدهم الفاسدة، والتي تأتي عقيدة البنوة في مقدمتها.

وبناء عليه فإن هذه الدراسة هي أول دراسة تعالج موضوع نسبة الأبناء إلى الله تعالى عند أهل الكتاب من جوانبه المختلفة، بل هي أول دراسة تعالج هذا الموضوع على أنه عقيدة من عقائد أهل الكتب، وهي أول دراسة تعتمد على جميع النصوص المقدسة عندهم، حيث تكاد الدراسات السابقة تعتمد إما على الكتاب المقدس،

وإما على التلمود، في حين أن هذه الدراسة قد اعتمدت على كل من الكتاب المقدس، التلمود، مخطوطات البحر الميت وكتب التصوف اليهودي، بل والأسفار الأبوكريفية غير الموجودة في نسخ الكتاب المقدس المختلفة المتداولة بين أيدي الناس.

إشكاليات الدراسة

تحاول هذه الدراسة الإجابة على مجموعة من الأسئلة، وهي:

أولا: ما موقف كل من اليهود والنصارى من نسبة الأبناء إلى الله تعالى، ومن هم الذين كانوا محلا لهذا الاعتقاد، وما هي مستندات كل من الفريقين في هذه العقيدة؟

ثانيا: ما هي الجذور الحقيقية لهذه العقيدة الفاسدة؟

ثالثا: ما هي آثار هذه العقيدة على المجالات التالية:

1. على تصور كل من اليهود والنصارى للذات الإلهية؟
2. على كل من الديانتين اليهودية والنصرانية؟
3. على علاقة كل من اليهود والنصارى بغيرهم؟

رابعا: ما موقف الإسلام متمثلا بالوحي من هذه العقيدة؟

خامسا: ما مدى حاجة البشرية للقرآن لتصحيح تاريخ الأديان؟

حدود المشكلة

أولا: في مجال التعريف بأهل الكتاب، وفرقهم ونصوصهم المقدسة، سأكتفي بالقدر الذي نحتاجه لتناول عقيدة البنوة عندهم، حتى لا يشعر القارئ بغموض ما يقرأه، أو أنه محتاج إلى الرجوع إلى مراجع أخرى أثناء قراءته لهذا البحث.

ثانيا: في مجال عقائد اليهود والنصارى سأقتصر على عقيدة البنوة وما ارتبط بها بشكل مباشر، دون التطرق لجميع عقائدهم.

ثالثا: على الرغم من الرجوع إلى ما كتبه العلماء المسلمون من ردود على أهل الكتاب إلا أن ذلك لن يكون مقصدي الأساسي، لأن ذلك بحث آخر، وقد كتب فيه بما يغني عن إعادة الكتابة فيه[1]، وبالتالي فسيكون التركيز منصبا على موقف الوحي من هذه العقيدة في المقام الأول، فهو المعين الذي ينهل منه كل من أراد الرد على أهل الكتاب.

---

[1] – انظر على سبيل المثال: عبد المجيد الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى حتى نهاية القرن الرابع الهجـــري، ط2، دار المدار الإسلامي، بيروت 2007م.

منهجية الدراسة

أما بالنسبة للمناهج المستخدمة في هذه الدراسة فهي:

أولا: المنهج الاستقرائي، حيث سأحاول تتبع النصوص المتعلقة بنسبة الأبناء إلى الله تعالى عند كل من اليهود والنصارى.

ثانيا: المنهج الوصفي، حيث سأقوم بوصف مفردات هذه العقيدة كما هي عند أصحابها كمقدمة لدراستها والرد عليها.

ثالثا: المنهج التحليلي النقدي، حيث سأقوم بتحليل هذه العقيدة إلى مكوناتها المختلفة ونقدها، حيث سأبين من هم الذين كانوا محلا لهذه العقيدة، وبعبارة أخرى من هم الذين وصفوا بأنهم أبناء الله تعالى عند كل من اليهود والنصارى، وما الذي ترتب على هذا الوصف، وما هي الأدلة التي يستند إليها كل من الفريقين على هذا المعتقد، للخروج بعد ذلك بتصور شامل عن هذا المعتقد والرد عليه.

رابعا: المنهج المقارن، حيث سأقوم بالمقارنة بين بعض القضايا المتقابلة؛ لمعرفة مدى انسجام اليهود والنصارى مع قواعد العقل والمنطق في عقيدتهم تلك.

خامسا: المنهج التاريخي، والذي يعتمد على تقصي الحقائق التاريخية ووضعها في إطارها الصحيح.

هذا وقد قمت بكتابة الآيات في هذا البحث بالرسم العثماني، مثبتا نص الآية في المتن، وعزوها إلى السورة التي وردت فيها في الهامش ذاكرا اسم السورة ورقم الآية، كما قمت بتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

أما بالنسبة لنصوص الكتاب المقدس فقد أثبتها كما هي في ترجمة سميث وفانديك للكتاب المقدس، وكنت أثبت النص في متن الرسالة، وأثبت اسم السفر مختصرا في الهامش وبعده بين معقوفتين رقم الأصحاح ورقم الفقرة، ومثال ذلك: مت[28: 19]. وكنت أشير إلى النسخ الأخرى عند استخدامها لغرض المقارنة بين النصوص.

أما التلمود فقد اعتمدت في هذه الدراسة على الترجمة الإنجليزية للتلمود البابلي، الصادرة عن دار سونسينو للنشر في لندن، وقد عزوت نصوص التلمود إلى السدر فالفصل فرقم الصفحة في التلمود الأصلي فرقم الصفحة في ترجمة دار سونسينو ومثال ذلك: التلمود، سدر الأعياد، فصل السبت 25أ، ص(87).

أما بالنسبة للمصادر والمراجع فقد كنت عند الرجوع للكتاب لأول مرة أثبت اسم المؤلف الأول ثم اسم الشهرة، فعنوان الكتاب، الطبعة، الناشر، ومكان وتاريخ النشر عند توفره، وبعد ذلك كنت أكتفي بذكر اسم الشهرة للمؤلف وعنوان الكتاب، وفي حالة وجود الكتاب في أكثر من جزء كنت أشير إلى الجزء والصفحة ما بين قوسين، ومثال ذلك: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (1/ 220).

هذا وقد قمت بالترجمة لأسماء الأعلام والأماكن الواردة في متن هذه الدراسة، كما قمت بتوضيح المصطلحات الغامضة عند ذكرها لأول مرة إن لم تكن جزءا من خطة هذا البحث، أما إن كانت من ضمن الخطة فأشير إلى المكان الذي تناولتها فيه.

وفيما يتعلق بعقائد كل من اليهود والنصارى فقد اعتمدت في عرضها وشرحها على مصادرهم ومراجعهم، وإن كان ذلك لا يعني بحال من الأحوال التشكيك في قيمة المصادر والمراجع الإسلامية التي تناولت هذا الموضوع، أو التقليل من أهميتها، ولكن ذلك هو المنهج الأسلم في التعامل مع القوم.

ومما ينبغي التنبيه إليه أنه قد يأتي بين طيات هذا البحث ذكر لبعض القضايا حسب التصور اليهودي، أو النصراني، وهذا لا يعني بحال من الأحوال اقتناعي بها، وإنما هي وجهات نظرهم أطرحها، وأرد عليها إن دعت حاجة إلى ذلك، ومن تلك القضايا تعبير الكتاب المقدس، فهو مقدس بالنسبة إليهم، ومنها كذلك ما يرد من إشارة إلى الهيكل، أو أرض الميعاد، ومنها أيضا الحديث عن خطيئة آدم عليه السلام، حيث ذكرت لوجودها في بعض نصوصهم المرتبطة بموضع دراستي.

وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة وخمسة فصول وخاتمة، أما المقدمة فقد تناولت فيها أهمية الموضوع، ومسوغات اختياره، وأدبيات الدراسة، ومشكلتها وحدودها، والمناهج المستخدمة فيها.

وقد جعلت الفصل الأول فصلا تمهيديا لهذه الرسالة، تناولت فيه مصطلح أهل الكتاب، وقسميهم(اليهود والنصارى) وعرفت من خلاله أشهر فرقهم، ثم تناولت فيه النصوص المقدسة لدى الفريقين، وقسمته إلى مبحثين، أولهما: اليهود وفرقهم ونصوصهم المقدسة. ثانيهما: النصارى وفرقهم ونصوصهم المقدسة.

أما الفصل الثاني فعنوانه : نسبة الأبناء إلى الله تعالى في الكتاب المقدس، تناولت فيه نسبة الأبناء إلى الله تعالى في العهدين القديم والجديد، والذي دفعني إلى إفراد الكتاب المقدس بفصل مستقل أمران: أولهما أن الكتاب

المقدس بعهده القديم محل نزاع ما بين اليهود والنصارى. وثانيهما: أن كلا من اليهود والنصارى لم يقتصر في عقيدة البنوة على ما جاء في الكتاب المقدس.

وجاء الفصل الثالث بعنوان: عقيدة البنوة عند اليهود جذورها وآثارها، تناولت فيه عقيدة البنوة عند اليهود، ومن وصفوا بأنهم أبناء الله تعالى، وجذور وآثار تلك العقيدة على اليهود في جوانب حياتهم المختلفة.

أما الفصل الرابع فهو بعنوان: عقيدة البنوة عند النصارى جذورها وآثارها، تناولت فيه عقيدة البنوة عند النصارى، والجذور الوثنية لها، وتناولت فيه كذلك الآثار التي تركتها هذه العقيدة على النصرانية والنصارى في جوانب حياتهم المختلفة.

وقد جاء الفصل الخامس من هذا الباب بعنوان: موقف الإسلام من عقيدة البنوة، تناولت فيه عرض الوحي لهذا المعتقد، وإزهاقه له، والكشف عن الجذور الوثنية التي تسرب منها إلى هاتين الديانتين، وختمته بعد ذلك بعلاقة القرآن بالكتب السابقة، وأهميته في تصحيح هاتين الديانتين اللتين اختلط فيهما الحابل بالنابل، والغث بالسمين.

ثم جاءت الخاتمة متضمنة لأهم النتائج والتوصيات التي تمخض عنها البحث في هذا الموضوع، راجيا من المولى عَجَلَّ التوفيق والسداد في كل ما ذهبت إليه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وله الحمد والمنة والفضل، والصلاة والسلام على سيد عباده، وخير خلقه.

مدخل: عقيدة البنوة في الديانات الوثنية

قبل الحديث عن عقيدة البنوة في الديانات الوثنية كمدخل لدراسة عقيدة البنوة عند أهل الكتاب لا بد من التنبيه إلى قضية مهمة جدا، وهي أن تناول هذا المبحث كمقدمة لبحث عقيدة البنوة عند أهل الكتاب لا يندرج بحال من الأحوال تحت المنهج الغربي في الدراسات الدينية، حيث يقوم ذلك المنهج على اعتبار الدين، بل وجميع الظواهر البشرية ارتقاء يسير في خط مستقيم من الأدنى إلى الأعلى، ومن هنا ظهرت مصطلحات مثل الأديان البدائية، والشعوب البدائية، وهي مصطلحات لا نقرها نحن المسلمين بحال من الأحوال، حيث إنها تفترض أن الإنسان وجد على هذه الأرض دون عناية إلهية، ثم اهتدى إلى التدين شيئا فشيئا، فعبد في البداية مظاهر الطبيعة، ثم الجنس فعبادة الأسلاف إلى اختراع الآلهة البشرية حتى وصل في النهاية إلى قمة التطور فتوصل إلى التوحيد[1]، وهي نظرة تتناقض تمام التناقض مع الوحي، الذي نص على أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان وأرسل إليه سبل الهداية التي تضمن له السعادة في دنياه وآخرته[2]، كما أن الوحي قد نص على أن الإنسان كان منذ بدايته على مذهب التوحيد، ولكن ابتعاده عن منهج الله تعالى، وعن سنن الفطرة التي خلقه الله تعالى عليها، وأتباعه للشياطين هو ما دفعه إلى تلك المظاهر المنحرفة من التدين[3]، وهذا هو شأن الإنسان في كل وقت، وفي كل مكان عندما ينحرف عن منهج الله تعالى فإنه يترل بنفسه إلى أسفل سافلين، دون أن يتوقف ذلك على فترة زمانية معينة.

كما أن النتائج التي توصل إليها علماء الغرب مبنية على مقدمات لا ترقى إلى مستوى الأدلة على تلك

---

[1] - انظر ديورانت، قصة الحضارة، المجلد الأول، الجزء الأول، ترجمة زكي نجيب محمود، دار الجيل، بيروت**1408**هـــ– **1988**م، ص(**100**). محمد عبد الله دراز، الدين، د. ط، دار القلم، الكويت، د. ت. ن، ص(**107**).

[2] – يقول تعالى: ﴿ **قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴿٣٨﴾ ﴾ البقرة: ٣٨

3 – جاء في الحديث الذي يرويه الإمام مسلم:(وإني خَلَقْتُ عبادي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا). القشيري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، د. ط، دار الجيل، بيروت(**8**/ **158**).

النتائج، وإنما هي قائمة على التخمين فقد جاء في موسوعة تاريخ الأديان:(إن الوصول إلى الثقافة ما قبل التاريخية هو شأن على درجة عالية من الإشكالية، وعندما نحاول فهم ظاهرة مثل الدين فإن المشكلة تغدو حادة، ذلك أننا نفهم الدين بالدرجة الأولى من خلال مصطلحات اللغة، أي إن خصائصه الأساسية تتمثل في معانيه القابلة للترجمة والتفسير وتقسيماته، ولكن البقايا الأركيولوجية[1] الصامتة لا تؤمن لنا إلا تواصلا محدودا مع اللغة الدينية لتلك الثقافات، .... إن تفسير طبيعة الدين التي تنتمي إليه تلك الممارسات يبقى تخمينا إلى حد بعيد)[2].

ونحن في هذه المقدمة لن نبتعد في بحثنا كثيرا، وسيكون التركيز منصبا على تلك الوثنيات التي كانت منتشرة في المنطقة التي ظهرت بها اليهودية والنصرانية، والتي كان بإمكان أصحاب هاتين الديانتين– اليهودية والنصرانية– الاتصال بأصحابها، والاطلاع عليها، والتأثر بها، وأعني بها تلك الديانات التي كانت موجودة فيما يعرف حاليا بمنطقة الشرق الأوسط، وأعني بها بلاد الشام والعراق، ومصر وإيران، وبالتالي فسنتعرض في هذا التمهيد إلى نسبة الأبناء للآلهة في كل من ديانات بلاد الرافدين، وبلاد الشام، والديانة المصرية، والفارسية، واليونانية على اعتبار تواجدها في المنطقة في ذلك الزمان.

تواجدت في بلاد الرافدين حضارات متعددة، وقد كان لهذه الحضارات معتقداتها الدينية، على أنني أعود فاذكر في هذا المقام بأن هذه الحضارات قرئت وما زالت تقرأ من قبل باحثين غربيين، وبمناهج غربية، تقوم على قاعدة التطور من الأدنى" التعددية والوثنية" إلى الأعلى" التوحيد"، ومن هنا نلاحظ غياب التوحيد الخالص من تلك الحضارات– حسب تلك القراءة الغربية لها– مع أنني مؤمن تمام الإيمان بأنه لم توجد حضارة على هذه الأرض إلا وكان فيها من هو على الدين الصحيح والتوحيد الخالص، وهم أولوا البقية الذين ذكرهم القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾[3]، ومن هنا فإن الباحث لا يلاحظ في

---

[1] – الأركيولوجية: هي النسبة المعربة لعلم الآثار. .

[2] – فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، ط**2**، دار علاء الدين، دمشق **2007**م(**1/ 258**). وانظر كذلك: مونتاغيو آشـــلي، البدائية، ترجمة محمد عصفور، عالم المعرفة، العدد **53**، مايو**1982**م، ص(**251**)

[3] – هود: ١١٦.

ديانات تلك الحضارات سوى وثنية وتعددية، وتصورات خاطئة للألوهية، ومرد ذلك كما أسلفت إلى ذلك المنهج المتبع في قراءة تلك الحضارات.

ولنعد إلى موضوعنا، ألا وهو عقيدة البنوة في تلك الديانات، ولنبدأ مع بلاد الرافدين، فالآلهة التي عبدت عند أهل هذه البلاد، تكاد تكون واحدة مع اختلاف بسيط في الأسماء والوظائف أحيانا، ولما كانت هذه الآلهة صناعة من صنع البشر فقد اتخذت شكل الأسرة البشرية غالبا؛ فثمة زوج وزوجة وأبناء، ولكل اختصاصه، فإله للسماء، وآخر للأرض، ولا يكاد مظهر من مظاهر هذا الكون إلا وحدد له إله خاص به، ففي أقدم مدونات تلك الحضارة عرف " إنليل" بأنه" أبو الآلهة" وملك السماء والأرض[1]، ويعتبر" إنكي" إله المياه الجوفية ابنا ل" إنليل" إله العواصف، وأمه" نمه" التي كانت تعتبر إلهة لقعر النهر[2]، وهناك أيضا" نينورتا" إله المحراث وهو ابن" إنليل"، وأما إله الأمطار الرعدية" ننجيرسو" فله سبع بنات، وولدان[3].

أما إذا ما انتقلنا إلى بلاد الشام فلا بد أن نتعرض للديانة الكنعانية، حيث هي الديانة التي كانت سائدة في هذه المنطقة، وقد كان لليهود احتكاك كبير بأهلها، بل وكثيرا ما عبد اليهود آلهة الكنعانيين، وتبدو عقيدة البنوة واضحة في هذه الديانة، فثمة نصوص تقول إن الإله" ايل" قد تزوج بامرأتين أنجبتا له ابنين هما: شهر" الفجر"، وشاليم" الغسق"[4]، وثمة تصور مهم عند الكنعانيين ومفاده أن الملوك هم أبناء الآلهة[5]، وهكذا هي حال الألوهية أب وأم وأبناء، لكل منهم اختصاصه ومجاله الذي لا ينازعه فيه أحد.

وإذا ما انتقلنا إلى مصر فالمجال خصب وواسع، ولكننا سنكتفي بأسطورة واحدة أرى أنها كافية في هذا المجال، وهي أكثر الأساطير شعبية، ألا وهي أسطورة(أوزوريس، إيزيس وحورس) وملخص هذه الأسطورة أن إله

---

1 – السواح، موسوعة تاريخ الأديان(2/ 193). وانظر: ديورانت، قصة الحضارة، المجلد الأول، الجـزء الثـاني، ص(28 ومـا بعدها).

2 – السواح، موسوعة تاريخ الأديان(2/ 168).

3 – نفس المرجع(2/ 160، 162).

4 – السواح، موسوعة تاريخ الأديان(2/ 91)

5 – فقد جاء في بعض الكتابات: كيف يقال إن كرت– أحد ملوك الكنعانيين– هو ابن ايل، نسل القدوس اللطيف، وهل يا تـرى تموت الآلهة؟ السواح، موسوعة تاريخ الأديان(2/ 101).

الشمس أنتج إلهين عظيمين هما" شو" إله الهواء، و" تفنوت" إله الفراغ، ومن اجتماعهما تولد إلهان آخران، وهما" جب" إله الأرض، و" نوت" إلهة السماء، ولقد أنجب" جب" و" نوت" أربعة آلهة؛ ولدين؛ أوزيريس" إله النيل" وست" إله الصحراء"، وبنتين؛ إيزيس" إلهة الخصوبة" ونفتيس" إلهة الأرض القاحلة"، وتزوج أوزيريس من إيزيس، وست من نفتيس، وقد كان أوزيريس موفقا في حكمه، استطاع أن يحكم مصر شمالها وجنوبها، كما كان بطلا من أبطال الحروب، الأمر الذي جعل أخيه ست يحقد عليه، فيقتله ويمزقه، ويضع أشلاءه في صندوق، ويقذفه في البحر، ولكن إيزيس تبحث عنه، حتى تجد أشلاءه، ومن خلال السحر تستطيع إعادته للحياة، وتحط عليه كما يحط الطائر، فتحمل منه، ويرجع أوزيريس إلى تحت الأرض فيعيش هناك ملكا للموتى.

بعد ذلك تقوم إيزيس بتربية ابنها" حورس" الذي حملت منه بتلك الطريقة العجيبة، والذي غالبا ما يصور في حضنها بصورة مشابهة للصور التي يصور النصارى بها مريم وهي تحمل المسيح، وعندما يكبر هذا الابن، يسعى لاسترداد حق أبيه من عمه، وينتصر عليه[1].

وثمة ملاحظات على هذا الثالوث المصري المكون من أوزيريس وإيزيس وحورس، ومنها النظر إلى هذا الثالوث على أنه وحدة واحدة[2]، ومنها ذلك التمايز ما بين أفراد هذا الثالوث، ومن الملاحظات كذلك أن إيزيس كانت تعبد على أنها أم الإله[3]، ومن الأمور التي لا ينبغي تجاوزها في هذه الأسطورة إبراز صورة الإله الذي انتصر على الموت، وذلك أن أوزيريس بعد أن أعادت له زوجته الحياة أصبح ملكا للأموات، كذلك يلاحظ أن حورس قد جمع ما بين البشرية والإلهية في الوقت نفسه[4].

بقي أن نشير إلى ذلك الانتشار الواسع لهذه العقيدة في مصر كلها، ومنها إلى بقية أنحاء العالم في ذلك الوقت، ومن ذلك انتقالها إلى العالمين اليوناني والروماني، في القرون الأخيرة التي سبقت ميلاد المسيح عليه السلام.

---

1 – انظر هذه الأسطورة في: أحمد علي عجيبة، دراسات في الأديان الوثنية القديمة، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة2004م، ص(98 وما بعدها). والسواح، موسوعة تاريخ الأديان(2/ 13 وما بعدها). وديورانت، قصة الحضارة، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص(159). ومحمد أبو زهرة، مقارنة الأديان، الأديان القديمة، د. ط، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت. ن، ص(12).

2 – بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص(41).

3– ديورانت قصة الحضارة، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص(160).. وعجيبة، دراسات في الأديان، ص(100).

4 – عجيبة، دراسات في الأديان، ص(100).

وقد كان ينظر للملك في الحضارة المصرية القديمة على أنه الإله أو ابن الإله، ولعل هذا هو السبب في فترات الحكم الطويلة لملوك مصر، فالفرعون على حد تعبير صاحب قصة الحضارة كان يحكم مصر بحق سلطانه الإلهي، وحق مولده الإلهي كذلك[1].

وفي القصيدة التي كتبها اخناتون لأتون" الشمس" كان يرى نفسه ابنا لهذا الإله، وكان يرى أنه لا يعرف حقيقة الإله إلا هو(وما من أحد يعرفك إلا ابنك اخناتون) وكان يرى أن أتون قد خلق العالم وأقامه لهذا الابن:(أنت أوجدت العالم، وأقمت كل ما فيه لابنك اخناتون ذي العمر المديد....)[2].

وإذا ما انتقلنا إلى الحضارة الفارسية، والتي ارتبط بها أهل الكتاب ارتباطا وثيقا من خلال السبي البابلي فلا بد لنا من أن نتوقف عند زرادشت وميثرا.

أما زرادشت(ما بين 1500- 1600ق.م) فهو مؤسس الديانة الزرادشتية[3]، وعلى الرغم من الخلافات الكثيرة حول شخصيته إلا أن ميلاده يعتبر ميلادا عجيبا، حيث إن ملاكا تسرب إلى نبات يدعى" الهوما" وانتقل إلى جسد كاهن أثناء تقديمه للقرابين، وفي الوقت نفسه دخل شعاع من أشعة العظمة السماوية إلى صدر فتاة شريفة راسخة النسب، ومن ثم تزوج ذلك الكاهن بتلك الفتاة، وكانت ثمرة ذلك الزواج زرادشت، الذين قهقه حين ولد ففرت من حوله الأرواح الخبيثة، وبعد ذلك حاول الشيطان أن يغويه، ولكنَّه فشل، وظل زرادشت مستمسكا بإيمانه ب" أهورامزدا" إله النور[4]، ومن هنا فقد أصبح أتباعه ينظرون إليه على أنه روح الله التي نزلت إلى هذه الأرض، واتخذت جسدا بشريا، حملت به تلك الفتاة ثم ولد بشرا على صورة غيره من البشر[5].

ومما يلفت النظر في هذه الديانة أن لكل إله قواته التي تساعده في حربه ضد الآخر، وهذه القوات

1- ديورانت، قصة الحضارة، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص(161). وانظر عجيبة، دراسات في الأديان، ص(91 وما بعدها).

2 – ديورانت، قصة الحضارة، المجلد الأول الجزء الثاني، ص(174).

3 – ثمة اختلاف كبير بين الباحثين حول هذه الديانة ومؤسسها، وجوهرها يقوم على وجود إلهين؛ أهورامزدا إله الخير، وأهرمان إله الشر، وهما في حرب دائمة، ولكل منهما قواته التي تساعده في حربه تلك. انظر: ديورانت، قصة الحضارة،المجلد الأول، الجزء الثاني، ص(424 وما بعدها)، وعجيبة، دراسات في الأديان، ص(112 وما بعدها). وجيفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص(90 وما بعدها).

4 – انظر ديورانت، قصة الحضارة، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص(424).وعجيبة، دراسات في الأديان، ص(114).

5 – عجيبة، دراسات في الأديان، ص(115).

وخصوصا تلك التي تساعد إله الخير تصبح أفرادا متميزة إن لم تكن كذلك[1]، وبالتالي فقد تعد مثالا سابقا لأقانيم النصارى مع اختلاف في العدد، ومما يلفت النظر كذلك في هذه الديانة النظر للنار على أنها رمز أهورامزدا وابنه[2]، وقد جاء في كتاب الزرادشتية المقدس:(نعبد الخالق أهورامزدا، النار ابن أهورامزدا)[3].

أما عبادة ميثرا والذي يعتبر من أشهر الآلهة الفارسية، وهو أحد آلهة النور، وكان يعبد على أنه رب الشمس، وإله النور، وأنه هو الوسيط بين الإله الأعلى والإنسان الضال، وبالتالي فقد جاء لخلاص الإنسان[4]، والذي يعبد جنبا إلى جنب مع كل من أهورامزدا، وأنيتا[5]، فإن عبادته وإن كانت أقدم من الزرادشتية، وعلى الرغم من محاولة زرادشت القضاء عليها في بداية الأمر، إلا أن ميثرا احتل مكانا مميزا في الديانة الزرادشتية، وظلت عبادته الأوسع انتشارا داخل إيران وخارجها، ولقد كادت في فترة من الفترات أن تكون هي الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية[6].

أما بالنسبة لدور هذا الإله فهو الذي قام بذبح ذلك الثور العظيم الذي خلقه أهورامزدا، وذلك كنوع من التضحية، ليس هذا فحسب، بل إن ميثرا سيقوم بدور الشفيع ما بين الإله والناس في الآخرة، وهو الذي سينظر في أرواح الناس في الآخرة، ويحاسبها على أعمالها[7].

ويعتبر يوم الشمس الذي هو يوم الأحد يوما مقدسا عند أتباع هذه الديانة، وقد اختار أتباعها يوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر ليكون عيدا لميلاد ميثرا[8] وعيدا لقيامته وصعوده إلى السماء[9]، وهو نفس اليوم الذي يحتفل به النصارى بميلاد المسيح عليه السلام.

---

1 – بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص(92).

2 – نفس المرجع، ص(95).

3 – أفيستا، الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، ط2، إعداد خليل عبدالرحمن، روافد للثقافة والفنون، دمشق 2008م، ص(149، 151).

4 – عجيبة، دراسات في الأديان، ص(120).

5 – ديورانت، قصة الحضارة، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص(436). ونايتون، الأصول الوثنية للمسيحية، ص(46). وأنيتا هي إلهة الإنبات والخصب والتوالد. ديورانت، قصة الحضارة، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص(436)

6 – عجيبة، دراسات في الأديان، ص(124).

7 – المرجع السابق، ص(120) وبارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص(99).

8 – أفيستا، ص(41).

9 – ديورانت، قصة الحضارة، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص(436)، وعجيبة، دراسات في الأديان، ص(121)

ومن أهم طقوس هذه الديانة التعميد، وهو التغطيس بالماء لإزالة الخطايا، والتطهر من الشر، وهناك أيضا مائدة ميثرا، وهي مائدة مقدسة يأكل منها الإنسان ليشترك مع ميثرا في موته وقيامته[1]، وتكاد الطقوس النصرانية تكون نسخة طبق الأصل عن هذه الطقوس.

ولا بد لنا مع نهاية الحديث عن الديانات الفارسية من أن نعرج على الديانات الهندية، وذلك لأن الفرس والهنود يلتقون معا في أصلهم الهندوأوروبي[2]، ومثلما يلتقون في النسب فإنهم قد التقوا في أسماء بعض الآلهة، فقد عثر الباحثون في الشمال الغربي الفارسي على آثار تحمل أسماء أشهر آلهة الهند، ومن بينها أندرا، فارونا وميتهرا، وهي آلهة عبدت في كل من الهند وفارس مع تحريف بسيط في الأسماء مع بقاء حقيقة تلك الآلهة كما هي[3].

ربما لم يوجد بلد على وجه الأرض تعددت آلهته تعدد الآلهة في الهند، حتى أطلق عليها اسم" أرض الآلهة"[4]، وقد قيل: إن الهند قد عرفت جميع العقائد والفلسفات[5]، ومن هنا فمن الصعوبة بمكان تتبع جميع الآلهة الهندية، ولكننا سنحاول الاقتصار على ما يتعلق بموضوعنا بشكل مباشر.

تأتي في مقدمة الآلهة الهندية آلهة ثلاث، وهي أندرا، أجني، وفارونا أو ميترا[6]، أما أندرا فهو ملك الآلهة، وإله الحرب، وأما أجني فهو إله النار، وهو الذي يربط عالم الناس وعالم الآلهة، وفارونا إله عالمي، يملك سلطات واسعة، ويملك مقاليد السماوات والأرض، وهو الذي منح القوانين والمبادئ الخلقية، وكان أحيانا يستبدل بميثرا بصورته الفارسية[7].

ومن أهم العقائد الهندية عقيدة الأقانيم، والتي تقوم على براهما وهو الخالق وأصل الآلهة، وفشنو وهو

---

1 – عجيبة، دراسات في الأديان، ص(121) وبارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص(99).

2 – عجيبة، دراسات في الأديان، ص(111). وبارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص(109). والسواح، موسوعة تاريخ الأديان، (4/ 10).ومحمد ضياء الرحمن الأعظمي، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ط2، مكتبة الرشد، الرياض1424هـ– 2003م، ص(521، 522).

3 – عجيبة، دراسات في الأديان، ص(111).

4 – محمد غلاب، الفلسفة الشرقية، ....ص(91).

5 – عجيبة، دراسات في الأديان، ص(128).

6 – المرجع السابق، ص(131). والسواح، موسوعة تاريخ الأديان، (416 وما بعدها).

7 – بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص(117 وما بعدها) وعجيبة، دراسات في الأديان، ص(131، 132).

الإله الحافظ المجدد، وسيفا وهو الإله المدمر المخرب، وهذه الثلاثة أقانيم لإله واحد هو الروح الأعظم[1]ويرمزون له بأحرف ثلاث هي الألف والواو والميم" أوم"، ولا ينطقون بها إلا في صلاتهم، ويحترمون رمزها في معابدهم احتراما عظيما[2]. وثمة ثلاثة أقانيم أخرى جاءت من فشنو ذلك الإله الذي يتمتع بست صفات؛ العلم، القدرة، الآفاقية، الحياة، القوة والجلال، ومن هذه الصفات تولدت ثلاثة أقانيم؛" شنكرا" الذي يمثل العلم والآفاقية،" بروين" الذي يمثل القدرة والقوة، و" نرودها" الذي يمثل الحياة والجلال[3].

ومن العقائد السائدة عند الهنود عقيدة التجسد، وهي خاصة بالأقنوم الثاني من أقانيم الثالوث الهندي، أقنوم الابن" فشنو"، وفي التقاليد الهندية تبلغ تجسدات هذا الأقنوم عشرة تجسدات، حصلت منها تسعة، وما زال العاشر تحت الانتظار، وأهم هذه التجسدات على الإطلاق تجسد هذا الأقنوم في كرشنا[4]، وهو شاب هندي يحتمل أنه كان أحد ملوك شمال الهند[5].

وإذا ما انتقلنا إلى الحضارة اليونانية، ووريثتها الحضارة الرومانية، والتي انتشرت النصرانية في ربوعها فإن الآلهة عندهم عبارة عن سلالات وأعراق، وكما جاء في موسوعة تاريخ الأديان فإن هذه الآلهة كلها والدة أو مولدة[6]، وذلك أن الناس الذين صنعوا هذه الآلهة صنعوها بأنماط بشرية، فليس ثمة آلهة أقرب إلى البشر من آلهة اليونان[7]، ولا تكاد الآلهة تختلف عن البشر في شيء سوى القدرة والخلود[8]،فأشهر الآلهة في هذه الحضارة وهو زيوس[9] قد ولد من أبوين إلهيين[10].

ولقد كان الاعتقاد بوجود نسب وقرابة ما بين بعض الناس والآلهة أمرا مألوفا في هاتين الحضارتين،

---

1 – انظر عجيبة، دراسات في الأديان، ص(134)، وأبو زهرة، مقارنة الأديان، ص(28).

2 – التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص(55). بتصرف

3 – انظر الأعظمي، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ص(611).

4 – السواح، موسوعة تاريخ الأديان، (4/ 100).

5 – عجيبة، دراسات في الأديان، ص(134).

6 – السواح، موسوعة تاريخ الأديان(3/ 13)

7 – عجيبة، دراسات في الأديان، ص(147).

8 – عجيبة، دراسات في الأديان، ص(153).

9 – زيوس: رئيس آلهة اليونان، وهو إله السماء والظواهر الجوية، وفي المراحل المتأخرة أصبح هو الإله المطلق. انظر السواح، موسوعة تاريخ الأديان(3/ 41).

10 – السواح، موسوعة تاريخ الأديان(3/ 15).

ويبدو هذا الأمر جليا في أساطير اليونان والرومان، فكان العظماء يوصفون بأنهم أبناء الآلهة، وكما هو الأمر في الحضارات السابقة فقد كان ينظر إلى الملوك على أنهم أبناء الآلهة، فالإسكندر المقدوني قد ولد نتيجة مضاجعة الإله زيوس الذي اتخذ شكل ثعبان لوالدته، ومن هنا فقد كان يدعي أن زيوس الإله العظيم هو أبوه[1].

ليس هذا فحسب بل إن الأبطال كانوا في تلك الحضارة يرتقون إلى مصاف الآلهة، وتقدم لهم صنوف العبادة، فقد عرفت في الحضارة اليونانية عبادة الأبطال، وقد كان البطل يقوم بدور الوسيط ما بين البشر والآلهة[2]، وحتى يقوم البطل بذلك الدور كان لا بد أن يكون فيه شيء من الألوهية، من هنا نرى الأبطال في الحضارتين اليونانية والرومانية يصبحون أبناء للآلهة، ولعل أشهر من ينطبق عليه هذا الأمر هو" هرقل" فعلى الرغم من أن هرقل كان في بداية أمره بشرا ولد من أبوين بشريين، إلا أن اليونان يرون أن أباه الحقيقي هو الإله" زيوس" الذي اتخذ شكل الأب البشري لهرقل عندما كان ذلك الأب غائبا في إحدى معاركه، وضاجع زوجته فأنجبت" هرقل"[3].

وثمة ديانة انتشرت في الحضارة اليونانية وهي الديانة السرية، وهي ما عبر عنه صاحب قصة الحضارة بالتخفي وهو احتفال سري يكشف فيه عن رموز مقدسة، وتقام فيه رموز طقسية، لا يتعبد بها إلا المطلعون على أسرارها، وكانت هذه الطقوس تمثل في العادة تعذب إله من الآلهة، وموته وبعثه، أو تحيي ذكرى هذا العذاب والموت والبعث[4].

وقد كانت خلاصة ذلك الاحتفال زواج خفي ما بين كاهن يمثل الإله زيوس، وكاهنة تمثل الآلهة ديميتر، وكانت ثمرة ذلك الزواج تأتي سريعا بالإعلان عن ولادة غلام مقدس[5]، ودائما كان هذا الغلام المقدس إلها وابن إله، ويحتمل أن اليونانيين قد حاولوا من خلاله إيجاد علاقة بينهم وبين الإله غير علاقة العبد والسيد، وهذه العلاقة

---

[1] – باسوك، المسيحية وأساطير التجسد، ص(**20**).

[2] – السواح، موسوعة تاريخ الأديان(**3/ 160**).

[3] – المرجع السابق(**3/ 162**) وبارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص(**52**). وديورانت، قصة الحضارة، المجلد الثاني، ص(**44**).وعجيبة، دراسات في الأديان، ص(**152**)

[4] – ديورانت، قصة الحضارة، المجلد الثاني، ترجمة محمد بدران، ص(**44**). وعجيبة، دراسات في الأديان، ص(**160**).

[5] – ديورانت، قصة الحضارة، المجلد الثاني، ص(**191**).

الجديدة هي علاقة تقرب فاتحاد، تضمن للناس السعادة الإلهية[1].

أما أهم الأسرار والطقوس التي كانت موجودة في تلك الديانة فهي التطهر، من خلال الاغتسال بالماء، ثم المشاركة في وجبة عشاء رباني، للوصول في نهاية الأمر إلى التوحد، ويقصد به دخول الله في شخص المتعبد، حتى ليعتقد أنه اتحد مع الله في واحد[2].

إذا فهذا هو التصور السائد لتلك الديانات التي كانت منتشرة قبل وأثناء مجيء الديانتين اليهودية والنصرانية، والطابع المميز لها جميعا هو صبغ الألوهية بالصبغة البشرية، فعندما يكون الإله من اختراع البشر فلا بد وأن يكون ضمن المقاييس البشرية، وإذا كان الأمر كذلك فإنه لا مناص من أن ينسب إلى الإله الدور والمقام الاجتماعي، ومن ذلك الأبوة والبنوة، ولعله من حقنا الآن أن نتساءل عن مدى تأثير تلك الديانات على ديانتي أهل الكتاب عامة، وعلى نسبتهم الأبناء إلى الله تعالى بوجه خاص؟

---

[1] – عجيبة، دراسات في الأديان، ص(163).

[2] – المرجع السابق، ص(167).

الفصل الأول: أهل الكتاب

تمهيد

المبحث الأول: اليهود

المطلب الأول: أسماؤهم

المطلب الثاني: فرقهم

المطلب الثالث: نصوصهم المقدس

المبحث الثاني: النصارى

المطلب الأول: أسماؤهم

المطلب الثاني: فرقهم

المطلب الثالث: نصوصهم المقدسة

تمهيد

لقد عالج القرآن الكريم في ثناياه كثيرا من المواضيع المرتبطة بحياة المسلمين ومجتمعهم، ويأتي موضوع أهل الكتاب في مقدمة هذه المواضيع، وأكثرها أهمية. وهو في علاجه لهذا الموضوع نجده يستخدم تعبيرات مختلفة، سواء أكان ذلك في إخباره عنهم، أو خطابه لهم، أو في خطابه للمسلمين فيما يتعلق بشأنهم، والقرآن قد يجمل أحيانا: فيعبر عنهم ببني إسرائيل أو الذين أوتوا الكتاب أو الذين آتيناهم الكتاب أو أهل الكتاب، وقد يفصل أحيانا كما هو تعبير اليهود والنصارى، والفرق ما بين الأسلوبين في التعبير أن الأسلوب الثاني دائما يكون عند حديث القرآن عن أمور فيها اختلاف واضح وتعارض ما بين اليهود والنصارى.

والقرآن في استخدامه للأسلوب الأول نجده يذكِّر كلًّا من اليهود والنصارى بأحد أمرين ينبغي أن يكون كلٌّ واحد منهما دافعا لهم إلى اتباع الحق، وانتهاج المنهج الصحيح، فهو عندما يُعبر عنهم ببني إسرائيل فإنما يربطهم بنبي من الأنبياء يرتبط به نسلهم، وهو يعقوب عليه السلام، الذي دعا إلى التوحيد الخالص، فينبغي عليهم الاستجابة لتلك الدعوة لا تبديلها والانحراف عنها، وكذلك الأمر عندما يُعبر عنهم بتعبير من تلك التعبيرات المرتبطة بالكتاب، ففي ذلك خطاب ضمني لهم، يحثهم على تلاوة تلك الكتب التي نزلت عليهم حق التلاوة؛ بأن يحلُّوا حلالها، ويحرموا حرامها، ويقرأوها كما أُنزلت، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يتأولون منه شيئا على غير تأويله[1]، وهذا يؤدي بدوره إلى اتباع الحق، وعدم الخروج عن طريق الوحي، حيث هذه الكتب السماوية مصدرها واحد، فلا بد وأن تكون مؤتلفة في مضمونها غير مختلفة، يُصدِّق بعضها بعضا، ويهيمن اللاحق منها على السابق.

والتعبير عن اليهود والنصارى بتلك التعبيرات المرتبطة بلفظ الكتاب إنَّما هو تعبير قرآني خالص، ولكنَّه لم يأت على وتيرة واحدة، وإنما استخدمه القرآن في حيثيات مختلفة، وليدل على دلالات مختلفة كذلك، ونظرا لاختلاف دلالة هذه التعابير تبعا للسياق القرآني الذي ترد فيه، كان لا بد من الوقوف على ذلك وبيانه، كيف لا

---

[1] – إسماعيل ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي محمد، ط2، دار طيبة، المدينة المنـــورة، 1420هـــــ– 1999م ، (1/ 403).

وقد أصبح مصطلح" أهل الكتاب" مستندا للتشكيك في القرآن الكريم، ومطية يمتطيها تلامذة اليهود وأتباعهم عند حديثهم عن موقف القرآن من أهل الكتاب، وعلاقة المسلمين بهم، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر أن القرآن مدح أهل الكتاب، وأنه متناقض في موقفه تجاههم، إلى غير ذلك من الاتهامات والشبه التي تثار في وسائل الإعلام عامَّة، وفي صفحات الانترنت خاصَّة[1]، ومن هنا كان لا بد من تتبع هذا المصطلح في القرآن الكريم والكشف عن صيغه ودلالاته.

إنَّ المتتبع لحديث القرآن عن اليهود والنصارى يجده قد استخدم مصطلح أهل الكتاب للدلالة عليهما معا، أو للدلالة على أحدهما، وقد جاء هذا المصطلح بصيغ ثلاثة؛ الذين أوتوا الكتاب أو نصيبا من الكتاب، الذين آتيناهم الكتاب، وأهل الكتاب، فهل اختلاف هذه الصيغ يتبعه اختلاف في دلالتها؟

لعل من البديهي القول إنَّ مصطلح أهل الكتاب إذا أطلق فإنما يقصد به اليهود والنصارى، وقد يقصد به اليهود أو النصارى كلاهما، وذلك بحسب السياق القرآني الذي يرد فيه، وذلك استنادا إلى أمرين:- أولهما: أنَّ أهل الشيء هم الذين يجمعهم ذلك الشيء، ويربط بينهم. ثانيهما: أنَّ المقصود بالكتاب التوراة أو الإنجيل أو كليهما، وهذا ما أشار إليه الراغب الأصفهاني(502هـ) في كتابه المفردات في غريب القرآن بقوله:(حيثما ذكر الله تعالى أهل الكتاب فإنَّما أراد بالكتاب التوراة والإنجيل وإياهما جميعا)[2]، ويؤيد هذا ما جاء في الحديث الصحيح من قول النبي ﷺ :" أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا، بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير)[3]، وقوله أيضا: " مثلكم ومثل أهل الكتابين من قبلكم...."[4] ، والمتتبع لهذا المصطلح في القرآن يجده ورد بصيغ ثلاث؛ أهل الكتاب، الذين آتيناهم الكتاب، والذين أوتوا الكتاب.

---

[1] – انظر على سبيل المثال موقع أهل القرآن
http://www.ahl-alquran.com/arabic/show_article.php?main_id=4110

[2] - الحسين بن محمد،الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد خليل عيتاني، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، 1418هـ – 1998م، ص(427).

[3] – مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، د. ط، دار الجيل، بيروت، كتاب الإيمان، باب قوله تعالى:" وإن تبدوا ما في أنفسكم..."، (1/ 80).

[4] – محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، تحقيق مصطفى البغا، ط3، دار ابن كثير، بيروت، 1407هـ– 1987م، كتاب الإجارة، باب الإجارة إلى نصف النهار، (2/ 791).

وأول هذه الصيغ استخداما هو الذين أوتوا الكتاب، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[1]، وجاءت صيغة أهل الكتاب بعد الصيغة الأولى، وذلك في قوله تعالى: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ﴾[2]، ثم جاءت صيغة الذين آتيناهم الكتاب، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾[3] من سورة البقرة كذلك.

ويلاحظ أن التعبير بالصيغة الأولى غالبا ما ينطوي على ذمهم، وبيان الجانب السيئ في حقيقتهم، من ذلك على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾[6]، قلت: لعل السبب في مجيء التعبير في هذه الصيغة بالبناء للمجهول هو إعراض المولى ﷻ عن ذكر نفسه في هذا المقام الذي ينطوي على الذم.

---

1 – البقرة: ١٠١

2 – البقرة: ١٠٥

3 – البقرة: ١٢١

4 – البقرة: 101

5 – آل عمران: ١٨٧

6 – النساء: ٥١

أما الصيغة الثانية(أهل الكتاب) فيلاحـــظ أنها جـــاءت أشمل من ســـابقتها، وهي كذلك أشمل من لاحقتها كما سيأتي ؛ فهي تشتمل على كلا الأمرين من المدح والذم، والذم هو الأغلب، مثال المدح قوله تعالى: ﴿ ۞ لَيْسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾[1]، ومثال الذم قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[2]، ومثالهما معا: ﴿ ۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَادُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[3]، كما تشتمل هذه الصيغة على دعوهم إلى الدخول في الإسلام، واتباع نبيه ﷺ ، إضافة إلى ما كان خطابا للمؤمنين وتوجيها لهم في بعض جوانب علاقتهم بأهل الكتاب، كالمجادلة بالتي هي أحسن.

أما الصيغة الثالثة(الذين آتيناهم الكتاب) فيلاحظ عليها أنها تنطوي على المدح والإشادة بمناقب فريق منهم عرفوا الحق واتبعوه، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾[4].

وقد كان ابن قيم الجوزية(691- 751هـ) رحمه الله في مقدمة من تنبهوا إلى هذه الفروق بين هذه التعبيرات، فها هو يقول في كتابه" مفتاح دار السعادة":(فالأقسام أربعة الذين آتيناهم الكتاب، وهذا لا يذكره سبحانه إلا في معرض المدح، والذين أوتوا نصيبا من الكتاب لا يكون قط إلا في معرض الذم، والذين أوتوا الكتاب اعم منه فإنه قد يتناولهما، ولكن لا يفرد به الممدوحون قط، ويا أهل الكتاب يعم الجنس كله، ويتناول

---

1 – آل عمران: 113، وآل عمران: 199.

2 – آل عمران: 78.

3 – آل عمران: 75.

4 – البقرة: ١٢١

الممدوح منه والمذموم كقوله: ﴿ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾[1]،

وقال في الذم: ﴿ لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ﴿١﴾ ﴾[2])[3] . قلت والغالب في التعبير عنهم بأهل الكتاب هو الذم، ولعل ذلك عائد إلى قسوة قلوبهم، ونفرتهم من الحق، وعدم تلاوتهم لكتابهم حق التلاوة، وإقامة ما فيه.

وعليه فالقرآن الكريم عندما يعبر عنهم بأهل الكتاب غالبا ما يكشف جانبا من جوانب انحرافهم وبعدهم عن الحق، وهو كذلك يقرعهم على ذلك الانحراف، وفي الوقت نفسه يدعوهم إلى الرجوع إلى الحق، والإذعان إليه، مذكرا إياهم بما نزل إليهم من الحق، فالأجدر بهم والأولى لهم إقامة ما في كتبهم من الحق، والابتعاد عن جميع مظاهر الانحراف قولا وفعلا واعتقادا.

وفي هذا المقام أرى أنه لا بد لي من الوقوف عند آيتين من آيات الذكر الحكيم، الآية الأولى، قوله تعالى في سورة النساء:- ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ ﴾[4]، والثانية، قوله تعالى في سورة المائدة:- ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾[5]، ففي كلتا الآيتين جاء التعبير بأهل الكتاب، وهما تشيران إلى مظهر خطير من مظاهر الانحراف، وهو الغلو في الدين بنسبة الولد إلى الله تعالى في الآية الأولى، وبتقليد أهل الكفر والضلال في الآية الثانية، وقد جمع القرآن الكريم ما

[1] – آل عمران: **113**

[2] – البينة: **1**.

[3]– محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، الطبعة الأولى، دار ابـــن عفـــان، السعودية، **1416**هـــ– **1996**م، ج(**1**) ص(**350**).

[4] – النساء: **171**.

[5] – المائدة: **77**.

بين هذين المظهرين في آية سورة التوبة:- ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[1]، وفيه كذلك دعوة لهم إلى نبذ هذا الانحراف، والرجوع إلى جادة الحق والصواب، وذلك من خلال تذكيرهم بالكتاب الذي أنزله تعالى عليهم، وكأني بالقرآن يقول لهم:- لا عذر لكم بهذا الانحراف أبدا، فأنتم أهل الكتاب، وعليكم نزل الحق، فالأصل أن تكونوا قدوة للناس، تهدونهم إلى الحق، لا أن تتبعوا الكفار وتقلدوهم بنسبة الولد إلى الله تعالى، وبالتالي فكفركم صريح، وذنبكم قبيح، ولا حجة لكم أبدا.

هذا ويكمن في التعبير بأهل الكتاب سر آخر من الأسرار القرآنية العظيمة، وهو أن قائلا ربما يقول[2]:- إن الكتاب الذي نزل على اليهود غير الذي نزل على النصارى، فلماذا لا يقول القرآن يا أهل الكتب؟ أو يا أهل الكتابين؟ وبعبارة أخرى لماذا يجمع القرآن بينهم على الرغم من تعدد واختلاف الكتاب الذي نزل على كل منهم؟ وللإجابة أقول: إن هذه الكتب على الرغم من تعددها إلا أن مصدرها واحد، وهي وإن اختلفت في تشريعاتها وزمن نزولها، إلا أنها اجتمعت على الدعوة إلى التوحيد الخالص لله تعالى، وهذا هو شأن جميع الكتب التي أنزلها الله تعالى، فالأصل في أهل هذه الكتب الاجتماع على ما جاء فيها من الكلمة السواء، وهي التوحيد الخالص لله تعالى، لا أن تكون هذه الكتب حجة باطلة، ومستندا زائفا للفرقة والاختلاف، والتعصب واتباع الهوى.

وقد يسأل سائل فيقول: لماذا اختص اليهود والنصارى بهذا الاسم، علما بأنه قد نزل من السماء غير هذين الكتابين؟ والجواب أن القرآن الكريم هو الذي خصهما بهذا الاسم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ

---

[1] - التوبة: **30**.

[2] - بل لقد قال قائلهم هذا الكلام انظر ما يقوله فارس اندراوس في موسوعة تاريخ أقباط مصر: فاليهود عندهم كتب كثيرة موحى بها ولا يؤمنون بالإنجيل ، والمسيحيين يؤمنون بكل الكتب التي يؤمن بها اليهود الموحى بها من الإله ، فأي منهم يقصد بكلمة أهل الكتاب وكان المفروض أن يقول أهل الكتب .. ثم إن الذي نؤمن به ليس كتاباً واحداً مثل القرآن ولكنه كتب موحى بها فنحن نؤمن بأن كتب الأنبياء التي معنا هي كتب موحى بها فأي كتاب قصد من هذه الكتب العديدة التي يؤمن بها اليهود والمسيحيون **http://www.coptichistory.org/new_page_6849.htm**

أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ ﴾[1] ، ولعل السبب في ذلك أنهما الكتابان الباقيان حتى زمن نزول القرآن الكريم، أما الزبور فإن صح أنه هو المزامير فهو داخل في كتب أهل الكتاب، هذا من جانب، وداود عليه السلام من أنبياءهم من جانب آخر.

ومن هنا فقد جعلت التعبير في عنوان هذه الرسالة بأهل الكتاب، اقتداء بالقرآن الكريم في بيان كفرهم وانحرافهم بنسبتهم الولد إلى الله تعالى، وليكون ذلك في الوقت نفسه دعوة لهم إلى الرجوع إلى الحق، واتباع سيد المرسلين، الذي جاء بالتوحيد الخالص لله تعالى، لا أن يتبعوا أهواء الكفار الذين ضلوا من قبل، وأضلوا غيرهم بنسبتهم الولد إلى الله تعالى، كيف لا؟ وهم لا يستندون في ذلك إلا إلى قول بالأفواه لا دليل عليه، ولا حجة مع صاحبه.

---

[1] – المائدة: 156.

المبحث الأول: اليهود

المطلب الأول: أسماؤهم

المطلب الثاني: فرقهم

المطلب الثالث: نصوصهم المقدس

المطلب الأول: أسماؤهم

عرف اليهود عبر تاريخهم بثلاثة أسماء، هي: العبرانيون، بنو إسرائيل واليهود، أما العبرانيون فقد نقل لنا الدكتور عرفان عبد الحميد مجمل الآراء حول هذه التسمية فيقول: أما لفظة(العبرانيين)، فالشائع في تفسيرها أنها مشتقة من الفعل(عابار) الذي يعني الطرف الآخر؛ دلالة على مجيء إبراهيم عليه السلام من الطرف الآخر لنهر الفرات، ومن العلماء من يرى أنها مشتقة من(هيبرو) أو (خبيرو) وهو اسم للقبائل السامية البدوية المتنقلة التي ظهرت– بادئ ذي بدء– في غربي آسيا في الفترة ما بين 2000– 1200 ق. م. وقد عرف بهذا الاسم سيدنا إبراهيم وعائلته بعد نزوحهم إلى أرض كنعان(فلسطين) من حران. وثمة رأي ينقله الدكتور عرفان عن وليم. ف. البرايت أستاذ اللغات السامية بجامعة هارفرد الأمريكية مفاده: أن كلمة عبري تعني سائق الحمار، إشارة إلى الغبار؛ بزعم أن هذه القبائل الراحلة كانت تثير الغبار أثناء انتقالها وسيرها على الطرق الترابية[1].

وقد حاول كتاب العهد القديم توثيق علاقتهم بإبراهيم عليه السلام حيث ذهبوا إلى أنه أول من وصف بهذا الوصف، فقد سمته التوراة أبرام العبراني[2].

قلت وفي هذا المقام يجب على الباحث أن يكون حذرا كل الحذر، فلا ينساق بقلمه وراء ما يدعيه اليهود، ويحاولون إثباته من انتسابهم لإبراهيم عليه السلام واختصاصهم به، وهذا خطأ يقع فيه الكثير من الباحثين، وينساقون من حيث لا يدرون وراء اليهود، بل ربما وصل الأمر ببعضهم إلى تقرير وجهات نظر يهودية، بذل اليهود الغالي والنفيس لإثباتها وإقناع البشر بها، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر، أن اليهود بوصفهم عبريين ينحدرون من إبراهيم عليه السلام نسبا وتاريخا ولغة وعقيدة، ومنها كذلك أنهم بعبورهم هذا قد جاءوا إلى ارض خالية من السكان فسكنوها، ونتيجة هذا كله أن يقنع العالم وبكل بساطة أنهم أصحاب هذه الأرض وأهلها

---

[1] – انظر عرفان عبد الحميد، اليهودية، الطبعة الأولى، دار عمار، عمان، ودار البيارق، بيروت، 1417هـ – 1997م، ص(20،21). و أحمد شلبي، اليهودية، ط8، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1988م، ص(85). وانظر كذلك: ماجد عبد الرشيد، صحيفة الأيام، السبت 2008/08/30 – 5494 .

[2] – تك[14: 13]

الأولون، فلا ينبغي أن ينازعهم فيها منازع، بل يجب على العالم كله أن يساعدهم على العودة إلى ملكهم القديم. فهم نسل الأنبياء، وورثتهم على ما يدعون.

وكما تقدم فهذه التسمية تدور على معنى العبور الذي يتضمن التحول والانتقال، وهذه القبائل كانت تتحول وتنتقل من مكان إلى آخر طلبا للماء والعشب، وإبراهيم عليه السلام واحد ممن عبروا، ولكن دافعه للعبور لم يكن يوما من الأيام بحثا عن ماء أو عن عشب، وإنما الذي دفعه إلى التحول والانتقال من مكان إلى آخر هو الهجرة إلى الله تعالى ومحاولة إقامة دينه في الأرض: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾[1]، وبالتالي فالصواب أن يقال إن إبراهيم عليه السلام هو الذي ينتسب إلى تلك القبائل السامية في أصل الموضوع، ولكن الذين حاولوا احتلال فلسطين من بعده اجتهدوا في أن ينسبوا أنفسهم إليه زورا وبهتانا، وبغير هذا فلن تستقيم الأمور إطلاقا، ولو كان الأمر كما يدعون لانتقلت هذه التسمية إلى كل من هم من نسل إبراهيم عليه السلام، ولكان إسماعيل وذريته أولى بها من بني إسحاق، ولما لم يكن الأمر كذلك فقد ثبت بطلان وتهافت ما ذهب إليه اليهود ومن جر جرهم، وهذا الذي قلته هو ما ينسجم مع القرآن الكريم عندما نفى كل صلة لليهود بإبراهيم عليه السلام: ﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[2]، بل هو ما ينسجم مع القرآن الكريم عندما عاب على أولئك الجهلة الحجاج في شأن إبراهيم عليه السلام مستندين في ذلك إلى التوراة التي لم تكن نزلت في ذلك الزمن، والتي لم يكن من شأنها تقرير صلة أحد من البشر بإبراهيم عليه السلام: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[3]، وعليه فكل من يحاول إلصاق اليهود بإبراهيم عليه السلام بناء على وصف التوراة له بالعبراني يعتبر شخصا تنازل عن المنهج، بل تنازل عن عقله ودينه من حيث لا يدري.

---

[1] – العنكبوت: 26

[2] – آل عمران: 67.

[3] – آل عمران: 65.

أما الاسم الثاني الذي عرف به القوم فهو(بنو إسرائيل) ويحاولون الرجوع فيه إلى يعقوب عليه السلام، ولكن ليس بوصفه نبيا من الأنبياء، ولكن لأنه تصارع مع ربهم فغلبه، كما جاء في التوراة[1]، وعندما حاولوا تلطيف الأمر جعلوه يصارع ملكا من الملائكة ويغلبه، لتكون نتيجة هذا الفوز المبهر تغيير الاسم من يعقوب إلى إسرائيل، ومنحه البركة، وتقديم الوعد الإلهي بإعطائه ارض فلسطين له ولذريته. قلت وليس ذلك غريبا من اليهود، ولكن الغريب أن تجد مسلما وفي تحقيقه لكتاب من كتب العلماء المسلمين يتبنى هذا الرأي، فها هو عبد المجيد دياب يقول في مقدمة تحقيقه لكتاب المقريزي تاريخ اليهود وآثارهم في مصر: والسبب في تسمية يعقوب بإسرائيل أن الله سخر له أحد الملائكة لمغالبته. فثبت يعقوب وقدر بإذن الله، رمزا لتحقيق ما وعده الله به من المستقبل العظيم.... وسماه " يسرائيل"؛ لأنه غالب الملك وقدر عليه[2]. ويظهر أن هذا الرجل قد شعر بفظاعة ما يبدو أنه ينقله عن احد المصادر اليهودية دون أن يشير إلى ذلك، فحاول التخفيف من حدة الأمر بأن جعل انتصار يعقوب على الملك بمشيئة الله تعالى. لكن الأمر على خلاف ذلك فالنص لا وجود فيه لذكر ملاك إطلاقا، وإنما كان الصراع بين يعقوب وإله اليهود، وقد تعرض الدكتور عبد الوهاب المسيري لهذه الترجمة فقال:– يسرائيل كلمة عبرية قديمة غامضة المعنى، يمكن تقسيمها إلى (يسرا) أي الذي يحترب أو يصارع، و(أيل) وهو الأصل السامي لكلمة إلــه، والكلمة تعني حرفياً الذي يصارع الإلــه أو جندي الإلــه إيل، وفي كل التفسيرات معنيان أساسيان هما معنى الصراع والحرب، ومعنى القداسة[3]. قلت لما كان القرآن الكريم قد أثبت هذا الاسم ليعقوب عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٣ ﴾ [4]، فلا يمكن أن يكون معنى الاسم هو ما تقدم، وإنما الصحيح ما ذهب إليه المفسرون المسلمون من أن معنى إسرائيل هو عبد الله وصفوته من خلقه[5].

---

[1] – تك[22: 25– 35].

[2] – عبد المجيد دياب، في تحقيقه لكتاب المقريزي، تاريخ اليهود وآثارهم في مصر، دون طبعة، دار الفضيلة، القاهرة، ص(18).

[3] - عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية، ط1، دار الشروق، القاهرة 1999م، (2/ 206).

[4] – آل عمران: ٩٣

[5] – محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420هــ–

بقي الاسم الثالث(اليهود) وهو أشهر هذه الأسماء وأوسعها انتشارا، وقد ورد هذا الاسم في سفر يشوع ليدل على اسم مكان، وذلك أثناء تقسيم يشوع للأراضي على أسباط بني إسرائيل، على ما يدعيه الكتاب المقدس:- ويهود وبني برق وجت رمون[1]، ثم جاءت في سفر الملوك الثاني: في ذلك الوقت أرجع رصين[2] ملك آرام أيلة[3] للآراميين وطرد اليهود من أيلة وجاء الآراميون[4] إلى أيلة وأقاموا هناك إلى هذا اليوم[5]. وقد جاء في دائرة المعارف الكتابية أن كلمة يهود مشتقة من يهوذا الابن الرابع ليعقوب عليه السلام من زوجته ليئة[6]، وقد أطلقت كلمة يهود أولا على بني يهوذا الذين طردهم رصين ملك آرام من أيلة على خليج العقبة.[7] وتتابع دائرة المعارف أن هذا الاسم أصبح اسما عاما لكل بني إسرائيل قبل السبي البابلي، تمييزا لهم عن غيرهم من الأمم المحيطة بهم، وعندما كانوا في السبي البابلي اتسع مرمى الكلمة ليشمل كل أتباع الديانة اليهودية[8] .

وجاء في قاموس الكتاب المقدس: إن كلمة يهود أطلقت أولا على سبط أو مملكة يهوذا[9] تمييزا لهم عن الأسباط العشرة الذين سموا إسرائيل إلى أن تشتت الأسباط، وأُخذ يهوذا إلى السبي، ثم توسع معناها فصارت تشمل جميع من رجعوا من الأسر من الجنس العبراني، ثم صارت تُطلق على جميع اليهود المشتتين في العالم[10].

أما المصادر الإسلامية فقد أجملتها كتب التفسير، يقول الإمام الرازي: في تفسيره لقوله تعالى:- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ

2000م، (1/ 553). و انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي محمد، ط2، دار طيبة، المدينة المنورة، 1420هـ- 1999م (1/ 241).

[1] – يش[19: 54]. وهذه الأسماء أسماء مدن كانت في فلسطين، تنظر في بابها، في قاموس الكتاب المقدس.

2 – أحد ملوك الآراميين. نخبة من الأساتذة، قاموس الكتاب المقدس، ط11، دار الثقافة، القاهرة، 1997م، ص(405).

[3] – أيلة: اسم بلدة على الطرف الشمالي للبحر الأحمر، وهي العقبة حاليا. نخبة من الأساتذة، قاموس الكتاب المقدس، ص(143).

[4] – نسبة إلى آرام بن سام، وهم الذين سكنوا سوريا فيما بعد، وإليهم تنسب اللغة الآرامية، التي أصبحت أشهر لغات العهد القديم. ملاك محارب، دليل العهد القديم، د. ط، أبناء الأنبا رويس، القاهرة، د. ت. ن، ص(156).

[5] – 2مل[16: 6]

[6] – تك[29: 31- 35]

[7] – نخبة من الأساتذة، دائرة المعارف الكتابية، مادة يهود.

[8] – عز[9: 1] و[10: 4] ونح[13: 24].

[9] – 2مل[16: 6] و[25: 25].

[10] – قاموس الكتاب المقدس ص(1084). وانظر: اس[2: 25]. ومت[2: 2].

﴿رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[1]:- أما قوله تعالى: { وَٱلَّذِينَ هَادُواْ } فقد اختلفوا في اشتقاقه على وجوه. أحدها: إنما سموا به حين تابوا من عبادة العجل وقالوا:{ إِنَّا هُدْنَـــا إِلَيْكَ }[2] أي تبنا ورجعنا، وهو عن ابن عباس. وثانيها: سموا به لأنهم نسبوا إلى يهوذا أكبر ولد يعقوب، وإنما قالت العرب بالدال للتعريب، فإن العرب إذا نقلوا أسماء من العجمية إلى لغتهم غيروا بعض حروفها. وثالثها: قال أبو عمرو بن العلاء[3]: سُمُّوا بذلك لأنهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة[4].

أما ابن عاشور فيجمع في تفسيره ما بين وجهات النظر المختلفة، فيقول:- و{ الذين هادوا } هم بنو إسرائيل وقد مضى الكلام عليهم وإنما نذكر هنا وجه وصفهم بالذين هادوا، ومعنى (هادوا) كانوا يهوداً أو دانوا بدين اليهود. وأصل اسم يهود منقول في العربية من العبرانية وهو في العبرانية بذال معجمة في آخره، وهو علم أحد أسباط إسرائيل، وهذا الاسم أطلق على بني إسرائيل بعد موت سليمان سنة **975** قبل المسيح فإن مملكة إسرائيل انقسمت بعد موته إلى مملكتين: مملكة رحبعام بن سليمان، ولم يتبعه إلا سِبط يهوذا وسبط بِنْيَامِين، وتُلقب بمملكة يهوذا؛ لأن معظم أتباعه من سبط يهوذا، وجعل مقر مملكته هو مقر أبيه (أورشليم)، ومملكة مَلِكُها يورْبعام بن بناط غلام سليمان، وكان شجاعاً نجيباً فملَّكَتْه بقية الأسباط العشرة عليهم، وجَعل مقر مملكته السامرة، وتلقب بمملكة إسرائيل إلا أنه وقومه أفسدوا الديانة الموسوية وعبدوا الأوثان فلأجل ذلك انفصلوا عن الجامعة الإسرائيلية، ولم يدم ملكهم في السامرة إلا مائتين ونيفاً وخمسين سنة، ثم انقرضوا على يد ملوك الآشوريين فاستأصلوا الإسرائيليين الذين بالسامرة وخربوها ونقلوا بني إسرائيل إلى بلاد آشور عبيداً لهم، وأسكنوا بلاد السامرة فريقاً من الآشوريين، فمن يومئذ لم يبق لبني إسرائيل مُلك إلا مُلك يهوذا بأورشليم يتداوله أبناءُ سليمان عليه السلام، فمنذ ذلك غلب على بني إسرائيل اسم يَهود أي يَهوذا ودام ملكهم هذا إلى حد سنة **120** قبل المسيح

---

[1] – البقرة: **62**.

[2] – الأعراف: **156**.

3 – أبو عمرو بن العلاء بن عمار المازني البصري، أحد القراء السبعة، ولد في مكة المكرمة **65**هـ، وتوفي في الكوفة بعد **150**هـ.. أحمد بن محمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، د، ط، دار صادر بيروت، (**3/ 466** وما بعدها).

[4] – انظر محمد بن عمر الرازي، النفسير الكبير، د. ط، دار إحياء التراث، د.ت. ن، (**3/ 535**). وابن كثير، تفسير القرآن العظيم(**1/ 285**).

في زمن الإمبراطور أدريان الروماني الذي أجلى اليهود الجلاءَ الأخير فتفرقوا في الأقطار باسم اليهود هم ومن التحق بهم من فلول بقية الأسباط. ولعل هذا وجه اختيار لفظ { الذين هادوا } في الآية دون اليهود للإشارة إلى أنهم الذين انتسبوا إلى اليهود ولو لم يكونوا من سبط يهوذا. ثم صار اسم اليهود مطلقاً على المتدينين بدين التوراة، قال تعالى: { وقالت اليهود ليست النصارى على شيء }[1]، ويقال تَهوّد إذا اتبع شريعة التوراة وفي الحديث: " يولد الولد على الفطرة ثم يكون أبواه هما اللذان يهوِّدانِه أو ينصِّرانه أو يمَجِّسانه "[2] ويقال: هاد إذا دان باليهودية، قال تعالى: { وعلى الذين هادوا حرَّمنا كل ذي ظفر }[3]. وأما ما في سورة الأعراف (156) من قول موسى:{ إنَّا هدنا إليك } فذلك بمعنى المتاب[4]. ويجعل الشهرستاني معنى اليهود يدور حول هاد الرجل: أي رجع وتاب. وإنما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام: إنا هدنا إليك- أي رجعنا وتضرعنا[5]. وقد أشار الدكتور احمد شلبي إلى أن هذه التسمية قد أطلقت عليهم من قبل الفرس، وأطلقوا على ديانتهم اسم اليهودية، ومن ذلك التاريخ أصبحت كلمة اليهود تعني من اعتنق اليهودية ولو لم يكن من بني إسرائيل[6].

---

[1] – البقرة: 113.

2 – نص الحديث هو ما يرويه أبو هريرة عن النبي ﷺ:" ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء". البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات.(1/ 456). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة.

[3] – الأنعام: 146.

[4] – محمد الطاهر بن عاشور، ، التحرير والتنوير، الطبعة التونسية، دار سحنون، تونس 1997م، (1/ 532).

[5] – محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق أمير مهنا وعلي فاعود، ط6، دار المعرفة، بيروت 1417هـ-1997م، (1/ 250).

[6] – أحمد شلبي، اليهودية، ص(86).

المطلب الثاني: فرقهم

افترق اليهود إلى فرق كثيرة، منها ما انقرض كفرقة، ولكنه ما زالت موجودا فكرا وعقيدة، ومنها ما زال موجودا حتى يومنا هذا، وسأشير في هذه العجالة إلى أشهر الفرق اليهودية، وهي: الفريسيون، الصدوقيون، الأسينيون، السامريون، العيسوية، القراؤون، والحسيديون.

أول هذه الفرق هي فرقة الفريسيين، وهي من أشد الفرق تأثيرا في حياة اليهود، ذلك أنهم جعلوا لأنفسهم حق فهم النصوص اليهودية المقدسة وتطبيقها، وهم في ذلك الفهم والتطبيق يقفون عند ظواهر النصوص ما أمكنهم ذلك، واسم الفريسيين يعني المنعزلين أو المنشقين، ويُعتقد أن اللفظ "فريسي" مشتق من الكلمة العبرية "فرش" بمعنى "فرز أو عزل أو فصل" وعليه فالفريسيون هم "المنفرزون" أو "المنعزلون" ولكن لا يعرف على وجه اليقين أصل هذه الطائفة من اليهود[1]. ولعل هذه التسمية قد أطلقت عليهم من أعدائهم، ولذلك فهم ينفرون منها ويطلقون على أنفسهم اسم الأحبار أو الأخوة في الله أو الربانيين[2].

ويعتقد الفريسيون بأن أسفار التوراة الخمسة الأولى خلقت منذ الأزل، وكانت مدونة على الألواح، وهذه الألواح مقدسة عند الله مكتوبة قبل أن يخلق آدم باثنين وعشرين قرنا[3]، و بالتالي فإنهم ينظرون إلى التوراة على أنها بنت الله تعالى[4].

بالإضافة للتوراة ككتاب مقدس يعتقد الفريسيون بالتلمود، الذي كان في بداية الأمر عبارة عن روايات شفوية، ويرون أن هذه الروايات أقدم وأقدس من التوراة، وأرى أن سبب تقديسهم للتلمود ووضعه في مرتبة أعلى من التوراة أنهم ضمنوا فيه أفكارهم التي استطاعوا من خلالها السيطرة على عقول غيرهم من اليهود.

بقي أن نشير إلى أهم معتقدات هذه الفرقة وهي:-

أولا:- أنها تعترف بجميع أسفار العهد القديم والأحاديث الشفوية المنسوبة إلى موسى وأسفار التلمود.

ثانيا:- أنها تؤمن بالبعث، وقيامة الأموات.

---

[1] - دائرة المعارف الكتابية، مادة فريسيين.

[2] - شلبي، اليهودية، ص(218).

[3] - همو، الفرق والمذاهب اليهودية، ص(55).

4- انظر لاحقا ص(287).

ثالثا:– أنهم يؤمنون بعالم الملائكة.

رابعا:– أنهم يؤمنون بمسيح يأتي في آخر الزمن ليقيم ملكوت الله[1].

أما الفرقة الثانية فرقة الصدوقيين، فتعتبر هي الفرقة المعارضة لفرقة الفريسيين والمنافسة لها، ، ولقد عرضت دائرة المعارف الكتابية لأسباب هذه التسمية، وهي على النحو التالي:–

أ – جاء في كتابات أحد المعلمين اليهود (الربي ناثان– حوإلي1000م) أنهم أخذوا اسمهم عن "صادوق" أحد تلاميذ أنتيجونوس[2]. ويظن أن"صادوق" أساء فهم تعليم أستاذه فأنكر القيامة وحياة الدهر الآتي، وهكذا أسس الحزب على أساس هذه الآراء.

ب– يذكر أبيفانوس[3] في كتابه عن الهرطقات ، أن اسم الصدوقيين مشتق من الكلمة العبرية "صديق" (أي "بار").

جـــ– أما أكثر الآراء قبولاً الآن، فهو أن الاسم مشتق من اسم "صادوق" الكاهن الذي عاش في أيام الملك داود، ثم عينه سليمان رئيساً للكهنة [1 مل 2: 35]. وظلت ذريته تتولى رئاسة الكهنوت قرونا عديدة . ثم أصبحت الكلمة "صدوقيون" تطلق على كل من يناصر أولاد "صادوق" الذين كوَّنوا حزب "الصدوقيين"[4].

أما أهم معتقداتهم فهم ينكرون البعث والحياة الآخرة والجنة والنار، ويعتقدون أن جزاء الإنسان على أعماله يتم في هذه الدنيا، وهم على عكس الفريسيين لا يؤمنون سوى بالعهد القديم، ولكنَّهم لا ينظرون إليه على أنه مقدس قدسية مطلقة[5]. وهم ينكرون وجود الملائكة والشياطين. وينكرون كذلك المسيح المنتظر، كما أن هذه الفرقة كانت لا تؤمن بالقضاء والقدر على حد تعبير أحمد شلبي، أو أنها لا تؤمن بسبق التعيين على حد تعبير دائرة

---

[1] – شلبي، اليهودية، ص(218).

2 – أحد أحبار اليهود، وهو من سلسلة الأحبار التي يدعون أنهم تناقلوا التوراة الشفوية" التلمود". التلمود فصول الآباء، ترجمة شمعون مويال بعنوان التلمود أصله وتسلسله وآدابه، تقديم رشاد الشامي وليلى أبو المجد، ط1، الدار الثقافية، القاهرة 1425هـ– 2004م، ص(28).

[3] – أبيفانوس: أحد آباء الكنيسة ولد في فلسطين310م وتوفي في الهجر 402 أو403م. البستاني، دائرة المعارف، (2/ 412).

[4] – دائرة المعارف الكتابية، مادة صدوقيين، (5/ 9– 10). وشلبي، اليهودية، ص(221).

[5] – شلبي، اليهودية، مرجع سابق، ص(222).

المعارف الكتابية، وعليه فليس لله دخل في أفعال الناس، فالخير والشر في نظرهم ينحصران في دائرة إرادة الإنسان الحرة.

وجدير بالذكر في هذا المقام أن ابن حزم ذكر هذه الفرقة ونسبها إلى رجل يقال له صدوق، ونسب إليهم القول بأن عزيرا ابن الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا[1]، وسيأتي بحث هذه القضية تفصيلا في الفصول القادمة من هذا البحث بعونه تعالى.

وإذا ما انتقلنا إلى الفرقة الثالثة(فرقة الأسينيين) فهي فرقة دينية يهودية لم يأت ذكرها في العهد الجديد، وما ذُكر عنها في كتابات فيلون[2] ويوسيفوس[3] متناقض. ولعل هذا يدل على وجود خلافات في صفوف الأسينيين أنفسهم الذين لم يزد عددهم عن أربعة آلاف، وكانوا يمارسون شعائرهم شمال غرب البحر الميت في الفترة ما بين القرنين الثاني قبل الميلاد والأول الميلادي[4].

وكما تقدم فقد وصلتنا أخبار هذه الفرقة من خلال الفيلسوف فيلون اليهودي المولود حوالي 20 قبل الميلاد، والمؤرخ اليهودي يوسيفوس ، ومع اكتشاف ونشر مخطوطات قمران أصبح لدينا فكرة واضحة عنهم، فهم طائفة ذات تنظيم دقيق جدا، تهتم كثيرا بأمور الطهارة والاغتسال، تميل إلى التبتل وعدم الزواج، تهتم كثيرا بالتنجيم ومعرفة المستقبل، والناس ينقسمون في نظرهم إلى أبناء النور وأبناء الظلام، وتشكل عقيدة المسيح المخلص جانبا أساسيا من عقيدتهم، وأما بالنسبة لموقفهم من النصوص المقدسة فيظهر أنه كان لديهم نسخة مستقلة من التوراة تتفق مع النص التقليدي أحيانا، وتختلف معه أحيانا أخرى، وقد عثر ضمن مخطوطاتهم على بقايا مخطوط

---

[1] – ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، (1/ 117).

[2] – فيلون: فيلسوف يهودي حاول التوفيق ما بين الشريعة الموسوية والفلسفة الأفلاطونية، ويحتمل أنه عاصر السيد المسيح عليه السلام. المسيري، موسوعة اليهود واليهودية، (3، 365).

3 – يوسيفوس: مؤرخ، وقائد عسكري يهودي. المسيري، موسوعة اليهود واليهودية، (4: 44).

[4] – المسيري، موسوعة اليهود واليهودية، (5/ 325)، والنصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت، تحقيق غيزا فيرم، ترجمة سهيل زكار، الطبعة الأولى، دار قتيبة، دمشق 1426هـ– 2006م، ص(109)، والخوري، موسى ديب، في مقدمة ترجمته لمخطوطات البحر الميت(التوراة كتابات ما بين العهدين)، تحقيق اندريه دوبون سومر ومارك فيلوننكو، ترجمة موسى ديب الخوري، الطبعة الأولى، دار الطليعة، دمشق 1998م، ص(37) وما بعدها.

لأسفار موسى الخمسة يتفق مع التوراة السامرية، ويخالف النص التقليدي، بالإضافة إلى مجموعة من أسفار العهد القديم التي تعتبر بمثابة نصوص أبوكريفية[1] أو منحولة[2].

وربما تكون هذه الفرق قد ابتعدت بنفسها عن القدس عندما رأت تأثر يهود القدس بالثقافة اليونانية، وأصبحوا يعبدون الأوثان بدلا من عبادة الله وحده، ومن هنا فقد كانت تصف رجال الدين الذين في القدس بالمفسدين، وكانت تنظر لنفسها على أنها هي التي تشكل بني إسرائيل الحقيقيين[3].

أما السامريون فصيغة جمع عربية، وهي كلمة معربة من كلمة شوميرونيم العبرية، أي سكان السامرة. ويُشار إليهم في التلمود بلفظة «كوتيم» وتعني «الغرباء». لكن هذه التسميات هي تسميات اليهود الحاخاميين لهم. وكان يوسيفوس يسميهم الشكيميين نسبةً إلى «شكيم» (نابلس الحالية). أما هم فيطلقون على أنفسهم «بنو يسرائيل»، أو «بنو يوسف»، باعتبار أنهم من نسل يوسف. كما يطلقون على أنفسهم اسم «شومريم»، أي «حفظة الشريعة»، باعتبار أنهم انحدروا من صلب يهود السامرة الذين لم يرحلوا عن فلسطين عند تدمير المملكة الشمالية عام 722 ق.م، فاحتفظوا بنقاء الشريعة[4].

وهي أول فرقة ثارت ضد اليهودية التي خالفت نهج موسى عليه السلام [5]، وما يميزهم عن غيرهم من اليهود أنهم لا يعظمون مدينة القدس ويعظمون مدينة نابلس، ويتوجهون في صلاتهم إلى جبل جرزيم، ومثلما أن لهم قبلتهم الخاصة بهم كذلك فإن لهم توراتهم الخاصة بهم، وهي مكونة من أسفار موسى الخمسة وسفر يشوع ولا يقرون بما سواها، وهم كذلك يعترفون بنبوة موسى وهارون ويوشع بن نون ويبطلون كل نبوة بعدهم[6]. ويشير المسيري إلى

---

[1] – كلمة يونانية معناها مخفي، أو مخبأ، وقد أطلقت على الكتابات غير القانونية، غير المعترف بها من الكنيسة. نخبة من الأســاتذة، قاموس الكتاب المقدس، ط11، دار الثقافة، القاهرة 1997م، ص(18).

[2] – النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت، ص(109) والخوري، مخطوطات البحر الميت(التوراة كتابات ما بين العهــدين)، ص(37) وما بعدها

[3] – بهجت الحباشنة، لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ط1، دار عماد الدين، عمان 1430هـ– 2009م، ص(17) وتعتبر هذه الدراسة من الدراسات القليلة التي تناولت لفائف البحر الميت من وجهة نظر إسلامية.

[4] – المسيري، موسوعة اليهود واليهودية، (5/ 319)

[5] – همو، الفرق اليهودية، مرجع سابق، ص(34).

[6] – ابن حزم، (1/ 117) والشهرستاني(1/ 261).

نقط اتفاق بين السامريين واليهود الحاخاميين قبل ظهور القبَّالاه[1] وحركات الإصلاح الديني اليهودي، فكلا الفريقين يؤمن بالله الواحد وباليوم الآخر والملائكة[2].

أما العيسوية فهم أتباع أبي عيسى محمد بن عيسى من يهود أصفهان[3]، ابتدأ دعوته في أواخر الدولة الأموية، قال عنهم ابن حزم:(هم أصحاب أبي عيسى الأصفهاني رجل من اليهود كان بأصفهان. وبلغني أن اسمه كان محمد بن عيسى. وهم يقولون بنبوة عيسى بن مريم ومحمد ﷺ . ويقولون إن عيسى بعثه الله ﷻ إلى بني إسرائيل على ما جاء في الإنجيل وأنه أحد أنبياء بني إسرائيل. ويقولون إن محمداً ﷺ نبي أرسله الله تعالى بشرائع القرآن إلى بني إسماعيل وإلى سائر العرب)[4].

وكان أبو عيسى يقول عن نفسه إنه هو المسيح المنتظر، وإنه المسيح المنتظر أفضل من جميع الأنبياء الماضين، وهناك من يقول إنه لم يعلن أنه المسيح المنتظر، وإنما هو رسول المسيح المنتظر، وبالتالي فهو أفضل الكل، وقد قاد ثورة ضد الحكم العباسي[5].

ومن الفرق اليهودية التي نشأت في ظل الحضارة الإسلامية فرقة القرائيين، تعتبر من أحدث الفرق اليهودية من الناحية التاريخية، فقد أنشأها عنان بن داود أحد علماء اليهود في بغداد في أواخر القرن الثامن بعد الميلاد، في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور. ويقوم مذهبها على التمسك بما جاء في العهد القديم وحده، وعدم الاعتراف بأحكام التلمود وتعاليم الربانيين والحاخامات. ومن ثم أطلق على فرقتهم اسم "العنانيين" نسبة إلى منشئها عنان بن داود، واسم "القرائين" نسبة إلى "مقرا" بمعنى الكتاب أو المكتوب، وهي الكلمة التي كانت تطلق على أسفار العهد القديم، فمعنى القرائين المتمسكون بالكتاب وحده، أي أسفار العهد القديم وحدها. ولا يزال

---

1 – انظر التعريف بها لاحقا عند الحديث عن كتب التصوف اليهودي.

2 – المسيري، موسوعة اليهود واليهودية، (5/ 320).

3 – أصفهان: مدينة عظيمة مشهورة في إيران. ياقوت الحموي، معجم البلدان، د. ط، دار الفكر، بيروت، د. ت، ن، (1/ 206).

4 – ابن حزم، الفصل، (1/ 118).

5 – الشهرستاني، الملل والنحل(1/ 157، 158) والمسيري، الموسوعة، (5/ 297، 298).

لهذه الفرقة أتباع كثيرون من اليهود في مختلف البلاد في العصر الحاضر. وقد ألغى عنان جميع التشريعات التي قررها الربانيون التي استندوا في تقريرها إلى أسفار التلمود، وأدخل على كثير من تشريعاتهم التي استمدوها من فهمهم لنصوص العهد القديم تعديلات استمدها هو من اجتهاده الخاص ومن فهمه لنصوص هذا العهد. بالتالي فهو قد فتح باب الاجتهاد في اليهودية، ويرى أن من حق الخلف تصحيح الأخطاء التي وقع فيها السلف من قبل[1]. وأحب أن أنوه أن السموأل بن يحيى[2] صاحب كتاب" بذل المجهود في إفحام اليهود" كان قبل إسلامه من فرقة القرائين.

أما الحسيديون فلقد أطلقت هذه التسمية على كثير من الفرق اليهودية عبر التاريخ، فقد وصف بها الأسينيون، ولما كان الاسم يدل على معنى التقوى فربما كانت بعض الفرق تصف نفسها بهذا الوصف، ويذهب بعض الباحثين إلى أن هذه الفرقة قد حاولت في زمن عِزرا العودة بالديانة اليهودية إلى وضعها الصحيح كما نزلت على موسى عليه السلام، ومع مرور الزمن دخلت في فرقة الأسينيين وذابت فيها[3]، ثم ظهر هذا المسمى على السطح ليدل على الحركة الدينية الصوفية الحلولية التي أسسها وتزعمْها بعل شيم طوف[4]، وتركز هذه الفكرة على الاعتماد على العاطفة أو الوجدان للوصول إلى الإله في مقابل التقليل من أهمية الشعائر والدراسات التلمودية[5].

ويشكل مفهوم التساديك أو الصديق ركنا أساسيا في عقائد هذه الفرقة[6]، والتساديك عبارة عن شخص يكون وسيطا بين الإله وأعضاء هذه الفرقة، بل يكون هو الشخص الذي يحل فيه الإله. وكان أتباعه يضعونه موضع الحاخام في اليهودية الحاخامية، ومن هنا فقد انقسمت هذه الفرقة إلى فرق متعددة بسبب تعدد الأشخاص

---

[1] – ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، (1/ 117). وشلبي، اليهودية، ص(223).

[2] – السموأل بن يحيى: مهندس ورياضي عالم بالطب والحكمة أصله من المغرب، سكن بغداد وانتقل إلى فارس، كان يهوديا فأسلم. خير الدين الزركلي، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت 2002م، (3/ 140).

[3] – همو، عبد المجيد، الفرق والمذاهب اليهودية، مرجع سابق، ص(52).

[4] – بعل شيم طوف: هو إسرائيل بن اليعازر، ومعنى اسمه سيد الاسم، أي أنه تملك اسم الإله فأصبح قادرا على التحكم في الكـــون حسب ما يدعيه أتباعه.. المسيري، الموسوعة، (5/ 358).

[5] – المسيري، الموسوعة، (5/ 352 وما بعدها).

[6] – المرجع السابق، والتلمود فصول الآباء، ترجمة شمعون مويال بعنوان التلمود أصله وتسلسله وآدابه، تقديم رشاد الشامي وليلى أبو المجد، ط1، الدار الثقافية، القاهرة 1425هـ– 2004م، ص(28).

الذين يقومون بهذا الدور، واتجهت بعض هذه الفرق اتجاها عاطفيا محضا، فيما ذهب البعض الآخر إلى التصوف الذهني[1] الذي يقوم على دراسة كل من القبَالاة[2] والتلمود[3]. فهذه الفرقة فرقة صوفية حلولية وقد ذكر المسيري أهم أفكارهم وهي:-

1- يرى الحسيديون أن الهدف من حياة الإنسان ليس فهم أو تغيير الكون وإنما الالتصاق بالإله.

2- أنكروا حقيقة الشر، فالشر إن هو إلا اختفاء الخير وتشويهه، بل إن الشر ليس إلا جسراً للوصول إلى الخير، ويمكن تعديل الشر ليصبح خيراً. وقد ولَّدت هذه الرؤية شكلاً من أشكال القبول لدى اليهود لوضعهم البائس والرضا عنه.

3- نادى الحسيديون بأن عبادة الإله يجب أن تتم بكل الطرق، كما يجب أن نخدمه بكل شكل: بالجسد والروح معاً مادام أنه إله غير مفارق، لا يتجاوز الطبيعة والتاريخ، كامن في كل شيء، حتى في مذاق الطعام وتدخين التبغ وفي العلاقات الجنسية والتجارية.

4- وتنعكس الحلولية في شكلين هما في الواقع شيء واحد: حب عارم لفلسطين أو ارتس يسرائيل، يقابله كره عميق للأغيار. ولذلك، لم يكن مفر من أن يخرج الحسيديون من بين الأغيار المدنَّسين، وبلاد الأغيار المدنسة، ليستقروا في الأرض الطاهرة المقدَّسة التي هي هدف القداسة ومصدرها في وقت واحد.

وبناء على هذه الأفكار يظهر أن هذه الفرقة ليست حلولية فحسب بل هي انحلالية أيضا، تهدف إلى تحطيم جميع القيم الإنسانية، وتسعى في الوقت نفسه إلى تهجير اليهود إلى فلسطين، ويظهر في أفكارهم كذلك نظرة اليهود الحقيقية لغيرهم من الشعوب، وهذه جزئية ستأتي بشيء من التفصيل في موضع لاحق من البحث بإذنه تعالى.

---

[1] – يقصد بالتصوف الذهني ذلك التصوف الذي ينصب على الفكر دون الاهتمام بالسلوك. الباحث.

[2] – القبالاة: مجموعة التفسيرات والتأويلات الباطنية عند اليهود. المسيري، الموسوعة، (5/ 164).

[3] – المسيري، الموسوعة، (5/ 352 وما بعدها).

المطلب الثالث: نصوصهم المقدسة

تشتمل النصوص اليهودية المقدسة على كل من الكتاب المقدس، التلمود، مخطوطات البحر الميت، وكتب التصوف اليهودي، وتتفاوت هذه النصوص في درجة قداستها ما بين فرقة وأخرى.

أولا: الكتاب المقدس

يسمي اليهود مجموعة نصوصهم المقدسة التي يضمها هذا الكتاب بالكتب المقدسة، أو الأسفار المقدسة، ويستخدمون أحيانا تعبير الكتب، ومجموع هذه الكتب هو ما يعرف عند النصارى بالعهد القديم، ويضم الكتاب المقدس عند اليهود ما يعرف اختصارا بـــ(التناخ) وتتكوّن الكلمة من الحروف الأولى للمجموعات الثلاث من الأسفار التي يشملها الكتاب المقدس؛ الأسفار الخمسة (توراة)، الأنبياء (نفيئيم) والكتب المدونة (كتوفيم)، ومعظم هذه الأسفار كتب باللغة العبرية أو الآرامية، ثم ترجمت فيما بعد إلى اللغات الأخر، وأقدم ترجمة عربية هي ترجمة سعيد بن يوسف الفيومي[1، 2].

ويلاحظ على هذه الأسفار أنه لا يوجد اتفاق على وقت محدد لكتابتها، بل ويلاحظ كذلك تأخر كتابتها عن الأحداث التي تغطيها، فسفر التكوين مثلا لم يدون إلا بعد موسى عليه السلام بخمسة قرون، كما يلاحظ على بعضها عدم التجانس، واختلاف المصدر، وهذا ما يؤيد ما ذهب إليه الكثير من العلماء من أن التوراة عمل انتقائي قام به كاتبوها من ضمن مصادر مختلفة ومتنوعة[3].

ثانيا: التلمود

يُعتبر التلمود كتاب اليهود الثاني بعد التوراة، بل ربما فاقه أهمية عند الكثيرين منهم، والتلمود وإن كان

---

[1] – فيلسوف يهودي ولد في مصر في القرن التاسع الميلادي، ويعتبر أول من وضع فلسفة دينية يهودية متكاملة حول أسس العقيد اليهودية، وقد كان متأثرا بشكل كبير بالفكر الإسلامي عامة، والاعتزالي خاصة. المسيري، الموسوعة، (5/ 156، 166).

[2] – المرجع السابق، (5/ 86).

[3] – موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة حسن خالد، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت 1411هـ– 1990م، ص(23 وما بعدها). وعرفان، اليهودية، ص(75 وما بعدها). والمسيري، الموسوعة، (5/ 103 وما بعدها).

كتابا مستقلا إلا أنه شديد الارتباط بالكتاب المقدس اليهودي، وذلك أنه نشأ بداية كتفسير له، وعلى الرغم من ادعاء اليهود نسبته كشريعة شفوية إلى موسى عليه السلام إلا أن طرحه كتفسير للعهد القديم تم في القرن الأول قبل الميلاد، حيث تبنى الفريسيون وجهة نظر مفادها أن الشريعة المكتوبة وحدها لا تكفي، وإنما يجب أن يضم إليها الشريعة الشفوية، أي التفسير الحاخامي للشريعة المكتوبة، ولعل ذلك كان محاولة من الفريسيين لاقتحام هذه الساحة التي كانت حكرا على الصدوقيين، ويبدو أنه من البداية احتل التفسير المركزية، وحل محل النص المقدس كمرجع نهائي[1].

والتلمود كلمة مشتقة من الجذر العبري «لامد» الذي يعني الدراسة والتعلم كما في عبارة «تلمود توراه»، أي «دراسة الشريعة». ويعود كل من كلمة «تلمود» العبرية وكلمة «تلميذ» العربية إلى أصل سامي واحد[2]. وإذا ما أردنا تعريف التلمود فسنجد له مجموعة من التعريفات ومنها:-

1- تعريف الدكتور روهلنج صاحب كتاب اليهودي حسب التلمود وجاء فيه:- فكلمة التلمود معناها:- كتاب تعليم ديانة وآداب اليهود[3].

2- تعريف نبيل فياض مترجم رسالة عبدة الأوثان:- عمل موسوعي ضخم ، يتضمن آراء الحاخامين في مسائل لا حصر لها من الشريعة إلى الأدب، حتى الطب[4].

3- تعريف الدكتور شمعون مويال الذي قام بترجمة سفر الآباء من التلمود:- هو عبارة عن التقاليد والتعاليم الشفهية التي ألقاها النبي موسى على أمته أثناء تدوين التوراة[5].

4- تعريف الدكتور عبد الوهاب المسيري صاحب موسوعة اليهود واليهودية:- التلمود مُصنَّف للأحكام الشرعية أو مجموعة القوانين الفقهية اليهودية، وسجل للمناقشات التي دارت في الحلقات التلمودية

---

[1] - المسيري، الموسوعة، (5/ 96).

[2] - المرجع السابق(5/ 125).

[3] - روهلنج، اليهودي حسب التلمود، ترجمة يوسف حنا نصر الله ضمن كتاب الكنز المرصود في قواعد التلمود، الطبعة الثانية، بيروت، 1388هـ- 1968م، ص(42).

[4] - التلمود البابلي رسالة عبدة الأوثان، ترجمة نبيل فياض، الطبعة الأولى، دار الغدير، دمشق، 1991م، ص(4).

[5] - التلمود، فصول الآباء، مصدر سابق، ص(47).

الفقهية اليهودية حول المواضيع القانونية والوعظية[1].

ونلاحظ في هذه التعريفات مجموعة من الأمور منها، أن التلمود لا يقتصر على الجانب الديني لليهود، وإنما يتعداه إلى جميع جوانب الحياة، ومنها كذلك دور الحاخامات المحوري في هذا العمل، وعليه فيمكن القول: إن التلمود هو التصور الذي تقدمه اليهودية الحاخامية للوجود بكل ما فيه.

أما مكونات التلمود فهو يتكون من المشنا والجماراه، أما المشنا فهي كلمة عبرية مشتقة من الفعل العبري «شنَّاه» ومعناه «يُثنِّي» أو «يكرر». ولكن، تحت تأثير الفعل الآرامي «تانا»، صار معناها «يدرس». ثم أصبحت الكلمة تشير بشكلٍ محدد إلى دراسة الشريعة الشفوية، وخصوصاً حفظها وتكرارها وتلخيصها. والمشنا مجموعة موسوعية من الشروح والتفاسير تتناول أسفار العهد القديم[2]، أو هي مجموعة الأحكام والتعاليم والتفاسير والفتاوى والوصايا التشريعية التي تناقلت عبر الأجيال شفاهة من عهد موسى عليه السلام حتى عهد يهودا هناسي[3] الذي قام بتنسيقها وجمعها وتقييدها[4]، وأما الجماراه فهي كلمة آرامية تعني «التتمة» أو «التكملة» أو «الدراسة». وهي عبارة عن التعليقات والشروح والتفسيرات التي وضعها على المشنا الفقهاء اليهود الذين يسمَّون بالشراح في الفترة 220 ــ 500م[5].

ثالثا: مخطوطات البحر الميت

مخطوطات قمران، مخطوطات البحر الميت، الكتب الأسينية، كتابات ما بين العهدين، النصوص اليهودية المسيحية المقدسة كل هذه عناوين نشرت تحتها تلك المخطوطات التي اكتشفت في الكهوف الواقعة على الجهة

---

1 – المسيري، الموسوعة، (5/ 125).

2 – المرجع نفسه(5/ 143، 144).

3 – يهودا هناسي(135– 200م): رئيس الجماعة اليهودية في فلسطين، وهو الذي قام بجمع المشنا. المسيري، الموسوعة، (5/ 154). وانظر التلمود فصول الآباء، ص(86).

4 – التلمود، المشنا، القسم الأول(الزروع) ترجمة مصطفى عبد المعبود ومحمد خليفة حسن، الطبعة الأولى، مكتبة النافذة، القاهرة، 2008م، ص(8).

5 – المسيري، الموسوعة، (5/ 145).

الغربية من البحر الميت، وهي مجموعة من المخطوطات المدونة على الرق والبردي والنحاس، وقد تم اكتشاف بعضها بداية عن طريق المصادفة حيث عثر أحد الرعاة أثناء بحثه عن شاة له على مجموعة من الجرار الفخارية التي كانت تحتوي على بعض هذه المخطوطات.

أما محتويات هذه المخطوطات فيمكن تصنيفها ضمن الأصناف الرئيسية التالية:-

1. القوانين وتضم كثيرا من التشريعات والأحكام.
2. تراتيل وأناشيد دينية وتحتوي على الكثير من التراتيل الدينية لمناسبات وطقوس مختلفة.
3. أسفار وتفسيرات من العهد القديم.
4. منوعات ويشتمل هذا القسم على أمور تتعلق بالتنجيم والأبراج، ويضم كذلك نصوصا تشاؤمية[1].

وأما بالنسبة لأهمية هذه المخطوطات لأصحاب الديانات المختلفة، فالبنسبة لليهود وهم من بأيديهم زمام الأمور بالنسبة لها فقد وجدوا فيها مستندا تاريخيا لهم ولأسفارهم، فمن هذه النصوص عثر على أقدم مخطوطة لسفر من أسفار العهد القديم، وهو سفر إشعيا كما تقدم، ولكن تكتم اليهود على الكثير من هذه المخطوطات يدل على أن في الأمر شيئا ليس في صالحهم. وأما بالنسبة للنصارى فهم كاليهود في التأصيل لأسفارهم المقدسة، ولهم في الأمر محاولة لربط هذه المخطوطات وأصحابها بالمسيحية، ولكن ما استندوا إليه يبقى قائما على الاحتمال، كطقس التعميد، وتنظيم الجماعة، وأكثر ما يستند إليه أصحاب هذا الاتجاه هو حديث هذه المخطوطات عن معلم الحق والصلاح، ومحاولة ربطه بشخصية المسيح عليه السلام، ولكن الحقيقة على غير ما يريدون فلا يوجد ولو نص واحد في هذه المخطوطات يرفع هذا الشخص فوق مقام البشرية، وهذا على النقيض مما يعتقده النصارى في شخص المسيح عليه السلام.

وأما بالنسبة للمسلمين- وإن كانت هذه المخطوطات لم تدرس دراسة إسلامية كافية[2]- إلا أن الكثير من الباحثين المسلمين قد وجدوا فيها مستندا للاستدلال على ما تتضمنه وجهة النظر الإسلامية من القول بتحريف

---

[1] - النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت، ص(587).

2 - يستثنى من ذلك بعض الأبحاث الجادة مثل: بهجت الحباشنة، لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ط1، دار عماد الدين، عمان 1430هـ- 2009م.

كتب اليهود والنصارى، كما أن هذه المخطوطات أصبحت تشكل مستندا هاما لبشارة الكتب السابقة ببعثة النبي محمد ﷺ ، ومن ذلك حديث بعض هذه المخطوطات في أمثال أخنوخ عن شخص يسميه المصطفى تقترب أوصافه من أوصاف المصطفى ﷺ [1]، وكذلك إشارتها إلى ظهور كتب ثلاث[2].

رابعا: كتب التصوف اليهودي

وأعني بها كتب القبالاة اليهودية، والقبالاة مجموعة التفسيرات والتأويلات الباطنية والصوفية عند اليهود[3]، وأهم كتب هذا المذهب كتاب الزوهار، وهو أهم كتب التراث القبَّالي، وهو تعليق صوفي مكتوب بالآرامية على المعنى الباطني للعهد القديم، ويعود تاريخه الافتراضي، حسب بعض الروايات، إلى ما قبل الإسلام والمسيحية، وهذا ما يحقق الاستقلال الفكري (الوهمي) لليهود، وكتابته بلغة غريبة، تحقق العزلة لأعضاء الجماعات اليهودية الوظيفية. ويُنسَب الكتاب أيضاً إلى أحد معلمي المشناه (تنائيم) الحاخام شمعون بن يوحاي (القرن الثاني)، وإلى زملائه، ولكن يُقال إن موسى دي ليون أو الليوني[4] (مكتشف الكتاب في القرن الثالث عشر) هو مؤلفه الحقيقي أو مؤلف أهم أجزائه، وأنه كتبه بين عامي 1280 و1285م، والزوهار في أسلوبه يشبه المواعظ اليهودية الأسبانية في ذلك الوقت. وبعد مرور مائة عام على ظهوره، أصبح الزوهار بالنسبة إلى المتصوفة في مترلة التلمود بالنسبة إلى الحاخاميين. وقد شاع الزوهار بعد ذلك بين اليهود، حتى احتل مكانة أعلى من مكانة التلمود، وخصوصاً بعد ظهور الحركة الحسيدية[5].

ومما يدل على أهمية هذا الكتاب وقداسته عند اليهود أنه وفي فترة قصيرة جدا استطاع أن يصبح المصدر الثالث بعد التوراة والتلمود للوحي والهداية والإرشاد، وأن يمتلك على اليهود عقولهم وقلوبهم[6]. ومما يدل على

---

[1] – التوراة كتابات ما بين العهدين، مصدر سابق(2/ 47).

[2] – النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت، مصدر سابق، ص(583).

[3] – أسعد زروق، التلمود والصهيونية، سلسلة كتب فلسطينية 31، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث 1970م، مصر، ص(162). والمسيري، الموسوعة، (5/ 164). وعبد المجيد همو، مفاهيم تلمودية، ط1، دار الأوائل، دمشق 2003م، ص(194).

[4] – نسبة إلى مدينة ليون في فرنسا.

[5] – المسيري، الموسوعة، (5/ 181).

[6] – عبد المجيد همو، مفاهيم تلمودية، ص(167 وما بعدها).

أهميته كذلك أن بعض أتباع هذا المذهب يرون أنه أقدم حتى من التوراة فيقولون:– إنه انتقل من الله إلى الملائكة فآدم ثم إلى نوح فإبراهيم، فتسرب جزء من هذا المذهب إلى المصريين حيث بدأ موسى بتعلم الحكمة في مصر، فبدأ أولا بالقبالاه قبل تعلم الشريعة[1]. قلت: لا يخفى ما في هذا الكلام من إساءة إلى نبي الله موسى عليه السلام، وتجاهل لحقيقة نبوته، فإنما كان ما جاء به من الحكمة والشريعة وحيا تلقاه من الله تعالى.

[1] – إميل عباس، القبالة والسحر، ص(9، 10).

المبحث الثاني : النصارى

المطلب الأول: أسماؤهم

المطلب الثاني : فرقهم

المطلب الثالث: نصوصهم المقدسة

المطلب الأول: أسماؤهم

تمهيد

تكلمنا في الفصل الماضي عن القسم الأول من أهل الكتاب، وهم اليهود، ورأينا ما يدور حولهم من إشكالات وتساؤلات، وليس أمر النصارى بأقل من ذلك، بل هو أعوص وأعقد، فكثير من النصارى يدَّعون هذه الأيام أنهم ليسوا نصارى وإنما هم مسيحيون، ومنهم من يقول إنَّ التسمية الأصلية لهم هي المسيحيون، وبالتالي فهم غير معنيين بخطاب القرآن الكريم حول النصارى، ينقل لنا صاحب كتاب" مجادلة أهل الكتاب" عن القس صموئيل مشرقي قوله: إنه من نكد الدنيا على المسيحيين أن أُطلق عليهم منذ الفتح العربي اسم نصارى على خلاف الحقيقة، ثم ادَّعى أنَّ اسم نصارى يطلق على فرقة من اليهود آمنت بعيسى على أنه رسول المسيح المنتظر، لا أنه المسيح المنتظر، وأما المسيحيون فهم الذين آمنوا بعيسى على أنه ابن الإله أو إله، وآمنوا بأنه لا يصحُّ العمل بشريعة موسى، مع أنَّ التوراة هي التي بشرت بالمسيح[1]،وبالتالي فأخباره لا تصدق عليهم، وأَحكامه لا تشملهم، ويقولون إنَّ حديث القرآن كان عن طائفة مشوهة الإيمان تعيش في الجزيرة العربية، بل ربَّما تجاوز بعضهم الحد فاتخذ من ذلك ما يظنه مطعنا في القرآن الكريم! هذه العوامل وغيرها تجعل تفصيل البحث في تسميتي النصارى والمسيحيين أمرا واجبا لا مناص منه. وكلٌّ هذا يدفعنا إلى البحث عن المعنى الدقيق لهاتين التسميتين، وبيان الاسم الصحيح منهما.

أولا: النصارى

لم ترد تسمية النصارى بهذه الصيغة في الكتب المقدسة عند النصارى، وإنما وردت بصيغة أُخرى وهي الناصريين، فعيسى عليه السلام يُدعى ناصريا، وتلاميذه كذلك يُدعون ناصريين، ولا يخفى أنَّ هذه الصيغة نسبة إلى مدينة الناصرة[2].

---

[1] – نور الدين عادل، مجادلة أهل الكتاب في القرآن الكريم والسنة والنبوية، ط1، مكتبة الرشد، الرياض 1428هـ – 2007م، ص(88).

[2] – قال عنها ياقوت الحموي:– (فاعلة من النصر قرية بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلا فيها كان مولد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ومنها اشتق اسم النصارى). ياقوت الحموي، معجم البلدان، د. ط، دار الفكر، بيروت، د. ت، ن، (5/ 251). وهذا الذي ذكره الحموي عن مولد المسيح فيها ليس مسلما بل هو موضع خلاف بين كل من اليهود والنصارى.

وعند الرجوع إلى وجهة النظر النصرانية في هذا الأمر نجد في دائرة المعارف الكتابية مادة(مسيح– مسيحيون) أنه كان من ضمن الأسماء التي أُطْلقت على النصارى الناصريون، وهو اسم كان يطلق على يسوع : " يسوع الناصري " أو " يسوع الذي من الناصرة "[1] ، فكان من الطبيعي أن يُطلق على أتباعه اسم " الناصريين " الذي استخدمه الخطيب " ترتلس[2] " أمام فيلكس الوالي[3]، في اتهامه لبولس بأنه " مقدام شيعة الناصريين "[4]. وبلا شك ، أنه لم يكن يستخدمه من باب المديح ، بل بالحري للتحقير ، ولا نعلم مدى قبول المسيحيين لهذا الاسم. أقول وقد جانب قائل هذا الكلام الصواب بدليل ما سيأتي من أن بولس لم يحاول إنكار هذه التسمية.

وأول ما جاءت هذه التسمية جاءت في سفر أعمال الرسل أثناء محاكمة بولس:[فَإِنَّنَا إِذْ وَجَدْنَا هذَا الرَّجُلَ مُفْسِدًا وَمُهَيِّجَ فِتْنَةٍ بَيْنَ جَمِيعِ الْيَهُودِ الَّذِينَ فِي الْمَسْكُونَةِ، وَمِقْدَامَ شِيعَةِ النَّاصِرِيِّينَ][5].

ونجد كذلك ضمن التاريخ النصراني وجود فرقة دعيت بالناصريين، وقد ذكرت هذه الفرقة ضمن كتب تاريخ الفكر المسيحي، وذكر أنه كان لها إنجيل هو الإنجيل بحسب العبرانيين، أو النصارى، وهو من ضمن الكتابات الابوكريفية أو المزيفة التي لا تعترف بها الكنيسة، ويحتفظ هذا الإنجيل بكثير من التقاليد اليهودية[6].

وإذا ما ذهبنا نستطلع وجهة نظر العلماء المسلمين حول هذه التسمية فسنلاحظ أنها بمجملها تدور حول فكرتين، أولاهما: انتساب المسيح وأتباعه من بعده إلى مدينة الناصرة، وثانيتهما: مناصرة أتباع المسيح له عليه السلام، وتناصرهم فيما بينهم[7].

---

[1] – ارجع مثلاً إلى مت [2: 23، 26: 71]، مرقس[1: 24، 10: 47]وأع[2: 22، 3: 6، 4: 10، 6: 14، 22: 8، 26: 9]

[2] – محامي روماني، دعي من قبل اليهود للشكاية على بولس. نخبة من الأساتذة، قاموس الكتاب المقدس، ص(215).

[3] – كان عبدا للإمبراطور الروماني كلوديوس، أعتقه وعينه واليا. نخبة من الأساتذة، قاموس الكتاب المقدس، ص(704).

[4] – أع[24: 5]

5 – نفس الهامش السابق.

[6] – بسترس، كيرلس والفاخوري، حنا و البولسي، جوزيف، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، ط1، المكتبة البولسية، بيروت 2001م، ص(42، 43). والقيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، ص(156).

[7] – محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420هـ–

وبعد هذه العجالة نرى أنَّ النصارى وإن زعموا أنَّ هذه التسمية قد أُطلقت عليهم من خارجهم، إلا أنهم مجمعون على أنَّ النسبة هي إلى مدينة الناصرة، ونرى أنَّ المسلمين جعلوها إما نسبة إلى الناصرة، وإما إلى النصرة والتناصر، فما هو وجه الحق في ذلك؟ وقبل أن أدلي بدلوي في هذه المسألة أرى أنه لا بدَّ لنا من الرجوع إلى القرآن الكريم وتتبع آياته التي تناولت هذه التسمية.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه النسبة(النصارى) موجودة في كتب النصارى القديمة، وأصبحت تأخذ مكانها في نصوصهم في الوقت الراهن، فكثير من ترجمات كتابهم المقدس أصبحت تستبدل كلمة ناصريين بنصارى، أما بالنسبة لكتبهم القديمة فنجد في كتاب الدسقولية أو (تعاليم الرسول) وهو من أقدم كتبهم على الإطلاق، وهم ينسبونه إلى التلاميذ الإثني عشر وبولس ويعقوب ما نصه: (يجب على النصارى أي المسيحيين أن يغفروا في كل زمان خطايا بعضهم بعض، وأن لا يتمسكوا بشيء من الشر في قلوبهم، ولا يفكروا فيه جملة)[1] وجاء فيه كذلك: (إذا أردت أن تكون نصرانيا أي مسيحيا، فاتبع ناموس الرب)[2]. وها هو تادرس يعقوب أحد مفسري إنجيل متى يقول: (كلمة "ناصرة"، منها اشتقّت "نصارى" لقب المسيحيّين)[3].

وأما نصوصهم في الوقت الراهن وفي مقدمتها ترجمات كتابهم المقدس فنجد أن كلمة الناصريين الواردة في ترجمة فاندايك: [فَإِنَّنَا إِذْ وَجَدْنَا هَذَا الرَّجُلَ مُفْسِداً وَمُهَيِّجَ فِتْنَةٍ بَيْنَ جَمِيعِ الْيَهُودِ الَّذِينَ فِي الْمَسْكُونَةِ وَمِقْدَامَ شِيعَةِ النَّاصِرِيِّينَ][4]. قد أصبحت في كثير من الترجمات النصارى بدلا من الناصريين، وانظر على سبيل المثال الترجمات التالية:

1. الكتاب المقدس ترجمة كتاب الحياة: [وجدنا هذا المتهم مخربا، يثير الفتنة بين جميع اليهود في البلاد كلها، وهو يتزعم مذهب النصارى].

2000م، (2/ 143، 144). و انظر الرازي، التفسير الكبير، (3/ 535). وابن كثير، تفسير القرآن العظيم (1/ 285)، وابن عاشور، التحرير (1/ 533).

[1] – الدسقولية(تعاليم الرسل) ترجمة مرقس داود، ط5، مكتبة المحبة، القاهرة 1979م، ص(90).

[2] – نفس المصدر ونفس الصفحة.

[3] – انظر الرابط التالي على موقع الكنيسة العربية، تفسير العهد الجديد:
http://www.arabchurch.com/newtestament_tafser/matew2.htm

4– أعمال الرسل[24: 5].

2. الكتاب المقدس ترجمة الأخبار السارة : [وجدنا هذا الرجل مفسدا يثير الفتن بين اليهود في العالم كله، وزعيما على شيعة النصارى].

3. الكتاب المقدس الترجمة اليسوعية : [وجدنا هذا الرجل آفة من الآفات، يثير الفتن بين اليهود كافة في العالم أجمع، وأحد أئمة شيعة النصارى].

وبناء على ما تقدم يبدو أن اسم النصارى هو الاسم الذي عرف به القوم بداية أمرهم، بل وهم الذين أطلقوه على أنفسهم، ولكن مع التغيير الذي حدث على مفهوم المسيح بفعل بولس– حسب ما سيظهر في هذا البحث– هو الذي دفعهم إلى الانتقال إلى الاسم الآخر" المسيحيون".

ثانيا: المسيحيون

يتناول الكثير من الباحثين هذه التسمية ببساطة مطلقة، فيقولون إنها نسبة للمسيح عليه السلام، ولكن هذه التسمية تتجاذبها تساؤلات كثيرة؛ فهل مفهوم المسيح عند النصارى هو نفسه عند المسلمين؟ ومن الذي نسبهم للمسيح عليه السلام؟ ثم هل سبقت هذه التسمية التسمية السابقة(النصارى) أم جاءت متأخرة عنها؟ وأخيرا ما هو موقف المسلمين من هذه التسمية؟

لعله من المستغرب أن المصادر النصرانية لم تترك تاريخ إطلاق اسم المسيحيين عليهم دون تحديد، ولكنَّها تذكر تاريخ ومكان إطلاقه ، فنجد في قاموس الكتاب المقدس تحت مادة مسيحي ما نصه(دعي المؤمنون مسيحيين أول مرة في أنطاكية.... نحو سنة 42م أو 43م، ويرجح أن هذا اللقب كان في الأول شتيمة....قال المؤرخ تاسيتس المولود نحو54م إن تابعي المسيح كانوا أناسا سفلة عاميين)[1]، ولا يرد هذا الاسم إلا في القرن الثاني ، إذ كان إغناطيوس الأنطاكي[2] هو أول مسيحي يطلق على المؤمنين اسم " مسيحيين " . كما كتب بلليني (الحاكم

---

[1] – نخبة من الأساتذة، قاموس الكتاب المقدس، ص(889). وانظر أع[11: 26] [ودعي التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولا].

[2] – إغناطيوس الأنطاكي: راهب سوري لم يكن يتمتع بالجنسية الرومانية بدليل طريقة إعدامه اقتيد من أنطاكية إلى رومـا بعـد أن حكم عليه بالإعدام رميا للوحوش، لا يعرف تاريخ محدد لذلك، ولكن رحلته من أنطاكية إلى روما تقدر مـا بـين 105م= =و135م. انظر يوسابيوس، تاريخ الكنيسة، ص(169 وما بعدها) وبسترس وآخرون، تاريخ الفكر المسيحي عنـد آبـاء الكنيسة، ص(138 وما بعدها).

الروماني للمنطقة التي أرسل إليها الرسول بطرس رسالته الأولى) للإمبراطور تراجان[1] عن أناس قدموا أمامه بتهمة أنهم " مسيحيون " ، ومنذ ذلك الوقت أصبح المؤمنون بالمسيح يشتهرون بهذا الاسم)[2] وعليه فلا بد من ملاحظة ما يلي:

1. هذه التسمية أطلقت على النصارى من غيرهم.
2. كانت تنطوي على نوع من التهكم.
3. لم يتقبل النصارى هذا الاسم بصدر رحب.
4. لم يظهر هذا الاسم في العهد الجديد سوى ثلاث مرات.
5. لم يظهر هذا الاسم للوجود بشكل واضح إلا في القرن الثاني الميلادي[3].

وإذا ما انتقلنا إلى المصادر الإسلامية فلا بد بداية وأن نقف مع القرآن الكريم، حيث إنه المصدر الأول لجميع العلماء المسلمين على اختلاف تخصصاتهم من مفسرين ومؤرخين وعلماء أديان، إلى غير ذلك من التخصصات المختلفة، وليس المرء بحاجة إلى عناء كبير حتى يلاحظ أنَّ القرآن الكريم تحدث عن المسيح عليه السلام، ولكنَّه لم يتحدث عن مسيحية ولا عن مسيحيين، ومن هنا فقد كانت مباحث العلماء المسلمين قديما تركز على المقصود بالمسيح، ولهم أراء كثيرة في هذا الباب[4]، تدور كلها على مسيح على وزن فعيل بمعنى فاعل، أو بمعنى مفعول.

إذا فعلماؤنا قديما لم يعرفوا المسيحية في مفرداتهم، وكما يقول أحد الباحثين[5]، وأول من وجدته من علمائنا يستخدم مصطلح المسيحية هو الإمام السيوطي في الدر المنثور حيث قال:– (وأخرج ابن أبي داود عن عمرو بن مرة قال : كان في أول الزمان يجتمعون فيكتبون المصاحف ثم إنهم استأجروا العباد فكتبوها لهم، ثم إنَّ

---

[1] – تراجان: ولد في اسبانيا من أسرة إيطالية، وكان أحد قادة الجيوش الرومانية، ثم أصبح امبراطورا. قصة الحضارة، المجلد الثالث، ص(442).

[2] – نخبة من الأساتذة، دائرة المعارف الكتابية، مادة "مسيحيون"

[3] – انظر نص الرسالة في كتاب قصة الحضارة، المجلد الثالث، ص(683).

[4] – انظر الطبري، جامع البيان، (9/ 418). وانظر الرازي، التفسير الكبير، (8/ 220)

[5] – صالح، محمد عثمان، التنصير، ص(24).

العباد بعد أن كتبوها باعوها، وأول من باعها هم العباد. العباد : جمع عبد وهم قبائل شتى من العرب اجتمعوا بالحيرة على المسيحية قبل الإسلام والنسبة عبادي)[1].

هذا وثمة اتجاه عند بعض الباحثين المسلمين يرى بأنَّ المسيحية هي الدين الصحيح لعيسى عليه السلام[2]، قلت وفي هذا خلط كبير فقد غاب عن ذهن هؤلاء ذلك الاختلاف الكبير في مفهوم المسيح ما بين المسلمين والنصارى، فمفهوم المسيح عليه السلام في جميع وجهات النظر الإسلامية أنه إنسان أكرمه الله تعالى بالنبوة والرسالة، وأيده بكثير من المعجزات، والتي تدور كلها على مسيح بمعنى فاعل أو مفعول، بينما يختلف الأمر اختلافا كليا بالنسبة للنصارى فالمسيح بالنسبة لهم حقيقة ثالثة اجتمعت فيها حقيقتا اللاهوت والناسوت[3]، وبتعبير آخر فالمسيح بالنسبة للنصارى إنما هو الله المتجسد– تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

بعد هذا كله يبقى السؤال: أيهما هو الاسم الصحيح؟ أهو النصارى أم المسيحيون؟ والجواب أنه النصارى، وهذه الدعوة لها من الأدلة المأخوذة من كتب النصارى ما يثبتها، وهذه بعض هذه الأدلة[4]:–

1. ما تقدم من عدم إنكار بولس لهذه التسمية
2. وجود هذه التسمية في الكثير من كتب النصارى القديمة
3. تحول الكثير من الترجمات العربية للكتاب المقدس إلى استخدام اسم النصارى.

ويشهد لما ذهبت إليه ما جاء في كتاب المنارة التاريخية في مصر الوثنية والمسيحية" وكان أولا الاسم العام للمسيحيين" النصارى" وذلك لأن أولهم كانوا من اليهود قوم الناصري يسوع، ثم لما شاعت المسيحية بين المصريين

---

[1] – جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، د. ط، دار الفكر، بيروت، 1993م(1/ 205). وقد أشار الجاحظ إلى هؤلاء العبـــاد في رده على النصارى. عمرو بن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، ط1، دار الجيل، بـــيروت 1411– 1991م، ص(3/ 313).

[2] – عرفان، النصرانية، مرجع سابق، ص(13). وانظر بسمة أحمد ، تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ، ط1، دار القلم، دمشق 1420هـــ– 2000م، ص(19). وكذلك نور الدين عادل، مجادلة أهل الكتاب في القرآن والـــسنة، ص(89). و داود علي الفاضلي، أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم، د. ط، مكتبة المعارف، الرباط، د. ت، ن، ص(311).

[3]– راجع في هذا الموضوع أطروحة الباحث للماجستير بعنوان" موقف أبي حامد الغزالي من عقائد النصارى من خلال كتابه الـــرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل" .

[4] – انظر هذه الأدلة سابقا، ص(72، 73).

وذهبوا مذاهبهم فيها كفروا أولئك اليهود القائلين بأن يسوع هو المسيح والنبي الأعظم المنتظر، فأما مجمع نيقيا فلما لعن اليهود كره الجمهور الانتساب للنصارى وانحصر هذا الاسم بعد زمان قسطنطين بيهود الحبشة واليمن المتنصرين"[1].

[1] – اسكندر صيفي، المنارة التاريخية في مصر الوثنية والمسيحية، د. ط، المطبعة العصرية، القاهرة، د. ت، ن، ص(**137**).

المطلب الثاني: فرقهم

يستطيع الباحث في هذا المجال أن يلحظ علامات فارقة في تاريخ النصرانية تصلح لأن تكون معتمدا له في دراسة فرق النصارى، وهذه العلامات هي ما قبل مجمع نيقية، وتمتد هذه الفترة حتى تاريخ انعقاد مجمع نيقية 325م، وسنلاحظ في هذه الفترة كثرة الفرق المتمسكة بالتوحيد وبشرية المسيح عليه السلام، وأما العلامة الثانية وهي عصر المجامع، وأقصد بها تلك الفترة التي تبتدئ بمجمع نيقية 325م وتوالى فيها انعقاد المجامع النصرانية، وتمتد حتى انعقاد المجمع الثامن869م، والذي شكل الحد الفاصل ما بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية ، وسنلاحظ فيها تحول النصرانية من التوحيد إلى الوثنية بشكل واضح، على الرغم من أن ذلك قد بدأ منذ زمن بعيد، وقد توسط هذه الفترة بعثة النبي صلى الله عليه والسلام، وظهور الإسلام، وقد تناول الباحثون المسلمون في هذه الفترة أشهر فرق النصارى والتي تمثلت بالنسطورية واليعقوبية والملكانية، ثم العصر الحديث ويمتد من نهاية المرحلة السابقة وحتى يومنا هذا، وأهم ما في هذا العصر محاولات التحرر من تلك السلطة التي اخترعتها الكنيسة لنفسها.

أولا: فرق النصارى قبل مجمع نيقية

تعددت الفرق النصرانية في هذه الفترة، منها اليهودية المسيحية، الغنوصية، البربرانية، الآريوسية، والسميساطية.

1- اليهودية المسيحية فمن المعروف أن دعوة المسيح عليه السلام لم تكن في حقيقة أمرها دعوة عالمية، وإنما أرسل عليه السلام إلى بني إسرائيل، وهذا ثابت بنص الإنجيل وفي أكثر من موضع فقد جاء في إنجيل متى: [بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ][1] ، وجاء فيه أيضا[لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ][2]، ولم تكن رسالته عليه السلام إلغاء لشريعة موسى عليه السلام، وإنما تأكيدا لها، وحثا على التمسك بها، فكان أمرا طبيعيا ظهور جماعة تؤمن بالمسيح، وتسير في حياتها وفق أحكام الشريعة التي نزلت على موسى عليه السلام، وهذه الجماعة في حقيقتها هي صاحبة الإيمان الصحيح، وقد عرفت باسم اليهودية المسيحية، ويندرج تحت هذه الفرقة كل من

---

[1] – مت[10: 6].

[2] – مت[15: 24].

الأبيونية[1] والنصارى[2].

2– ا الغنوصية

الغنوصية معرفة صوفية غايتها معرفة الله بالحدس لا بالعقل، وتقول بوجود إلهين أحدهما كبير خير والآخر هو روح الشر[3]. ويعتقد الغنوصيون أن خالق هذه العلم المليء بالشرور ليس هو الإله العلي، وإنما هو إله أدنا منه، وهو يهوه إله التوراة[4]، وتنقسم هذه الفرقة إلى كل من الدوكيتية[5] والمرقيونية[6].

3- وهي فرقة كانت تقول إن المسيح وأمه إلهان، ويذهب الإمام أبو زهرة إلى أنهم المقصودين بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾[7]، ويرى احتمالية وجود فريق منهم عند نزول هذه الآية[8].

قلت إن احتمال أن تكون هذه الفرقة مقصودة بهذه الآية لا يعني عدم شمولها بقية النصارى، وذلك أنهم

---

[1] – الاسم مشتق من لفظة عبرية تعني الفقر، وهو الاسم الذي يشير حسب تصورهم إلى فقر آراء هذه الفئة حول المسيح عليه السلام، تذهب بعض المصادر الأخرى إلى أن هذه الفرقة منسوبة إلى شخص اسمه أبيون، كان من الذين ينكرون ألوهية المسيح عليه السلام، ثم انقلبت حاله، وذهب إلى روما وكان يقدم العشاء الرباني بخمر وخبز فطير وهو ما تسير عليه كنيسة روما. انظر دائرة المعارف الكتابية، مادة الأبيونية. وحسني يوسف الأطير، تقويم الاعتقاد بين القرآن والنصارى الموحدين، ط1، مكتبة النافذة، القاهرة، 2005م، ص(31، 32). وخياطة، نهاد، الفرق والمذاهب المسيحية، مرجع سابق، ص(77).

2 – وهم القسم الثاني من اليهودية المسيحية، وقد جمعوا بين إيمانهم بالمسيح وشريعة موسى ×، ويرى صاحبا كتاب النصارى أن الذي يميز هذه الفرقة عن اليهود إيمانهم بالمسيح، وعن الأبيونية قبولهم برسائل بولس، وبالتالي فهم لا يختلفون عن غيرهم من النصارى إلا بإيمانهم بضرورة التمسك بشريعة موسى عليه السلام. انظر خياطة، الفرق والمذاهب المسيحية، ص(78).

[3] – عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، ط1، دار ابن زيدون، بيروت، د.ت.ن، ص(396، 397).

[4] – فراس السواح، الرحمن والشيطان، د. ط، دار علاء الدين، د. م.ن، د. ت. ن، ص(204).

5 – الاسم مشتق من فعل باللغة اليونانية معناه يظهر، وسموا بذلك لقولهم إن ظهور المسيح على صورة إنسان لم يكن ظهورا حقيقيا. انظر جيمس أنس، علم اللاهوت النظامي، ص(451).

6 – تنسب هذه الفرقة إلى مرقيون أحد مسيحيي القرن الثاني الميلادي، والذي حاول التوفيق ما بين الغنوصية(الخلاص عن طريق المعرفة) والمسيحية(الخلاص عن طريق الإيمان بالمسيح). السواح، الرحمن والشيطان، ص(206)، وخياطة، الفرق والمذاهب المسيحية، ص(79).

[7] – المائدة: 116.

[8] – أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص(153).

يقدسون مريم، ويتوجهون إليها بالعبادة والصلوات[1]، وقد قرروا في مجمع أفسس(431م) تسميتها بوالدة الإله.

4- الآريوسية

ينسب هذا المذهب إلى آريوس[2] والذي تتلمذ على يد لوقيانوس الأنطاكي[3] الذي كان يرفض ألوهية المسيح، مما أدى إلى استشهاده[4].

كان الخلاف بين آريوس والكنيسة التي اعتبرته من ضمن الهراطقة خلافا جوهريا، حيث ذهب إلى أن يسوع كائن فان ليس إلهيا بأي وجه من الوجوه، ولا يتجاوز أن يكون معلما يوحى إليه[5].

5- السميساطية

هم أتباع بولس السميساطي الذي كان أسقفا لأنطاكية ونائبا للملكة زنوبيا، وكان تعيينه أسقفا سنة260م، وخلعه من منصبه سنة 265م[6]، وكان يقول إن المسيح مخلوق صالح حمل في ذاته روح الله، فأصبح

---

1 – حول عبادة مريم عند النصارى انظر كتاب محمد الملكاوي، تأليه مريم بنت عمران والعبادات المقدمة لها عند النصارى، مركز بحوث كلية التربية/ جامعة الملك سعود، الرياض1412هـ- 1992م. ومعاذ عليان، عبادة مريم في المسيحية والظهورات المريمية، د. ط، مكتبة النافذة، القاهرة.

2 – كان كاهنا من كنيسة الإسكندرية من أصل ليبي ولد حوالي سنة 256م حكم عليه بالحرمان في مجمع نيقية وتوفي 336م. بسترس، كيرلس والفاخوري، حنا و البولسي، جوزيف، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، ص(447 وما بعدها).

3 – لوقيانوس الأنطاكي(240- 312م) وُلد في سميساط من أسرة شريفة. درس الكتاب المقدس علي يد مفسر مشهور يدعي مكاريوس. قيل إن بولس السميساطي استقدمه إلي إنطاكية وعُني به وسامه كاهنًا وأوكل إليه الإشراف علي الدين المسيحي. تشرب لوقيانوس شيئًا من معتقدات بولس السميساطي، فسقط تحت الحرم معه. انظر عادل فرج، موسوعة آباء الكنيسة، ط2، دار الثقافة، القاهرة 2006م، (3/ 167 وما بعدها) وقاموس آباء الكنيسة وقديسيها في موقع أسرة البابا كيرلس السادس العلمية على الرابط التالي:
http://popekirillos.net/ar/fathersdictionary/read.php?id=1523

4 – محمد عطاء الرحيم، عيسى والتوحيد، ترجمة حامد محمد، د. ط، مركز الحضارة العربية، د. ت، ن. ص(85). وخياطة، الفرق والمذاهب المسيحية، مرجع سابق، ص(81).

5 – **Micheal Baigent, Richard Leagh And Henry Lincoln. Holy Blood, Holy Grail. page(409/ 410).**
وانظر لويس جاردية وجورج فنواتي، فلسفة الفكر الديني، ترجمة صبحي الصالح وفريد جبر، ط1، دار العلم للملايين، بيروت 1967م (2/ 287). وخياطة، الفرق والمذاهب المسيحية، ص(82).

6 – خياطة، الفرق والمذاهب المسيحية، ص(74).

ابن الله بالتبني فقط، لا بالطبيعة والجوهر، وعليه فهو ليس بإله[1].

وقد ذكر ابن حزم هذه الفرقة بقوله:(ومنهم أصحاب بولس الشمشاطي وكان بطريركا بأنطاكية قبل ظهور النصرانية وكان قوله التوحيد المجرد الصحيح وأن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام، خلقه الله تعالى في بطن مريم من غير ذكر وأنه إنسان لا إلهية فيه ألبتة، وكان يقول لا أدري ما الكلمة ولا روح القدس)[2].

ثانيا: فرق النصارى في عصر المجامع.

1- المكدونية: لم يمت المذهب الاريوسي بعد مجمع نيقية، بل جاءت فترة من الزمن قال فيها النصارى:" إن العالم قد استفاق ليجد نفسه اريوسيا "[3] وبعد ذلك ظهر ما يعرف بأنصاف الآريوسيين، وكان في مقدمتهم مكدونيوس وأتباعه.

تعتبر فرقة مكدونيوس وأتباعه أول الفرق ظهورا بعد مجمع نيقية، وهي تنسب إلى مكدونيوس الذي أنكر أن يكون روح القدس إلها، وقد كان مكدونيوس بطريركا على القسطنطينية، وأقام في منصبه هذا عشرة سنين مات بعدها، وكان يعلم خلالها بأن روح القدس مخلوقة، ولم تمت مقالته بموته بل كان له أتباع خصوصا من بين الموحدين الذين حافظوا على وجودهم في الإمبراطورية الرومانية[4]، وعرف أتباعه بمحاربي الروح[5].

2- النساطرة: أتباع نسطوريوس الذي كان رئيس أساقفة القسطنطينية سنة428م، وقد ولد بعد سنة381م، ويظن أنه كان من أبوين فارسيين أو سوريين[6]، وقد نشأ في أرض الفرات في سورية، وتثقف في مدرسة أنطاكية، وقد تميز مذهبه برفضه أن تكون مريم والدة الإله، أو أن يطلق عليها هذا الاسم[7].

---

1 – خياطة، الفرق والمذاهب المسيحية، ص(74).

2 – ابن حزم، الفصل، (1/ 64).

3 – كساب، حنانيا، مجموع الشرع الكنسي، ص(258).

4 – أبو زهرة، محاضرات، ص(156).

5 – كساب، مجموع الشرع الكنسي، ص(258).

6 – حنا الخضري، تاريخ الفكر المسيحي، د. ط، دار الثقافة، القاهرة، د. ت. ن(2/ 154).

7 – خريسوستمس بابادوبولس، تاريخ كنيسة أنطاكية، ترجمة استفانس حداد، د. ط، منشورات النـور، بـيروت 1984م، ص(

3- اليعاقبة: هم أتباع يعقوب البرادعي ، الذي ولد سنة 505م في ما بين النهرين، وترهب في بداية حياته، انتقل إلى القسطنطينية سنة525م، وقد عُين أسقفاً على الرها سنة543م، جاء اسمه نسبة إلى البرذعة، وهي كساء يلقى على ظهر الدابة، لطول ركوبه عليها أثناء قيامه بالدعوة إلى مذهبه[1].

وقد جاء في مجلة المشرق:" غير أن بعض النصارى الشرقيين ذهبوا مذهب الطبيعة الواحدة، زاعمين أن سر التجسد تم لا باقتران الطبيعتين في أقنوم واحد بل باختلاطهما، أو بتحولهما إلى طبيعة ثالثة ليست إلهية ولا بشرية، أو بفناء الطبيعة الإنسانية كأن اللاهوت ابتلعها أو حولها إليه"[2].

4- الملكية: وهو اسم أطلقه العلماء المسلمون على أصحاب المذهب الرئيسي من مذاهب النصارى، وهو ما كانت تقرره المجامع، وتعتبر ما سواه هرطقة انحرفت عن المسار الصحيح، وقد أطلقوا عليهم هذا الاسم لأنهم أتباع الملك[3](الإمبراطور) يقول ابن حزم:" وهو مذهب جميع ملوك النصارى حاشا الحبشة والنوبة، ومذهب جميع نصارى افريقية وصقلية والأندلس وجمهور الشام"[4].

ثالثا: فرق النصارى بعد عصر المجامع

1- الكاثوليكية: أصل هذا الاسم كلمة" كاثوليكوس" اليونانية وتعني العالم، وأول استخدام لهذا المصطلح كان من قبل القديس إغناطيوس الأنطاكي سنة 110م، ثم استخدمها من بعده كليمنت الاسكندري[5](150- 215م) ولكن الاستخدام الرسمي لها في التعبير عن الكنيسة الرومانية لم يحدث قبل القرن

---

243). لمزيد من المعلومات حول هذه الفرقة انظر الخضري، تاريخ الفكر المسيحي، (2/ 160). يوحنا الدمشقي، المئة مقالة في الإيمان الأرثوذوكسي، ترجمة أوريانس شكور، ط2، المكتبة البولسية، لبنان 1991م،ص(173). جيمس انس، علم اللاهوت النظامي، ص(452). وغرديه وقنواتي، فلسفة الفكر الديني، (2/ 320).

[1] – بابادوبولس، تاريخ كنيسة أنطاكية، ص(370 وما بعدها). يعتبر هذا المذهب أقدم من البرادعي حيث ينسب إلى أوطيخا أو أفتيخوس الذي يحتمل أنه ولد في القسطنطينية 387م، تولى الرهبنة في سن مبكرة، توفي 449م. الخضري، تاريخ الفكر المسيحي، (3/ 179 وما بعدها) وبابادوبولس، تاريخ كنيسة أنطاكية، ص(275).

[2] – أرمند أودين، طبيعتا يسوع المسيح، المشرق، العدد التاسع، بيروت1932م، ص(667- 675).

[3] – ثمة آراء أخرى حول هذه التسمية، فالشهرستاني يقول:" إنهم أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها". الشهرستاني، الملل، (1/ 266). وهناك من يرى أن هذا الاسم أطلقه عليهم أصحاب القول بالطبيعة الواحدة على سبيل السخرية والاستهزاء لأنهم انحازوا إلى مذهب الملك. رستم، الفرق والمذاهب المسيحية، ص(29).

[4] – ابن حزم، الفصل، (1/ 266).

[5] – كليمت أو كليمنضوس ولد من والدين وثنيين حوالي 140/ 150م في أثينة أو الإسكندرية، استقر في الإسكندرية حوالي180/

الثالث الميلادي[1].

تسمى هذه الكنيسة بالكنيسة البطرسية لكون أتباعها يعتقدون أن مؤسسها هو بطرس الرسول، ويرون أنه أول التلاميذ، وأنه رأس الكنيسة، وأن الباباوات هم خلفاؤه، وتسمى أيضا بالكنيسة الغربية حيث أكثر سلطتها واقعة على البلاد الغربية[2].

أما معتقد هذه الفرقة فهو ما كانت تقرره المجامع المسكونية بدءا بالمجمع الأول مجمع نيقية325م، وحتى المجمع الفاتيكاني الثاني1962– 1965م، والبالغ عددها واحدا وعشرين مجمعا، وعليه فمن أراد التعرف على معتقد هذه الفرقة فليراجع ما كانت تقرره المجامع، والتي غالبا ما تكون قراراتها رد فعل لآراء ومذاهب تظهر، وتعتبرها الكنيسة الغربية من باب البدع والهرطقات.

2– الأرثوذكسية: يتركب هذا الاسم من كلمتين يونانيتين" أرثوس" وهو اسم لما هو قويم، و" ذكسا" وهو اسم يدل على الرأي والمعتقد والفكر، فيكون معنى هذا الاسم المعتقد القويم أو الرأي القويم[3]، وعليه فهذه الكنيسة وأتباعها يرون أن إيمانهم هو الإيمان الصحيح، حيث إنهم حافظوا عليه كما قررته المجامع الأولى، وذلك في مقابل من يعدونهم هراطقة ومبتدعين.

تتكون الأرثوذكسية اليوم من قسمين: الأول: الذين رفضوا قرارات مجمع خلقدونية، أي الذين تمسكوا بمذهب الطبيعة الواحدة في المسيح. الثاني: الذين قبلوا بقرارات مجمع خلقدونية[4].

أما بالنسبة لعقيدة هذه الفرقة فأهم ما يميزها ويجمعها في وقت معا أن الروح القدس منبثق من الآب فقط، يضاف إلى ذلك أن القسم اللاخلقدوني من هذه الكنيسة يرى أن المسيح له طبيعة واحدة، حيث إن الابن قد تجسد من روح القدس ومريم العذراء فصار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين، في حين ترى الكاثوليكية

190م وتوفي في فلسطين بحدود 215/ 216م. انظر بسترس وآخرون، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، ص(380).

[1] – رستم، الفرق والمذاهب المسيحية، ص(68).

[2] – نوفل نعمة الله، سوسنة سليمان، ص(154).

[3] – رستم، الفرق والمذاهب المسيحية، ص(47).

[4] – المرجع نفسه، ص(48).

أن المسيح له طبيعتان ومشيئتان وأن الروح القدس منبثق من الآب والابن معا[1].

3- البروتستانت: وأشهر الحركات المحتجة كانت حركة البروتستانت، والاسم أطلق على أولئك الذين احتجوا على الكنيسة عندما أصدرت بحقهم قرارا بالحرمان، فقاموا باحتجاج وهو بالإنجليزية بروتست، فسموا بالمحتجين أي البروتستانت[2].

هذا وقد سبقت هذه الحركة بمحاولات داخلية لإصلاح الكنيسة ولكنّها فشلت، فقام مارتن لوثر[3] (**1483- 1546**م) بمهاجمة الكنيسة حول صكوك الغفران، وما ينشأ عنها من مفاسد، وكان هجومه هذا بداية لثورة أدت إلى ظهور حركة البروتستانت[4]، ولقد كان للمجامع دور كبير في نشوء الحركات الإصلاحية، ففي المجمع اللاتيراني الثاني عشر**1215**م قرر استئصال الهراطقة، والهراطقة هم كل من يرى رأيا مخالفا للكنيسة في أي شأن من شؤون الحياة دنياها وآخرتها، ولم يتوقف الأمر على أولئك الذين يعلنون آراءهم ويجاهرون بها، وإنما أنشأت لذلك محاكم التفتيش ذات التاريخ الأسود على البشرية جمعاء[5].

---

[1] - نوفل نعمة الله، سوسنة سليمان، ص(**155**). وجيمس انس، علم اللاهوت، ص(**93**).

[2] - أبو زهرة، محاضرات، ص(**167**).

[3] - مارتن لوثر ولد في ألمانيا **1483**م بدا حركته الإصلاحية **1511**م بعد رحلته إلى روما، وكان من أشد ما أثار حفيظته بيع صكوك الغفران، توفي بنوبة قلبية سنة **1546**م. البعلبكي(**6/ 155**).

[4] - رستم، الفرق والمذاهب المسيحية، ص(**82**).

[5] - أبو زهرة، محاضرات، ص(**167**).*

المطلب الثالث: نصوصهم المقدسة

تتكون النصوص المقدسة عند النصارى من قسمين رئيسيين؛ أولهما: يشتركون فيه مع اليهود، ويطلقون عليه اسم العهد القديم، وقد تقدم الكلام فيه عند الحديث عن النصوص المقدسة عند اليهود، وقد تقدم في ثنايا هذا البحث الحديث عن موقف الفرق النصرانية من العهد القديم، وأما القسم الثاني فهو خاص بالنصارى ويطلقون عليه اسم العهد الجديد[1]، وهذا التقسيم هو تقسيم نصراني بحت حيث يرون أن ما جاء في كتب اليهود إنما هو تأسيس للتعاليم والأحداث الواردة في العهد الجديد.

ويتكون العهد الجديد من سبعة وعشرين سفراً، تنقسم بدورها إلى أربعة أقسام:

الأناجيل، وهي:"متى، مرقس، لوقا، ويوحنا، وتعرف الثلاثة الأولى منها بالإزائية؛ للاتفاق الكبير بينها في المضمون[2]، بينما انفرد الإنجيل الرابع عنها بمحاولة إثبات ألوهية المسيح عليه السلام، مختلف عنها في نظامه العام، وفي موضوعاته وأخباره وخطبه، في الأسلوب والجغرافيا والتاريخ، بل ومختلف في الرؤى اللاهوتية[3].

1. تاريخ نشأة الكنيسة وهو سفر أعمال الرسل.
2. الرسائل، وتقسم أحياناً إلى ثلاثة أقسام فرعية هي:

أ- رسائل الكنائس وهي: رومية، كورنثوس الأولى والثانية، غلاطية، أفسس، فيلبي، كولوسي، وتسالونيكي الأولى والثانية.

ب- رسائل رعوية، وهي: تيموثاوس الأولى والثانية، تيطس، ورسالة شخصية هي: فليمون.

---

[1] – لعل التسمية بالعهد الجديد مستمدة مما جاء في سفر إرميا[ها أيام تأتي يقول الرب واقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدا جديدا . ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من ارض مصر حين نقضوا عهدي فرفضتهم يقول الرب . بل هذا هو العهد الذي اقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب.اجعل شريعتي في داخلهم واكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلها وهم يكونون لي شعبا] إر[31: 31- 33]. فهذا العهد الجديد يطرح بديلا لذلك العهد القديم الذي لم يلتزموا به، ومن هنا نلاحظ إصرار النصارى على عدم الالتزام بشريعة العهد القديم.

[2] – الأناجيل الإزائية: يطلق هذا الاسم على كل من إنجيل متى ومرقس ولوقا نظرا لتقديمهم حياة المسيح من وجهات نظر متشابهة. نخبة من الأساتذة، قاموس الكتاب المقدس، ص(131).

[3] – بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص(90).

ت- رسائل جامعة(أو عامة) وهي: العبرانييون، يعقوب، بطرس الأولى والثانية، يوحنا الأولى والثانية والثالثة، ويهوذا.

ث- نبوة هي سفر الرؤيا[1].

وثمة من يجعلها في ثلاثة أقسام وهي

أ- تاريخية وتشمل الأناجيل الأربعة وسفر أعمال الرسل.

ب- تعليمية وتشمل إحدى وعشرين رسالة كنسية ورعوية.

ت- نبوية وتشمل سفرا واحدا وهو رؤيا يوحنا[2].

بقي أن نشير إلى أن العهد الجديد كتب باللغة اليونانية[3]، وهي لغة غير تلك التي كان يتكلم بها المسيح عليه السلام، حيث كان يتكلم اللغة الآرامية التي كانت سائدة في فلسطين في ذلك الوقت، ولا بد أن يكون لهذا دوره في تشويه رسالة المسيح، بل وربما استغل ذلك وبشكل مقصود للتحول بهذا الدين من التوحيد الخالص إلى الوثنية التي تجعل المسيح ابنا لله تعالى، وقد يكون إنجيل متى قد كتب باللغة العبرية، ثم ترجم بعد ذلك إلى اللغة اليونانية، ولكن هذا الأصل العبري مفقود لغاية اليوم[4].

كما أن تحديد الأسفار القانونية في العهد الجديد لم يتم دفعة واحدة، وإنما أخذ أكثر من قرن من الزمان، فالتحديد النهائي للأسفار السبعة والعشرين التي يتكون منها العهد الجديد لم يتم إلا في القرن الرابع، وأقدم شهادة على قانونية أسفار هذا العهد فهي من القرن الثامن[5].

وتكاد جميع نصوص النصارى المقدسة، يجمع بينها أنها أصبحت قانونية بقرارات بشرية انتقائية، والشك في صحة نسبتها لمؤلفيها، والشك في تواريخ كتابتها، والتلاعب بمتونها، على أن هناك الكثير من الأسفار التي

---

[1] - دائرة المعارف الكتابية، مادة الكتاب المقدس

[2] - كتاب مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين، د. ط، د. ن، بيروت **1869**م، ص(**209**).

[3] - دائرة المعارف الكتابية، مادة الكتاب المقدس

[4] - ، رحمت الله، إظهار الحق، تحقيق محمد ملكاوي، ط**3**، رئاسة إدارة البحوث العلمية، الرياض**1414**هـ- **1994**م(**1**/ **151**). و نخبة من أساتذة اللاهوت، قاموس الكتاب المقدس، ص(**833**). والقيصري، تاريخ الكنيسة، ص(**149**).

[5] - بسترس وآخرون، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، ص(**38**).

عرف عبر التاريخ النصراني، ولكن نتيجة لمخالفته لمقررات المجامع النصرانية اعتبر غير معترف به، ومن هذه الأسفار ما ورد اسمه في الكتب ولم يعد له وجود، ومنها ما ذكر وهو موجود بين أيدينا هذه الأيام[1].

[1] – حول الأسفار غير القانونية في نظر الكنيسة انظر المراجع التالية:

القيصري، تاريخ الكنيسة، الكتاب الثالث، ص(152) الأسفار الإلهية المقبولة والأسفار غير المقبولة. وبسترس وآخرون، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، ص(35 وما بعدها) الفصل الثالث: الأدب المنحول.و فياض. والمنصوري. النصارى، ملحق الأناجيل الضائعة، ص(175 وما بعدها). وخياطة ، الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، ص(47 وما بعدها) الفصل الثالث: الأناجيل غير المعتمدة.

الفصل الثاني: نسبة الأبناء إلى الله تعالى في الكتاب المقدس

تمهيد

المبحث الأول: نسبة الأبناء إلى الله تعالى في العهد القديم

المطلب الأول: الملائكة

المطلب الثاني: داود وسليمان عليهما السلام

المطلب الثالث: اليهود

المبحث الثاني: نسبة الأبناء إلى الله تعالى في العهد الجديد

المطلب الأول: آدم عليه السلام

المطلب الثاني: النصارى

المطلب الثالث: المسيح عليه السلام

تمهيد في نسبة الأبناء إلى الله تعالى في الكتاب المقدس

إن الناظر في صفحات الكتاب المقدس ليجد وصف الله تعالى بالآب وإضافة الأبناء إليه أمرا يتكرر في الكثير من صفحات هذا الكتاب، دون أن يجد القوم أدنى حرج في ذلك، وهذه قضية ينبغي على الباحث تناولها من ثلاث وجهات؛ الأولى عقائدية فإطلاق الأسماء والصفات على الله تعالى هو من أخص مباحث العقيدة، وما ينبغي لإنسان أن يطلق أسماءً وأوصافاً على الله تعالى كيفما أراد، بل عليه التوقف في ذلك على ما ورد في النصوص الشرعية الصحيحة.

أما الثانية فهي فقهية وتتمثل بالسؤال: ما حكم وصف الله تعالى بالآب ونسبة الأبناء إليه تعالى؟ وشأننا معهم في هذا المقام كشأن الغزالي مع الفلاسفة في وصف الله تعالى بالجوهر، وأما الثالثة فهي لغوية، وتتمثل بالسؤال: هل تحتمل اللغات المختلفة إطلاق مثل هذه الألفاظ على الله تعالى؟ وهنا لا بد من الإشارة إلى أمر بالغ الأهمية وهو أن العلماء المسلمين قد سبقوا غيرهم من العلماء في توظيف مباحث اللغات المختلفة في دراسة الأديان، حيث اللغات مختلفة، فما يكون مقبولا في بعضها لا يكون مقبولا في البعض الآخر، وعليه فينبغي التفطن لمثل هذا الأمر عندما يراد ترجمة نص من لغة إلى أخرى، وهذا ما لم يتفطن له من تصدى بالترجمة لنصوص الكتاب المقدس، بل إن اللغة الواحدة قد تختلف مدلولاتها ما بين بيئة وأخرى، وزمن وآخر، وكما قلت فقد كان للعلماء المسلمين فضل السبق في هذا المضمار، وللتدليل على ذلك نتوقف مع البيروني في كتابه" في تحقيق ما للهند من مقولة" حيث يقول:– وهكذا اسم الأبوة والبنوة فان الإسلام لا يسمح بهما إذ الولد والابن في العربية متقاربا المعنى وما وراء الولد من الوالدين والولادة منفى عن معاني الربوبية وما عدا لغة العرب يتسع لذلك جداً حتى تكون المخاطبة فيها بالأب قريبة من المخاطبة بالسيد، فها هو البيروني يبين لنا أن إطلاق مثل هذه الأسماء غير جائز في اللغة العربية حيث هي متنافية مع مقام الربوبية، ولكنَّها جائزة في غيرها من اللغات[1].

ولعله من المفيد تتبع المواضع التي نسب فيها الأبناء إلى الله تعالى في الكتاب المقدس بعهديه قديمه وجديده، وكذلك من التوقف مع أصحاب ذلك الكتاب وموقفهم من هذه النسبة، وكمدخل إلى هذا الأمر علينا

[1] – محمد بن احمد البيروني، في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ص(**18**)

التعرض لمعاني كلمة الابن في الكتاب المقدس، وتحديد ما يعنينا منها.

تطلق كلمة الابن في الكتاب المقدس ويراد بها معان عدة، وقد لخصها صاحب كتاب علم اللاهوت النظامي بقوله:– جاءت كلمة «ابن» في الكتاب المقدس بمعانٍ مختلفة:

1. الابن باعتبار علاقته بأبيه.
2. الإشارة إلى التسلسل كبني إسرائيل، أي نسل إسرائيل.
3. الإشارة إلى المسكن أو الوطن، كأبناء مصر، أي أهل مصر أو سكان مصر.
4. التلميذ أو العابد، كأبناء الأنبياء وأبناء الله.
5. الإشارة إلى صفة أو علاقة أخرى، كابن سنةٍ (عمره سنة) وبني بليعال[1] (الأشرار) وابن الهلاك (الذي يستحق الهلاك)[2].

والذي يعنينا في هذا المقام هو المعني الرابع، حيث فيه إضافة البنوة إلى الله تعالى، فما المقصود بهذه البنوة؟ وما هي المسميات التي أطلقت عليها هذه التسمية؟ وهذا ما يجعلنا نتتبع تلك النصوص التي وردت فيها، للتعرف إلى وجوه إطلاقها، وقبل ذلك تجدر الإشارة إلى أمرين؛ أولهما: أن هذه النسبة ليست على وتيرة واحدة، فثمة من وقعوا تحت هذه النسبة ولم يفارقوا طور البشرية، ولم يتميزوا عن غيرهم بشيء، وثمة من وقعوا تحتها فرفعوا من مقام البشرية إلى مقام الألوهية أو قريبا منها، كما هو الحال مع اليهود الذين وصفوا أنفسهم بأنهم أبناء الله تعالى، فرأوا أن هذه البنوة تميزهم عن غيرهم من البشر، بل لقد وصل بهم الأمر إلى أن رأوا أنفسهم مصنوعين من جوهر الله تعالى، وكما هو الحال مع النصارى في رفعهم المسيح عليه السلام إلى مقام الألوهية لوقوعه تحت هذه النسبة.

---

[1] – بليعال اسم عبري معناه عديم الفائدة أو شرير وهو اسم كان كتاب أسفار الكتاب المقدس يلقبون به كل من كان ذميما أو لئيما لا يخاف الله ولا يهاب إنسانا، انظر جيمس أَنس، علم اللاهوت النظامي، مرجع سابق، ص(**189**). وفي الكتابات اليهودية في العصور المتأخرة، أصبحت كلمة " بليعال " تستخدم علماً على " الشيطان " وكذلك على " ضد المسيح " أو" المسيح الكذاب "، كما في الكتب الأبوكريفية. انظر دائرة المعارف الكتابية، مادة بليعال(**2/ 195، 196**)..

[2] – جيمس أَنس، علم اللاهوت النظامي، ص(**180**).

وأما الأمر الثاني: فهو أن النصوص التي جاءت فيها هذه النسبة تتراوح من حيث سهولة تفسيرها وقبول ذلك التفسير، حيث ثمة نصوص لم يستطيعوا حتى الآن معرفة المقصود بها بشكل قطعي، وإنما اكتفوا بتخمينات يبنى على كل منها إشكالات لا مفر لهم منها، وذلك كما هو في قصة أبناء الله تعالى الذين تزوجوا من بنات الناس على ما سيأتي قريبا في هذا البحث.

المبحث الأول: نسبة الأبناء إلى الله تعالى في العهد القديم

المطلب الأول: الملائكة

المطلب الثاني: داود وسليمان عليهما السلام

المطلب الثالث: اليهود

المبحث الأول: نسبة الأبناء إلى الله تعالى في العهد القديم

أبناء الله تسمية تطلق في العهد القديم على مسميات متعددة ومتنوعة، تعدد كتاب هذا العهد وتنوع ثقافاتهم التي نهلوا منها، فالملائكة أبناء الله، وبعض أنبيائهم أبناء الله، وبنو إسرائيل أبناء الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. وهذه التسمية قد تطلق على شخص معين، أو على فئة من الناس رجالاً ونساءً، إلى أن تطلق هذه التسمية على شعب بأكمله.

المطلب الأول: الملائكة

تتعدد النصوص التي تصف الملائكة بأنهم أبناء الله تعالى، وأول هذه النصوص وأشدها صعوبة على كل من اليهود والنصارى ما جاء في سفر التكوين[وَحَدَثَ لَمَّا ابتدأ النَّاسُ يَكْثُرُونَ عَلَى الأرض وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ أن أبناء اللهِ رأوا بَنَاتِ النَّاسِ أنهن حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لأنفسهم نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا .فَقَالَ الرَّبُّ: "لا يَدِينُ رُوحِي فِي الإنسان إلى الأبد، لِزَيَغَانِه، هُو بَشَرٌ وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً". كَانَ فِي الأرض طُغَاةٌ فِي تِلْكَ الأيام. وَبَعْدَ ذَلِكَ أيضا إذ دَخَلَ بنو الله عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَوَلَدْنَ لَهُمْ أولادا، هَؤُلاءِ هُمُ الْجَبَابِرَةُ الَّذِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ ذوو اسم][1] .

هذا وإن يكن القوم غير متفقين على أن المقصود بأبناء الله في هذا المقام هم الملائكة، إلا أنه هناك من الشواهد ما يؤيد ذلك وهذا ما دفعني إلى وضع هذا النص تحت هذا المطلب، وأما آراء القوم في هذا المقام فتنحصر في ثلاثة آراء وهي كما يلي[2]:

أولا: إن المقصود بأبناء الله تعالى في هذا المقام هم ملائكة ساقطة– على حد تعبير النصارى– والمقصود بالسقوط هنا الوقوع في الخطيئة[3].

---

[1] – تك[6: 1– 4].

[2] – انظر هذه الآراء في تادرس يعقوب ملطي، تفسير سفر التكوين، ط1، كنيسة الشهيد مار جرجس، القاهرة ، 1983، ص(94)، ودائرة المعارف الكتابية، مادة الجبابرة (2/ 474).

[3] – ينبغي التنبيه في هذا المقام إلى الموقف القرآني الذي أثبت العصمة للملائكة عليهم السلام فوصفهم في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ

ثانيا: أن المقصود هنا هم خدام الله أو رسله، بدليل أن اللفظ في الترجمة السبعينية جاء بلفظ الملائكة بدل أبناء الله، وكلمة إنجيلوس في اليونانية تعني الرسول.

ثالثا: هم أبناء شيث الأبرار الذين تزوجوا من بنات قايين الشريرات.

على أنه ثمة محاولات من النصارى لرفض أن يكون الملائكة هم المقصودين بهذه الفقرة، كما هو الحال فيما ذهب إليه القديس أوغسطين[1] في كتابه مدينة الله، وما ذهب إليه كذلك أصحاب كتاب التفسير التطبيقي بقولهم: " ليس من المحتمل أن يكون أبناء الله هم الملائكة، لأن الملائكة لا يتزوجون ولا يلدون (انظر مت 22 : 30؛ مر 12: 25). ويعتقد بعض العلماء أن هذه العبارة تشير إلى أبناء شيث (وهم "شعب الرب" في تك 4: 26)، ولكنَّهم لم يعودوا أتقياء. وعليه فهذه الأعداد تحدثنا عن الزواج المختلط بين نسل شيث الأتقياء ونسل قايين الأشرار. ولابد أن هذا الزواج أضعف النسل التقي، وزاد من الفساد الأدبي في العالم، وأدى تزايد عدد السكان إلى تزايد الشر"[2].

قلت إن الشواهد تثبت عكس ما يريده أصحاب التفسير التطبيقي وذلك أنه تكرر إطلاق هذا التسمية على الملائكة في أكثر من موضع من العهد القديم منها على سبيل المثال: ما جاء في سفر أيوب[وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو اللهِ لِيَمْثُلُوا أَمَامَ الرَّبِّ وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أَيْضاً فِي وَسَطِهِمْ][3]، وما جاء في سفر المزامير[لأنه من في السماء يعادل الرب.من يشبه الرب بين أبناء الله][4] ومن الشواهد كذلك ما جاء في أسفار مخطوطات البحر الميت من إشارات تؤيد أن المقصود بأبناء الله هم الملائكة ففي أحد الأسفار التي تعتبر أبوكريفية يتحدث ذلك السفر عن الحمل بنوح عليه السلام، وكيف أن والده توجه إلى والدته متسائلا حول مصدر ذلك الحمل، فكانت إجابتها:" أقسم لك بالعظيم الواحد المقدس، ملك السماوات ... إن هذه البذرة هي بذرتك، وأن هذا الحمل منك، وهذه الثمرة

أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ التحريم: ٦

[1] – أوغسطين أو أوغسطينوس (354م– 430م) من أشهر آباء الكنيسة الغربية، ولد في مدينة تاغسطا(سوق أخرس) في الجزائر حاليا، تنقل من المانوية إلى الأفلاطونية المحدثة إلى المسيحية، من أشهر مؤلفاته: الاعترافات، مدينة الله والثالوث. انظر بسترس، تاريخ الفكر المسيحي، ص(728 وما بعدها)

[2] – التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، تحرير بروس بارتون وآخرون، القاهرة، د. ت. ن، ص(20).

[3] – أي[1: 6]، [2: 1]، [38: 7]

[4] – مز[89: 6].

قد زرعتها أنت، ولم يزرعها أي غريب، أو حارس أو أي من أبناء السماء" ففي هذه الإجابة دلالة على أن القوم كانوا يؤمنون بإمكانية حصول العلاقة الجنسية ما بين الملائكة والبشر، بل وفي هذه النصوص ما هو أشد دلالة على ما نريد فقد جاء في سفر أخنوخ الأول تفصيل لهذه الحادثة، وهو كما يلي:" عندما تكاثر البشر، ولد لهم بنات غضة وجميلات، ورآهن الملائكة أبناء السماء فاشتهوهن، فقال بعضهم لبعض: لنذهب ونختر نساء من البشر وننجب أطفالا. فقال لهم شمهازا الذي كان رئيسهم: أخشى أن تتراجعوا فأصبح وحدي المقترف لخطيئة كبيرة. فأجابوه جميعا: لنقسم كلنا لاعنين بعضنا بعضا ألا نتخلى عن هذا المخطط حتى نتمه ونكون قد أنجزنا أمرنا. عندها أقسموا مع بعضهم جميعا وتعاهدوا حتى اللعن من أجل ذلك. وكانوا بمجملهم مائتين، وكانوا قد نزلوا زمن يرد على قمة جبل حرمون. وسمي الجبل " حرمون" لأنهم هناك قد أقسموا وتبادلوا العهد حتى اللعن"[1]. ثم يستطرد كاتب هذا السفر في ذكر أسماء رؤساء هؤلاء الملائكة، والبالغ عددهم عشرين رئيسا، ثم يخبرنا هذا السفر كيف قام هؤلاء الملائكة باتخاذ الزوجات من بنات البشر! وكيف أنجبوا العمالقة الذين كان يبلغ طول أحدهم ثلاثة آلاف ذراع! وكيف قام هؤلاء الملائكة بتعليم البشر صناعة الأدوية والسحر وكيفية الاستفادة من النباتات والأعشاب، وكذلك المعادن وكيفية الاستفادة منها، ومن ثم كيف تسلط هؤلاء العمالقة على البشر، وكيف نشروا الفساد في الأرض، مما جعل البشر يشتكون، وترتفع أصواتهم إلى السماء، فيسمعها الملائكة الصالحون ويوصلونها إلى ربهم، الذي بدوره يعلن لنوح عليه السلام عقاب الملائكة الساقطين والعمالقة الذين من نسلهم، ومن ثم ينتقل هذا السفر إلى طلب أولئك الساقطين من أخنوخ التشفع لهم عند ربهم، وعودته إليهم برفض طلبهم ذلك[2]. وبالتالي فهذه الرواية تنص على أن أبناء الله الذين تزوجوا من بنات الناس هم الملائكة، ومثل هذه الرواية نجدها تتكرر أيضا في سفر الخمسينيات ونصها:" وعندما بدا البشر يتكاثرون على وجه الأرض وولد لهم بنات، رأى ملائكة الرب في السنة الأولى من هذه الخمسينية أنهن كن جميلات للنظر إليهن، فأخذوا منهن زوجات لهم"[3].

---

[1] – انظر مخطوطات البحر الميت(التوراة كتابات ما بين العهدين)، تحقيق أندريه دوبون سومر ومارك فيلوننكو، ص(**31**).

[2] – المصدر السابق، ص(**32** وما بعدها)

[3] – المصدر نفسه، ص(**182**).

ونجد هذا مذكورا أيضا في سفر إينوخ الابوكريفي[1]، وأيا كان وضع هذه الروايات في نظر كل من اليهود والنصارى إلا أن الاعتماد عليها يبقى أقوى من الاعتماد على تخمينات لا مستند لها.

قلت ولو أن التلمود بكونه تفسيرا للتوراة تعرض لهذه الحادثة لأعاننا كثيرا، ولكن الرواية التاريخية لهذا الأمر غائبة منه تماما[2]، ولكن يوجد في أساطير التلمود ما يشير إلى فئة من الملائكة قامت بتمرير الإساءة للبشر، وذلك عند النهي عن الخروج في ليلتي الأربعاء والسبت، وذلك لأن(أغرات) ابنة(مخلاة) تكون في الخارج ومعها ثمانية عشر ألفا من الملائكة المدمرين الذين مرروا الإساءة للبشر[3]، وقريب من هذا ما جاء في قسم الأعياد من التلمود من النهي عن المشي وحيدا ليلا حيث هناك مائة وثمانون ألف روح شريرة تخرج ليلا لتحض على الفساد[4]، ولعل السبب في غياب هذه الرواية من التلمود على الرغم من اشتماله على كثير من الأساطير هو تجنب الحاخامات للوقوع في مشكلة لا يمكن الخروج منها، وهذه المشكلة أن الملائكة في نظر حاخامات اليهود لا تقلقهم النزوة الشريرة، وهذا يعني أنهم غير معرضين للأهواء والانفعالات البشرية[5]. قلت: هذه النظرة الأخيرة هي ما ينسجم مع الإيمان الصحيح بالملائكة.

من الشواهد كذلك ما جاء في رسالة بطرس الثانية من إشارة إلى هؤلاء الملائكة الساقطين– حسب تعبير الإنجيل– يعتبر دليلا قويا على صحة تفسير أبناء الله الذين تزوجوا ببنات الناس بأنهم من الملائكة، فقد جاء فيها[لأنه إن كان الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم وسلمهم محروسين للقضاء] 2بط[2: 4] وكذلك جاء في رسالة يهوذا [والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام] يه[1: 6] ففي هذه الفقرات إشارة إلى إمكانية ارتكاب الملائكة للمعاصي والذنوب، بل هو إشارة إلى حادثة معينة حدث فيها ذلك.

كذلك فإن من الشواهد على عدم صحة مذهب النافين لأن يكون أبناء الله هم الملائكة ثمرة ذلك

---

1 – إينوخ[18: 3]

2 – آ. كوهن، التلمود، ص(108) بتصرف.

3 – المرجع السابق، ص(343).

4 – التلمود الأساسي، سدر المواعيد المقدسة، ترجمة إميل عباس، ط1، مكتبة السائح، طرابلس 2005م، ص(109).

5 – المرجع السابق، ص(102).

الزواج والتي تمثلت بإنجاب العمالقة الذين كان يبلغ طول الواحد منهم ثلاثة آلاف ذراع، وهذه نتيجة تجعل من المستبعد بل من المستحيل أن يكون أبناء الله في هذا المقام من البشر.

ومن الأمور التي دفعت هؤلاء لرفض فكرة أن يكون هؤلاء الأبناء من الملائكة تلك المباحث المتعلقة بطبيعة الملائكة وعصمتهم، ورفض إمكانية حصول التناكح بالنسبة إليهم، وقد استندوا في ذلك إلى ما جاء في إنجيل متى[لأنهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله في السماء][1] قلت: وإني لأعجب من قوم يحاولون عدم الإساءة للملائكة، وهم في الوقت نفسه يسيئون إلى رب الملائكة بنسبة الأبناء إليه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

نلاحظ فيما سبق تعارضا ما بين نصوص أهل الكتاب، فبعض النصوص تشير إلى عدم عصمة الملائكة عليهم السلام، بل تشير إلى حادثة ارتكبوا فيها المعاصي، ويعارضها النص المذكور سابقا من إنجيل متى، والذي يثبت العصمة للملائكة، ولا شك أن ما يثبت عصمة الملائكة هو الصواب، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على التغيير والتبديل الذي أحدثه أهل الكتاب في عقائدهم ونصوصهم المقدسة، وقد نص القرآن الكريم على عصمة الملائكة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾[2]، ومن هنا تظهر هيمنة القرآن الكريم على الكتب السابقة، فهو القادر على إثبات ما فيها من الحق، ورد ما فيها من الباطل: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٤٨ ﴾[3].

---

[1] – مت[22: 30].

[2] – التحريم: 6

[3] – المائدة: 48

المطلب الثاني: داود وسليمان عليهما السلام

كما أن الكتاب المقدس يصف الملائكة بأنهم أبناء الله فهو كذلك يصف بعض الأنبياء والصالحين بأنهم أبناء الله أيضا، وهذا الوصف قد يكون بصفة فردية كما هو الحال مع داود وسليمان عليهما السلام، وقد يكون بصفة جماعية كما هو الحال مع القضاة.

أما بالنسبة لداود عليه السلام فقد جاء في المزامير[إني اخبر من جهة قضاء الرب.قال لي أنت ابني.أنا اليوم ولدتك][1] على أن اعتبار داود عليه السلام هو المقصود بهذه الفقرة أمر خلافي ما بين اليهود والنصارى، ففي الوقت الذي يرى فيه اليهود أن المقصود هو داود عليه السلام، يذهب النصارى، وكما هي عادتهم في توجيه هذا النص لخدمة معتقداتهم، فيدعون أن المقصود هنا هو مسيحهم، ويرى البعض أن التفسيرين اليهودي والنصراني كانا يتطلعان إلى هذا النص على أنه من النصوص المسيانية– أي من النصوص التي تبشر بالمسيح المنتظر– ولكن اليهود في القرن الحادي عشر قصروا تفسير هذه الفقرة على داود وحده، وذلك لمقاومة التفسير النصراني[2]. ومن النصوص التي تصف داود بأنه ابن لله تعالى ما جاء في المزمور التاسع والثمانين[هو يدعوني أبي أنت.الهي وصخرة خلاصي][3] وكالنص السابق تماما يذهب النصارى إلى أن المقصود بهذا السفر هو مسيحهم، حيث يرون أن فيه أشياء لا يمكن أن تقال عن داود أو سليمان[4]، ولكن مجرد قراءة هذه النصوص كافية للدلالة على أن المقصود بها هو داود عليه السلام.

أما سليمان عليه السلام فقد وصف كذلك بأنه ابن الله وذلك في سفر صموئيل الثاني[أنا أكون له أبا وهو يكون لي ابنا][5] وذلك في خطاب موجه إلى داود عليه السلام كبشارة له بأن إلهه سيقيم من نسله من يثبت مملكته.

وأما بالصفة الجماعية فنجد قضاة بني إسرائيل وصفوا بهذا الوصف فقد جاء في المزامير[أنا قلت إنكم

---

[1] – مز[**2**: **7**].

[2]– انظر تادرس يعقوب ملطي، تفسير سفر المزامير، ص(**38**).

وانظر أنطونيوس فكري، تفسير سفر المزامير، د. ط، كنيسة السيدة العذراء، القاهرة، د. ت. ن، ص(**38**).

[3] – مز[**89**: **26**].

[4] – المرجع السابق، ص(**439**).

[5] – **2**صم[**7**: **14**].

آلهة وبنو العلي كلكم][1].

وعلى الرغم من وصف النصوص السابقة للبعض بأنهم أبناء الله– تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا– إلا أن أحدا لم يذهب إلى رفع أولئك الذين وصفوا بأنهم أبناء الله إلى مقام الألوهية، وإنما فسروا هذه النصوص تفسيرات تتماشى والطبيعة غير الإلهية لمن وصفوا ذلك الوصف، بل على العكس تماما فلربما وصف البعض منهم بأوصاف سيئة في نظر كل من اليهود والنصارى، كما هو الحال مع سليمان عليه السلام، الذي تجعله أسفار اليهود وثنيا مشركا يتقرب بالذبائح إلى آلهة زوجاته[2]، كما أن عند اليهود أسطورة تقول:" عندما تزوج سليمان ابنة أحد الفراعنة نزل جبرائيل إلى الأرض وغرس وتدا في البحر، ووضع عليه طبقة من الرمل الطمي، فأصبحت جزيرة بنيت عليها مدينة روما الكبيرة" ويراد بهذا التعبير فكرة العمل الطائش لسليمان الذي سبب فيما بعد خلق إمبراطورية ساهمت في تدمير مملكة إسرائيل[3]. قلت: لقد نهج اليهود نهجا واضحا في نصوصهم المقدسة من أبرز معالمه الإساءة إلى الأنبياء عليهم السلام والحط من قدرهم، فكيف يعقل أن يقوم نبي بعيادة الأوثان، وكيف ينسب إليه الطيش وقد اصطفاه رب العالمين ليبلغ رسالته للناس، وليكون قدوة لهم، ومن كان هذا شأنه فينبغي أن يكون معصوما عن ذلك كله، ومن هنا تظهر حاجة البشرية كافة للقرآن الكريم، حيث يقدم النبوة والأنبياء بالصورة الواضحة المشرقة التي تتناسب مع تلك الوظيفة التي اختارهم الله تعالى للقيام بها.

وليس النصارى من اليهود ببعيد، فقد نهجوا نهج اليهود عندما نسبوا الشر لسليمان عليه السلام عندما حاولوا تطبيق ما جاء في سفر صموئيل الثاني[أنا أكون له أبا وهو يكون لي ابنا] على المسيح، ونفي أن يكون المقصود هو سليمان عليه السلام بقولهم:(إن سليمان مات وأمامه علامة استفهام هل خلصت نفسه أم لا؟......... فيقال مثلا هذا الملك كان بشروره ليس مثل داود)[4]. فأي شرور هذه؟ وسليمان عليه السلام نبي من أنبياء الله تعالى، الذين هداهم وأمرنا بالاقتداء بهم.

---

[1] – مز[82: 6].

[2] – انظر سفر الملوك الأول[11: 1– 13]

[3] – آ. كوهن، التلمود، ترجمة سليم طنوس، ط 1، دار الخيال، بيروت 2005م، ص(105).

[4] – أنطونيوس فكري، تفسير سفر صموئيل الثاني، د. ط، كنيسة السيدة العذراء، القاهرة، د. ت. ن، ص(24).

المطلب الثالث: اليهود

يتكرر وصف بني إسرائيل في العهد القديم من الكتاب المقدس برجالهم ونسائهم بأهم أبناء الله، والأصل في هذه البنوة أن تكون كسابقتها لا ترتفع بهم عن طور مقام البشرية، بل ولا تميزهم في شيء عن غيرهم من البشر، ولكن الأمر ليس كذلك فهذه البنوة أصبحت عقيدة عند اليهود، جعلتهم يرون أنفسهم فوق غيرهم من البشر، بل أصبحوا يرون أنفسهم مصنوعين من نفس الجوهر الإلهي– على حد تعبيرهم– فكان لهذه العقيدة آثار كبيرة ومتعددة على جميع جوانب الحياة اليهودية، وهذا ما سنتعرض له بالتفصيل في الفصل القادم من هذا الباب، وعليه فسأكتفي في هذا المقام بالإشارة إلى تلك النصوص التي تصف بني إسرائيل بأهم أبناء الله تعالى عن ذلك.

وأول هذه النصوص جاء في سفر الخروج[فتقول لفرعون هكذا يقول الرب.إسرائيل ابني البكر، فقلت لك أطلق ابني ليعبدني فأبيت أن تطلقه ها أنا اقتل ابنك البكر][1] ويفسر البعض هذه البنوة بالمعرفة، فيقولون إن بني إسرائيل هم أول شعب عرف الله، وكانوا هم شعبه، وهو كان لهم إلها[2]، وهذا الكلام غير دقيق فالله تعالى لم يترك البشرية هملا، دون أن يرشدهم إلى نفسه، ويعرفهم بربوبيته لهم، وإلا لكان ظالما لهم، وهو ما لا يليق بمقامه سبحانه وتعالى، فالنبوة والرسالة منذ آدم عليه السلام.

أما النص الثاني فقد جاء في سفر التثنية[انتم أولاد للرب إلهكم][3]، ثم جاء هذا الوصف في سفر المزامير[قدموا للرب يا أبناء الله قدموا للرب مجدا وعزّا][4]، ثم نجد ذلك الوصف في سفر إشعيا[اسمعي أيتها السماوات وأصغي أيتها الأرض لان الرب يتكلم.ربيت بنين ونشأقم.أما هم فعصوا عليّ][5]، ثم يأتي نفس الوصف في سفر إرميا[بالبكاء يأتون وبالتضرعات أقودهم.أسيرهم إلى انهار ماء في طريق مستقيمة لا يعثرون فيها.لأني صرت لإسرائيل أبا وأفرايم هو بكري][6]، وفي سفر هوشع[لكن يكون عدد بني إسرائيل كرمل البحر الذي لا

---

[1] – خر[4: 22– 23].

[2] – أنطونيوس فكري، تفسير سفر الخروج، د. ط، كنيسة السيدة العذراء، القاهرة، د. ت. ن، ص(28).

[3] – تث[14: 1].

[4] – مز[29: 1]. وقد يفسر أبناء الله في هذا النص بالملائكة وبالتالي فيصلح شاهدا على ما جاء في المطلب الأول.

[5] – إش[1: 2]، [63: 8].

[6] – إر[31: 9].

يكال ولا يعدّ ويكون عوضا عن أن يقال لهم لستم شعبي يقال لهم أبناء الله الحي][1].

إذا فهذه هي نسبة الأبناء إلى الله تعالى في العهد القديم لا يضبطها ضابط، ولا يجمع بينها جامع، والأصل في ذلك كله أن لا تكون مستندا لرفع من يوصف بها إلى مقام الألوهية، ولكن الذي حدث خلاف ذلك فقد أصبح اليهود انطلاقا من هذه البنوة المزعومة يضعون أنفسهم في مقام الألوهية أو قريبا منها، في الوقت الذي تجدهم فيه أبعد الناس عن المروءة، وهو ما سنتناوله في الفصل القادم من هذا البحث.

---

[1] – هو[1: 10].

المبحث الثاني: نسبة الأبناء إلى الله تعالى في العهد الجديد

المطلب الأول: آدم عليه السلام

المطلب الثاني: النصارى

المطلب الثالث: المسيح عليه السلام

المطلب الأول: آدم عليه السلام

على الرغم من اعتقاد النصارى بألوهية المسيح عليه السلام إلا أنهم يقدمون في اثنين من أناجيلهم سلسلة نسب تبدأ بالمسيح وتنتهي إلى آدم عليه السلام، وفي نهاية هذه السلسلة يوصف آدم بأنه ابن الله– تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا– فأين ورد ذلك وما المراد به؟

جاءت سلسلة نسب المسيح في اثنين من الأناجيل، وهما متى ولوقا، أما متى فتنتهي سلسلة النسب عند بإبراهيم عليه السلام، وأما لوقا فهو الذي يصل بهذه السلسلة إلى آدم عليه السلام [وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلاَثِينَ سَنَةً، وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ يُظَنُّ ابْنَ يُوسُفَ، بْنِ هَالِي، بْنِ مَتْثَاتَ، بْنِ لاَوِي، بْنِ مَلْكِي، بْنِ يَنَّا، بْنِ يُوسُفَ، بْنِ مَتَّاثِيَا، بْنِ عَامُوصَ، بْنِ نَاحُومَ، بْنِ حَسْلِي، بْنِ نَجَّايِ، بْنِ مَآثَ، بْنِ مَتَّاثِيَا، بْنِ شِمْعِي، بْنِ يُوسُفَ، بْنِ يَهُوذَا، بْنِ يُوحَنَّا، بْنِ رِيسَا، بْنِ زَرُبَّابِلَ، بْنِ شَأَلْتِيئِيلَ، بْنِ نِيرِي، بْنِ مَلْكِي، بْنِ أَدِّي، بْنِ قُصَمَ، بْنِ أَلْمُودَامَ، بْنِ عِيرِ، بْنِ يُوسِي، بْنِ أَلِيعَازَرَ، بْنِ يُورِيمَ، بْنِ مَتْثَاتَ، بْنِ لاَوِي، بْنِ شِمْعُونَ، بْنِ يَهُوذَا، بْنِ يُوسُفَ، بْنِ يُونَانَ، بْنِ أَلِيَاقِيمَ، بْنِ مَلَيَا، بْنِ مَيْنَانَ، بْنِ مَتَّاثَا، بْنِ نَاثَانَ، بْنِ دَاوُدَ، بْنِ يَسَّى، بْنِ عُوبِيدَ، بْنِ بُوعَزَ، بْنِ سَلْمُونَ، بْنِ نَحْشُونَ، بْنِ عَمِّينَادَابَ، بْنِ أَرَامَ، بْنِ حَصْرُونَ، بْنِ فَارِصَ، بْنِ يَهُوذَا، بْنِ يَعْقُوبَ، بْنِ إِسْحَاقَ، بْنِ إِبْرَاهِيمَ، بْنِ تَارَحَ، بْنِ نَاحُورَ، بْنِ سَرُوجَ، بْنِ رَعُو، بْنِ فَالَجَ، بْنِ عَابِرَ، بْنِ شَالَحَ، بْنِ قِينَانَ، بْنِ أَرْفَكْشَادَ، بْنِ سَامِ، بْنِ نُوحِ، بْنِ لاَمَكَ، بْنِ مَتُوشَالَحَ، بْنِ أَخْنُوخَ، بْنِ يَارِدَ، بْنِ مَهْلَلْئِيلَ، بْنِ قِينَانَ، بْنِ أَنُوشَ، بْنِ شِيتِ، بْنِ آدَمَ، ابْنِ اللهِ][1] وهذا هو الموضع الوحيد الذي ذكر فيه آدم عليه السلام بالاسم في الأناجيل الأربعة.

---

[1] – لو[3: 23– 38].

المطلب الثاني: النصارى

يتكرر في العهد الجديد وصف المؤمنين بأنهم أبناء الله، أو أبناء العلي، أو أبناء الأب السماوي، ولكن من هم المؤمنون الذين يطلق عليهم هذا الوصف؟ إنهم أولئك الذين يعتنقون الإيمان الذي حدد بولس معالمه وأركانه، إنهم أولئك الذين يعتقدون بتجسد الإله من خلال أقنوم الابن، ويعتقدون بصلبه تكفيرا عن تلك الخطيئة التي توارثتها البشرية– حسب زعمهم– عن آدم عليه السلام، إلى غير ذلك من أركان العقيدة النصرانية والتي سيأتي تفصيلها لاحقا في هذا البحث بإذنه تعالى. وإطلاق وصف أبناء الله على هؤلاء المؤمنين نجده يتكرر سبع مرات بهذه الصيغة، ومرة بصيغة بني العلي، وأول موضع وردت فيه هذه الصيغة جاء في إنجيل متى[طوبى لصانعي السلام.لأنهم أبناء الله يدعون][1] وبعدها في إنجيل لوقا[إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضا لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله إذ هم أبناء القيامة][2] وفي إنجيل يوحنا[وليس عن الأمة فقط بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد][3] ثم تتكرر هذه النسبة في رسالتين من رسائل بولس، وهما رسالته إلى رومية، وتكررت فيها هذه النسبة ثلاث مرات[لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله][4] وأما الموضع الأخير فقد جاء في الرسالة إلى أهل غلاطية[لأنكم جميعا أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع][5].

وقد وردت هذه النسبة بصيغة بني العلي في إنجيل لوقا[بل أحبوا أعداءكم وأحسنوا واقرضوا وانتم لا ترجون شيئا فيكون أجركم عظيما وتكونوا بني العلي فانه منعم على غير الشاكرين والأشرار][6]، هذا إضافة إلى كثير من الفقرات التي تطلق على الله تعالى لفظ الأب أو الآب كما في إنجيل متى[لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات.فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين][7].

---

[1] – مت[5: 9].
[2] – لو[20: 36].
[3] – يو[11: 52].
[4] – رو[8: 14، 19]، [9: 26].
[5] – غل[3: 26].
[6] – لو[6: 35].
[7] – مت[5: 45].

المطلب الثالث: المسيح عليه السلام

تكثر الإشارة في الأناجيل للمسيح عليه السلام على أنه ابن لله، وغالبا ما يطلق على الله تعالى لفظ الآب في مقابل إطلاق لفظ الابن على المسيح عليه السلام، وتكاد المواضع التي أطلق فيها على المسيح ابن الله في العهد الجديد تبلغ الخمسين موضعا، أغلبها في إنجيل يوحنا ورسائل بولس، هذا عدا تلك المواضع التي أطلق فيها على المسيح عليه السلام لفظ"الابن" بصيغة التعريف.

وسأكتفي في هذا المقام بذكر بعض هذه النصوص لا حصرها، وإذا ما حاولنا تصنيف تلك النصوص فسنجد أن بعضها قد قيل للمسيح في مقام التحدي له، ومن ذلك على سبيل المثال ما جاء في إنجيل متى[فتقدم إليه المجرب وقال له إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزا][1]، ومنها ما قاله زعماء اليهود بعد رفعه على الصليب كما يزعمون[قائلين يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام خلّص نفسك.إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب][2]، وأغلب هذه النصوص نجده قد قيل بعد صدور معجزة ما عن المسيح عليه السلام، ومن ذلك ما قاله ركاب السفينة بعد أن رأوه يمشي على الماء[والذين في السفينة جاءوا وسجدوا له قائلين بالحقيقة أنت ابن الله][3]، ومن ذلك أيضا ما جاء في إنجيل مرقس[والأرواح النجسة حينما نظرته خرّت له وصرخت قائلة انك أنت ابن الله][4]. ومن النصوص المهمة التي لا ينبغي للباحث أن يغفل عنها ذلك النص الذي ورد في إنجيل لوقا، والذي يكشف عن سر التعبير عن المسيح عليه السلام بابن الله، حيث إن مريم عليها السلام عندما تساءلت عن كيفية حملها على الرغم من عدم زواجها أجابها الملاك قائلا: [الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله][5]، فهذا النص صريح في كشفه عن السبب الذي من أجله سمي المسيح عليه السلام ابن الله.

---

[1] – مت[4: 3].
[2] – مت[27: 40، 43].
[3] – مت[14: 33].
[4] – مر[3: 11].
[5] – لو[1: 35].

وأما تلك النصوص التي تطلق على المسيح هذه التسمية في كل من إنجيل يوحنا ورسائل بولس فإن قارئها يشعر بأن عقيدة ما قد صيغت، ثم كتبت هذه النصوص للتدليل على تلك العقيدة، ومن ذلك على سبيل المثال ما جاء في إنجيل يوحنا[وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه][1]، ومن ذلك ما جاء في رسالة بولس إلى أفسس[إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله.إلى إنسان كامل.إلى قياس قامة ملء المسيح][2].

ومع هذه النصوص يشعر الباحث ببدايات ذلك التحول في مدلول هذه العبارة، حيث إنه لم يسبق أن ارتفعت هذه العبارة بمن أطلقت عليهم إلى مقام الألوهية، ولكن هذا ما فعله النصارى بالنسبة للمسيح، وهذا ما سنتوقف معه طويلا في الفصل المخصص لبحث عقيدة البنوة عند النصارى بإذنه تعالى.

أما بالنسبة إلى تلك النصوص التي تطلق على المسيح عليه السلام لفظ" الابن" في مقابل إطلاقها لفظ" الآب" على الله تعالى فهي كذلك كثيرة، وقد وردت في ما يقارب مائة وخمسين موضعا من العهد الجديد، والمستغرب في أمرها اعتماد النصارى عليها في تأليه المسيح، في الوقت الذي تميز فيه هذه النصوص ما بين الابن والآب تمييزا لا يدع مجالا للاعتقاد بأنهما شيء واحد، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما جاء في إنجيل مرقس[وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما احد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب][3]، ومنها ما جاء في إنجيل يوحنا[لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب.من لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذي أرسله][4].

وبناء على ما تقدم نلاحظ ما يلي:

1. تعدد نصوص الكتاب المقدس التي تنسب الأبناء إلى الله تعالى.
2. عدم انضباط هذه النسبة بضابط معين، فهي قد تطلق على الملائكة أحيانا، وعلى الأنبياء أحيانا، وعلى القضاة أحيانا أخرى، بل وتطلق على شعب بأكمله رجاله ونسائه، بره وفاجره.

---

[1] – يو[20: 31].
[2] – أف[4: 13].
[3] – مر[13: 32].
[4] – يو[5: 23].

3. مدلول هذه النسبة أيضا غير منضبط، فثمة من أطلقت عليه ولم يفارق مقام البشرية، وثمة من أطلقت عليه فأصبح ابنا لله تعالى، فمن أغضبه أغضب الإله، ومن صفعه فكأنما صفع الإله، كما هو الحال مع اليهود، وأي إله هذا الذي يصفع؟! إلا إذا كان وثنا من الأوثان، أو إلها من صناعة البشر، وثمة من أطلقت عليه فأصبح الإله نفسه كما هو المسيح عند النصارى تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

الفصل الثاني: عقيدة البنوة عند اليهود وجذورها وآثارها

تمهيد: اليهودية بين الوثنية والتوحيد

المبحث الأول: عقيدة البنوة عند اليهود وجذورها

المطلب الأول: اليهود

المطلب الثاني: الشخيناه والابن المبارك

المطلب الثالث: عزير ابن الله

المطلب الرابع: عزير أو عِزرا

المطلب الخامس: الجذور الوثنية لعقيدة البنوة عند اليهود

المبحث الثاني: آثار هذه العقيدة

المطلب الأول: آثار عقيدة البنوة على تصور اليهود للذات الإلهية

المطلب الثاني: آثار عقيدة البنوة على اليهود وعلى الديانة اليهودية

المطلب الثالث: آثار عقيدة البنوة على تعامل اليهود مع غير اليهود

تمهيد: اليهودية بين الوثنية والتوحيد

قد يسأل سائل فيقول: من المعروف أن الديانة اليهودية ديانة توحيدية، وهذا أمر قد يكون مجمعا عليه، ليس في نظر اليهود وحدهم، بل في نظر غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى فكيف تجعل من عقائدهم نسبة الأبناء إلى الله تعالى، وهي من العقائد الوثنية؟

والجواب عن هذا التساؤل أنه لا يستطيع كائن من كان أن ينكر أن الديانة اليهودية في أصلها ديانة توحيدية خالصة، ولكن هذه الديانة تعرضت عبر مراحلها المختلفة لكثير من التغير والتغيير، وذلك إما بفعل رجال الدين اليهودي، وإما بتأثير من تلك الديانات التي عاش اليهود بين أتباعها، فدخلها الكثير من عناصر الوثنية، ومن أنكر ذلك كان كمن يحاول أن يحجب نور الشمس بغربال، ولكن لما كان التوحيد شرفا لمعتقديه فقد حاول اليهود بشتى الوسائل والطرق إقناع الجميع بأن الديانة اليهودية ما زالت ديانة توحيدية خالصة[1]، ولكن أنى لهم ذلك وأهم كتبهم على الإطلاق شاهدة بعكس ما يريدون إثباته؛ فهي مليئة بالنصوص التي تجسد الإله، وتصفه بالكثير من الصفات البشرية، التي لا تليق به إطلاقا كوصفه بالجهل، والتعب والندم[2]، هذا في العهد القديم، أما في التلمود فليس الأمر بأقل من ذلك فأدب حاخاماتهم ظل يحتوي على الكثير من المقاطع المجسمة للإله، فهو يحمل التمائم، يخصص ثلاث ساعات يوميا لدراسة التوراة، يأسف للأخطاء التي ترتكبها مخلوقاته، يهتم شخصيا بزواج

---

[1] – انظر عرفان، اليهودية، ص(**12**) وانظر كذلك الموقع الالكتروني لوزارة خارجية اليهود
http://www.altawasul.com/MFAAR/this+is+israel/jewish+religion/about+the+jewish+religion/
حيث جاء فيه: **اليهودية، وهي أول وأقدم الأديان التوحيدية الثلاث الكبرى.**

[2] – إن نظرة سريعة في أول أسفار كتابهم المقدس كفيلة بإظهار مثل هذه الأوصاف فهو على سبيل المثال يحاول إيجاد معين ونظير لآدم فيلتمسه في حيوانات البرية وطيور السماء، فيجدها لا تصلح لذلك فيضطر إلى خلق حواء[وقال الرب الإله ليس جيدا أن يكون آدم وحده.فاصنع له معينا نظيره . وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء.فاحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها.وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها . فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية.وأما لنفسه فلم يجد معينا نظيره . فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام.فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما . وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة واحضرها إلى آدم] تك[**2**: **18**– **22**] وها هو يمنع الإنسان من الأكل من شجرة معرفة الخير والشر ثم يخشى أن يأكل من شجرة الحياة فيخرجه من الجنة حتى لا يصبح كواحد من الآلهة[وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر.والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا إلى الآبد فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها] تك[**3**: **22**، **23**]

آدم من حواء، يجدل ذوائب حواء لتبدو جميلة أمام زوجها[1]، إلى غير ذلك من النصوص التي تفيض شناعة، ولا يرضاها أوضع المخلوقات لنفسه، فكيف يوصف بها صاحب الجلال والكمال- تعالى عن ذلك علوا كبيرا- بل إن كتبهم مليئة بنصوص تدل على تعدد الآلهة عندهم في كثير من مراحل حياتهم، ولو أراد باحث ما تتبع الآلهة التي عبدها اليهود من العهد القديم لسود في ذلك الكثير من الصفحات.

يقول إسرائيل شاحاك: كانت الديانة اليهودية دائما ديانة توحيد كما يعرف في الوقت الراهن كثير من علماء التوراة، وكما تبين أي قراءة متأنية للعهد القديم بسهولة فإن هذا الرأي اللاتاريخي خاطئ تماما، هناك في كثير من- إن لم نقل في كل أسفار العهد القديم- حضور وسلطة لأرباب آخرين معترف بهم صراحة، لكن يهوه أقوى الأرباب، غيور جدا من منافسيه، يحظر على شعبه عبادتهم، ولا يظهر إلا في نهاية التوراة فقط لدى بعض الأنبياء المتأخرين إنكار لوجود جميع الأرباب ما عدا يهوه[2].

على أن اليهود قد حاولوا قديما وحديثا الخروج من هذا المأزق باللجوء إلى التأويل[3]، وكان حاصل ما ذهب إليه حاخاماتهم أن المقصود من ذلك تسهيل الفهم، وإعطاء الألوهية مزايا كي يفهمها الناس عامة[4]، وحتى لا نظلم القوم فإن لديهم أفكارا عن الإله تنسجم مع التوحيد الخالص كوصف الله تعالى بالخلود والعلم بكل شيء والقدرة على كل شيء والعدل والرحمة والقداسة والكمال[5]، ولكن المشكلة تبقى في أن النصوص التي تدل على هذه الصفات تبقى جنبا إلى جنب مع تلك التي تجسم الإله وتشبهه بمخلوقاته بل وتقر بتعدد الآلهة، ولعل السبب يكمن في أن النصوص التي بين أيديهم ليست من نفس المنبع، وإنما هي عبارة عن عمليات من الجمع والانتقاء

---

[1] - انظر التلمود، سدر الأعياد، فصل المقادير 18ب، ص(82)
the Holy One, blessed be He, plaited Eve's hair and then brought her to Adam
وانظر كوهن، التلمود، ص(55).

[2] - إسرائيل شاحاك، الديانة اليهودية وعلاقتها بغير اليهود، ترجمة حسن خضر، ط1، سينا للنشر، القاهرة1994م، ص(50). وكتاب التاريخ اليهودي. الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة، ترجمة صالح سوداح، ط1، بيسان، بيروت 1995م، ص(53).

[3] - انظر على سبيل المثال سعد بن منصور بن كمونة، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث اليهودية المسيحية الإسلام، د. ط، دار الأنصار، القاهرة، د. ت. ن، ص(33، 34).

[4] - المرجع السابق، ص(54، 55)

[5] - نفس المرجع، ص(59 وما بعدها).

والتلفيق من مصادر مختلفة[1]، أدت إلى وجود هذا التناقض في كتبهم، وليس هذا التناقض في أمور تشريعية أو مسائل فرعية، وإنما هو في أخص مباحث العقيدة وهو التوحيد.

وعليه فاليهودية ديانة توحيدية في أصلها، وما زال التوحيد مبثوثا في الكثير من نصوصها، ولكن الوثنية قد اقتحمت هذه الديانة، وأثرت فيها تأثيرا بالغا، وتركت فيها معالم واضحة من معالمها، ومن هذه المعالم نسبة الأبناء إلى الله تعالى.

وقد عبر المسيري عن ذلك خير تعبير بقوله:(ولكن اليهودية، كتركيب جيولوجي، تراكمت داخلها طبقات أخرى، وما التوحيد سوى طبقة واحدة ضمن طبقات مختلفة. فالعهد القديم- كما يتضح في مصادره المتعددة-يطرح رؤى متناقضة للإله، تتضمن درجات مختلفة من الحلول، بعضها أبعد ما يكون عن التوحيد) [2].

---

[1] - حول هذه المصادر انظر بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص(33 وما بعدها).

[2] - المسيري، الموسوعة، (5/ 65).

المبحث الأول: عقيدة البنوة عند اليهود وجذورها

المطلب الأول: اليهود

المطلب الثاني: الشخيناه والابن المبارك

المطلب الثالث: عزير ابن الله

المطلب الرابع: عزير أو عِزرا

المطلب الخامس: الجذور الوثنية لعقيدة البنوة عند اليهود

المطلب الأول: اليهود

تقدم في الفصل السابق عند الحديث عن نسبة الأبناء إلى الله تعالى في الكتاب المقدس أنه تكرر وصف بني إسرائيل بأبناء الله تعالى في الكثير من نصوص العهد القديم، ومع أن هذه البنوة لم تكن بنوة حقيقية، وبالتالي فما ينبغي أن تترتب عليها أية نتائج تسيء إلى مقام الألوهية، أو ترفع أحدا من البشر إلى هذا المقام، أو تعطيه ميزات تجعله يرى نفسه أفضل ممن سواه لا لشيء إلا لأن نصا من النصوص جعله ابنا لله تعالى، إلا أن الأمر على النقيض من ذلك، فالناظر في واقع اليهود وتعاملهم مع الوجود بمكوناته المختلفة يجد أنهم قد وقعوا في المحظور، فانعكست تلك البنوة سلبا على تعاملهم مع الله تعالى، ومع أنفسهم ومع غيرهم من البشر.

وإذا ما عدنا إلى تلك النصوص التي تصفهم بأبناء الله تعالى فنجدهم في سفر الخروج أبناء لإله يدخل من خلال موسى عليه السلام في مقايضة مع فرعون ليخلصهم من تعذيبه لهم، فيهدد فرعون بقتل ابنه البكر إن هو لم يطلق الابن البكر لهذا الإله، ثم تتوالى النصوص التي تصف العلاقة بين هذا الأب وأبنائه فهو يغضب عليهم تارة، ويرأف عليهم تارة، ويعتب عليهم تارة أخرى.

هذا وقد أخذت هذه العلاقة صيغا أخرى، وهي صيغة" شعب الله المختار" أو" الشعب المقدس" التي تصور هذا الإله إلها لليهود دون غيرهم من البشر، وتصورهم في الوقت نفسه شعبا لهذا الإله دون غيره من الآلهة، بل وتصوره كواحد منهم يرحل إذا رحلوا، وينزل إذا نزلوا، فهو معهم لا يفارقهم قيد أنملة، بل يطلب منهم أن يبنوا له مكانا مقدسا ليسكن في وسطهم[1]، يسير أمامهم على شكل عمود سحاب في النهار، وعمود نار في الليل[2].

والحقيقة أنه كما يقول كوهن صاحب كتاب التلمود: إسرائيل هي الشعب المختار عقيدة رئيسية، إنها بالطبع عقيدة توراتية. غير أن الحاخامات قاموا بتضخيمها إلى درجة كبيرة جدا، وهذا ما جعل التلمود يشدد في

---

[1] – [فيصنعون لي مقدسا لأسكن في وسطهم]خر[25: 8].

[2] – [وكان الرب يسير أمامهم نهارا في عمود سحاب ليهديهم في الطريق وليلا في عمود نار ليضيء لهم.لكي يمشوا نهارا ولـيلا. لم يبرح عمود السحاب نهارا وعمود النار ليلا من أمام الشعب] خر[13: 21، 22].

كل مكان على القرابة الثابتة والفريدة الكائنة بين الله وشعبه[1]، وعليه فقد لجأ الحاخامات إلى مجال التفسير لترسيخ هذه العقيدة، ومن ذلك أنهم جعلوها استجابة لمطلب طلبه موسى من الله تعالى، فقد جاء في سفر الخروج[فانه بماذا يعلم أني وجدت نعمة في عينيك أنا وشعبك.أليس بمسيرك معنا.فنمتاز أنا وشعبك عن جميع الشعوب الذين على وجه الأرض][2].

وتجدر الإشارة إلى موقف الفيلسوف اسبينوزا الرافض بل الساخر من هذا التفسير، فنجده يقول:(ومن هنا أرادوا أن يستنتجوا أن موسى قد طلب من الله أن يكون حاضرا أمام اليهود، وأن يكشف عن نفسه لهم بتنبؤات، وألا يعطي هذا الفضل بعد ذلك أي شعب آخر. وإنه لمن المضحك حقا أن يكون موسى قد حسد الأمم الأخرى على حضور الله أمامهم أو يتجرأ على أن يطلب من الله شيئا من هذا القبيل)[3]. ويذهب هذا الفيلسوف في هذا المقام مذهبا مناقضا لما يبتغيه الحاخامات فيقول: إن موسى نتيجة لمعرفته لحقيقة اليهود ونزوعهم إلى العصيان أدرك أنه لا يمكنه القيام بهذه المهمة دون الاعتماد على معجزة، بل على أكبر المعجزات، وبالتالي فهذا الطلب يدل على عصيان هذا الشعب لا على أنه شعب مختار.

ومن ضمن تضخيم الحاخامات لهذه العقيدة أنهم ذهبوا إلى حد التصريح أن القدوس الواحد الممجد عقد حلفا مع إسرائيل بسبب التوراة الشفهية(التلمود) وأن الله قد أعطاهم إياها ليميزهم عن الأمم الأخرى[4].

وإذا ما عدنا إلى النصوص المعبرة عن هذه العلاقة فنتوقف بداية مع ما جاء في سفر الخروج في مخاطبة الله تعالى لموسى عليه السلام [فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب.فإن لي كل الأرض .وانتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة][5]، ومنها كذلك ما جاء في سفر اللاويين[وقلت لكم ترثون أنتم أرضهم وأنا أعطيكم إياها لترثوها أرضا تفيض لبنا وعسلا.أنا الرب إلهكم الذي ميّزكم من الشعوب .

---

1 – كوهن، التلمود، ص(**113**).

2 – خر[**33**: **16**].

3 – اسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة حسن حنفي، ط**1**، دار التنوير، بيروت **2005**م، ص(**177**).

4 – كوهن، التلمود، ص(**209**، **2010**) وانظر محمد جمال طحان، الخديعة الكبرى هل اليهود حقا شعب الله المختـــار، ط**1**، دار الأوائل، دمشق **2003**م، ص(**25**).

5 – خر[**19**: **5**– **6**].

فتميّزون بين البهائم الطاهرة والنجسة وبين الطيور النجسة والطاهرة.فلا تدنسوا نفوسكم بالبهائم والطيور ولا بكل ما يدبّ على الأرض مّما ميّزته لكم ليكون نجسا .وتكونون لي قديسين لأني قدوس أنا الرب.وقد ميّزتكم من الشعوب لتكونوا لي][1]، وكذلك ما جاء في سفر التثنية[لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك.إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا اخصّ من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض][2].

كما نجد هذه الفكرة في مخطوطات البحر الميت حيث جاء في مخطوط الهيكل:(أنتم أبناء يهوه، ربكم، عليكم عدم جرح أنفسكم......... لأنكم شعب مقدس ليهوه، ربكم، ولا يجوز لكم تدنيس أرضكم)[3].

ولما كان تاريخ اليهود لا يشهد لهم بهذا الاختيار، بل هو على العكس من ذلك، حيث حاق بهم من الويلات والمصائب ما لم يكن في شعب آخر، فقد كانت هذه العقيدة بحاجة إلى تفسير، وبعبارة أخرى: إذا كان اليهود هم أبناء الله، وشعبه المختار المقدس، فكيف تحل بهم هذه المصائب؟ لأجل ذلك نجد اليهود يحاولون تفسير هذه العقيدة بما يتناسب مع ذلك التاريخ، وواقع اليهود في مراحل حياتهم المختلفة. أما عن تفسير هذا الاختيار فلهم فيه مذاهب متعددة، وجميعها يؤكد على فكرة الانفصال والانعزال عن الأمم الأخرى، وذلك تعبيرا عن القداسة الناجمة عن الحلول الإلهي في الشعب اليهودي، وتتمحور هذه التفسيرات في اتجاهات ثلاثة، وهي:

1. اختيار الله لليهود دلالة على تفوقهم على غيرهم، فهو لم يخترهم كشعب فقط بل كجماعة دينية، حملت الرسالة بعد أن رفضتها جميع شعوب الأرض، مما حولهم إلى مملكة من الكهنة والقديسين. وبالتالي فهم متفوقون على غيرهم عرقيا وأخلاقيا. وهذا ما يرويه حاخاماتهم عن كيفية إعطاء التلمود لهم، حيث كان الله قد عرض التوراة الشفهية على الأمم، وكل أمة كانت تسأل عن محتواها ثم تراها عبئا ثقيلا فتعرض عنها، إلا اليهود الذين قبلوا هذا الشرف العظيم[4].

---

[1] – لا[20: 24- 26].

[2] – تث[7: 6]، [14: 2].

[3] – النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت، تحقيق غيزا فيرم، ص(320) وانظر (التوراة كتابات ما بين العهدين)، تحقيق أندريه دوبون سومر ومارك فيلونتكو، (2/ 175).

[4] – جاء هذا في أسطورة من أساطير التلمود وتقول: إن إلههم توجه أولا إلى أبناء إسرائيل وقال: أتقبلون" التورا" سألوا ما فحواها؟ فقال: لا تقتل، أجابوا يا سيد الكون: أصلا كان جدنا يريق الدماء، ثم التفت إلى أبناء عمون ومؤاب وقال لهم: هل تقبلون" التورا"؟ أجابوا: ماذا تنص؟ أجاب: لا تزن. قالوا: يا سيد الكون: إن وجود هذا العالم ناتج من فعل الفجور! تركهم وذهب

2. الاختيار كتكليف ديني، وبالتالي فهو مسؤولية تعني زيادة الأعباء الدينية على عاتق اليهود.

3. تفسير هذا الاختيار على أنه سر من الأسرار الربانية، وبالتالي فهو لا يسقط عن اليهود بحال من الأحوال[1].

وهذا التفسير الثالث هو أكثر هذه التفاسير رواجا وقبولا لدى اليهود، فهذا الاختيار جعل إلههم ملتزما بحبهم، فلا يستطيع التخلي عنهم لأي سبب من الأسباب[2]، ويظهر هذا في عدم تخلي هذا الإله عنهم حتى في تلك الأحوال التي بلغوا فيها أبعد الحدود في عصيانه ومخالفة أوامره.

وأرى أن عقيدة البنوة من أقوى الأسباب وراء تلك العلاقة التي يدعونها بينهم وبين الله تعالى، فالقوم يرون أنفسهم أبناء لله تعالى، وبالتالي فكما أن الأب ملزم بأبنائه مهما كانت إساءتهم، ومهما بلغ عقوقهم، فالله تعالى ملزم بهؤلاء الأبناء كذلك، كيف لا وفي التلمود أن من الصفات التي يتصف بها إلههم صفة الأبوة، فقد وضعها كوهن في كتابه" التلمود" والذي يعتبر ملخصا للتلمود الحقيقي ضمن صفات الإله الأخرى كالعلم والقدرة وغيرها، وها هو ذا يقول: إن القرابة في جميع صفحات التلمود التي بين الخالق وخلقه مصممة على صورة الأب وأبنائه، فالإسرائيليون محبوبون لأنهم سموا أبناء الحاضر في كل مكان، لكن بمقتضى حب خاص[3]. بل لقد جاء هذا التعبير بشكل أوضح في أحد أسفارهم المتعلقة بعيد الفصح[4]، وفي محاولة من الحاخامات لتوضيح هذه

إلى أولاد إسماعيل، قال لهم: هل تقبلون" التورا"؟ أجابوا: بماذا كانت توصي؟ أجاب: لا تسرق. .... فلم توجد أي أمة إلا وذهب إليها هذا الإله، وتقدم لها بهذا الطلب، فلم تقبله، ثم حمل أبناء نوح الوصايا السبع، ولكنهم أصبحوا غير قادرين على المحافظة عليها، ورفضوها، وأعطوها لبني إسرائيل.كوهن، التلمود، ص(116). وانظر التلمود، سدر الأضرار، فصل عبدة الأوثان 2ب، ص(3). وللدكتور المسيري في هذا المقام لفتة جميلة جدا حيث دعا إلى المقارنة ما بين هذه النظرة العنصرية الضيقة، وتلك النظرية القرآنية التي شملت الإنسانية جمعاء في قوله تعالى﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ الأحزاب: ٧٢

[1] – انظر هذه التفسيرات في: المسيري، موسوعة اليهود واليهودية، (5/ 72، 73)

[2] – تعتبر هذه النظرة قديمة ومتجذرة عند اليهود، وكدليل على ذلك انظر لاحقا ذلك الحوار الذي دار بين أبي بكر الصديق رضي الله عنه واليهودي فنحاص، الذي ادعى أن الله فقير إلى اليهود وهو المحتاج إليهم، مما دفع الصديق إلى ضربه ضربا شديدا.

[3] – كوهن، التلمود، ص(69)

[4] – عيد الفصح: أحد أعياد اليهود، يذكرهم بعبورهم من مصر إلى فلسطين، يبدأ في 25 نيسان ويستمر لسبعة أيام. المسيري، موسوعة اليهود واليهودية، (5/ 268).

العلاقة ما بين الله واليهود فقد ضربوا لذلك مثالا كالآتي: يأمر الله تعالى رجلا أن يتزوج من عاهرة، وينجب منها أطفالا، ثم يأمره بتركها، ولكن هذا الرجل لا يستطيع تركها لأنها أم أولاده، وكذلك هو الحال مع اليهود فإن إلههم لا يستطيع تركهم لأنه أبوهم[1]. فانظر إليهم قبحهم الله تعالى كيف بهم دون أدنى تردد يلصقون الفاحشة والرذيلة بمقام الألوهية، وما ذلك منهم إلا ترويجا للرذيلة وإشاعة لها، فهي وسيلتهم للسيطرة على هذا العالم.

ولا تقف هذه البنوة عند البنوة المعنوية بل نجدها في كثير من الأحيان تتعداها إلى البنوة المادية، أو البنوة الفعلية، فالشعب اليهودي في نظر القبالاه اليهودية ليس مجرد شعب مختار، بل هو جزء عضوي من الذات الإلهية[2]، وكما يقول صاحب اليهودي حسب التلمود: (وتتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من والده)[3]، ومن هنا فقد جاء في التلمود في سدر الأضرار فصل سنهدرين: إن من ضرب يهوديا على وجهه فكأنما ضرب الحضرة الإلهية[4]، ومن مسهم بسوء كان كمن مس بؤبؤ عين إلههم نفسه[5].

وكما أسلفت فإنهم يرون أن العلاقة بين الله وبينهم علاقة متينة لدرجة أن الطريقة التي يُعامل بها اليهود على الأرض لها تداعياتها على الله في السماء، كل من يتمرد أو يقف ضد إسرائيل فإنه يتصرف كما لو أنه يتمرد على الرب القُدُّوس الممجد، وكل من يكره إسرائيل يشبه من يُبغض الله[6].

قلت وفي هذا كله يظهر طبع اليهود الاستغلالي، حيث إنهم يستغلون كل شيء ويوظفونه لتحقيق مصالحهم، وجعل الناس خاضعين لهم، منقادين لرغباتهم، دون أدنى ذرة من ورع، ولذلك نجدهم يحاولون إظهار

---

[1] – التلمود، سدر الأعياد، فصل فصحيم **87** أ ، ص(**292**) والنص باللغة الإنجليزية هو:

I will order him: "Go and marry a harlot and beget thee children of harlotry"; and then I will order him: "Send her away from thy presence." If he will be able to send [her] away. so will I too send Israel away.

[2] – المسيري، موسوعة اليهود واليهودية، (**5/ 73**)

[3] – روهلنج، اليهودي حسب التلمود، ضمن الكنز المرصود، ص(**60**). وانظر مسعد، بولس، همجية التعاليم الصهيونية، ط**2**، المكتب الإسلامي، بيروت**1403**هـ– **1983**م، ص( ).

[4] – التلمود، سدر الأضرار، فصل سنهدرين، **58**ب، ص(**261**) والنص باللغة الإنجليزية هو:

He who smites an Israelite on the jaw, is as though he had thus assaulted the Divine Presence.

[5] – التلمود، سدر النساء، فصل الطلاق" جطين" **57**أ، ص(**157**) والنص باللغة الإنجليزية هو:

Who ever touches them touches the apple of his eye.

[6] – كوهن، التلمود، ص(**114**).

أنفسهم بمظهر من ينفذ إرادة الله في هذه الدنيا، ولكن أنى لهم ذلك والمرء لا يكاد يجد نصا من نصوصهم إلا وفيه إساءة لمقام الألوهية، أو فيه دعوة للرذيلة، أو استخفاف بالعقل، بل غالبا ما تجتمع هذه المساوئ كلها، فتجعل المرء محتارا فيمن يقبلون أن يكون هذا النص منسوبا لهم، فكيف بهم وقد جعلوه مصدرا لعقيدتهم؟

ولما كان اليهود يرون أنفسهم أبناء الله فإنهم لا يتورعون عن الكذب على الله تعالى، وحالهم في ذلك كحال الطفل الذي ينسب كلاما لأبيه كذبا لإظهار محبة ذلك الأب لذلك الابن، وبالتالي فقد جاء في نصوصهم أن الله يخاطب ملك الموت والذي هو الشيطان قائلا: رغم أني وضعتك حاكما على العالم تمارس سلطتك على البشر، فليس من حقك التدخل في شؤون هذا الشعب– اليهود– لأنهم أبنائي[1].

أقول إن المرء ليعجب من سفه هؤلاء القوم، حيث إنهم قد جعلوا الله تعالى يعطي حكم هذا العالم للشيطان، وما الرسالات السماوية في جوهرها إلا لتحرير الإنسان من عبودية الشيطان، ثم كيف يمنع الله تعالى الشيطان أو ملك الموت– حسب ما يقولون– من التدخل في شؤون اليهود، ونحن نراهم كغيرهم من البشر يتجرعون كأس الموت، بل هم حسب ما أخبرنا القرآن الكريم أحرص الناس على حياة: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[2]، ولم يقل القرآن على الحياة وإنما على حياة، لأن اليهودي يظل حريصا على حياته حتى لو كانت مليئة بالذل والمهانة، وهم الذين يفرون من الموت: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ ﴾[3]، وما ذلك إلا خوفا من لقاء الله تعالى، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على كذبهم في دعواهم البنوة لله تعالى، وهو عين ما أخبرنا به القرآن الكريم: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن

---

[1] – نفس المرجع، ص(112)

[2] – البقرة: 96

[3] – الجمعة: 6.

يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾[1]، فلو كانوا أبناءه على ما يزعمون ويدعون، لكان دليل صدقهم الشوق إلى لقاء ذلك الأب، كما هو حال الابن مع أبيه، ولكن هيهات هيهات.

وفي مقابلة نظرة اليهود لأنفسهم على أنهم أبناء الله، وأنهم متحدرون منه كما يتحدر الابن من أبيه، فإنهم ينظرون لغيرهم على أنهم خلقوا عبيدا لهم، وأن شعوب الأرض مشتقة من الأرواح النجسة، ولم يعطوا صورة الإنسانية إلا إكراما لليهود[2]، وهذه النظرة نجدها مترسخة في الفكر الصوفي اليهودي، حيث إنهم يعتبرون غير اليهودي امتدادا للشيطان بالمعنى الحرفي، والقلائل غير الشيطانيين هم في الواقع أرواح يهودية ضلت سبيلها[3]، والتلمود هو المسؤول عن هذه النظرة، حيث جاء فيه: إن آدم قد انفصل عن حواء لفترة مائة وثلاثين سنة، وذلك بعد الطرد من الجنَّة، وفي هذه الفترة كانت الأرواح الشرِّيرة الذكرية تتحمس لحواء، ووثقت علاقاتها معها، بينما الأرواح الشريرة الأنثوية فقد تحمست لآدم، وحصلت منه على أحفاد وسلالات[4]. وقد يكون ذلك إشارة إلى شيطانة الليل ليليت[5] التي يرون أنها كانت على علاقة بآدم في فترة انفصاله عن حواء، وهي التي حذر حاخامات اليهود اليهودي من أن يبيت وحيدا في البيت خوفا من أن تمسكه هذه الشيطانة[6].

---

[1] – المائدة: **18**.

[2] – بولس مسعد، همجية التعاليم الصهيونية، ص(**11**).

[3] – شاحاك، الديانة اليهودية، ص(**20**). وكتاب التاريخ اليهودي. الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة، ص(**30**).

[4] – التلمود، سدر الأعياد، فصل المقادير **18**ب، ص(**82**)

In all those years during which Adam was under the ban he begot ghosts and male demons and female demons, for it is said in Scripture: And Adam lived a hundred and thirty years and begot a son in his own likeness, after his own image, from which it follows that until that time he did not beget after his own image.

ونجد هذه الفكرة في كتاب دلالة الحائرين حيث يقول ابن ميمون:(عندما كان آدم منتهرا أولد نفوسا يعنون شياطين فلما رضي عليه أولد شبهه أعني على مثاله كصورته وهو قوله: وعاش آدم مائة وثلاثين سنة وولد على مثاله كصورته) انظر موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، تحقيق وترجمة حسين اتاي، ط**1**، مكتبة الثقافة، القاهرة **1428**هـ– **2007**م، ص(**33**).

5 – ليليت: شيطانة في التراث الديني اليهودي، ومن خلال اسمها جعلت شيطانة الليل، التي تأتي بالأحلام الجنسية للرجال، وتقتل الأطفال المولودين حديثا وأمهاتهم، وفي التلمود أنها كانت على علاقة بآدم في فترة انفصاله عن حواء– حسب ما يدعيه اليهود– أو أنها كانت زوجته الأولى، ولكنها رفضت أن يطأها في عملية الجماع، لأنها كانت ترى ذلك إذلالا لها، فهربت وأقسمت أن تنتقم منه. المسيري، موسوعة اليهود واليهودية، (**5/ 293**). من نافلة القول إن ما تقدم يندرج تحت نهج اليهود في الإساءة إلى أنبياء الله تعالى.

[6] – التلمود، سدر الأعياد، فصل السبت**151**ب، ص(**490**) وانظر المسيري، موسوعة اليهود واليهودية، (**5/ 293**).

وثمة من ينظر إلى الشعب اليهودي أو إلى إسرائيل على أنه فكر الله الموجود قبل خلق الكون، وأن السماء والأرض لم تخلق إلا مراعاة له، وأن الهدف من خلق العالم هو تسبيح الله وتمجيده من خلال إسرائيل، وعليه فالعالم لا يمكن أن يوجد بدون هذا الشعب أو هذه الجماعة[1]، وهذه النظرة تشبه إلى حد كبير نظرة النصارى للمسيح كما سيأتي لاحقا عند بحث عقيدة البنوة عند النصارى.

و هذه النظرة إن دلت على شيء فإنما تدل على محاولة اليهود جعل أنفسهم الأساس الذي يقوم عليه هذا الكون، ويسلكون لذلك كل أبشع السبل، كالإساءة إلى مقام الألوهية، والكذب على الله تعالى.

---

[1] – كوهن، التلمود، ص(115).

المطلب الثاني: الشخيناه والابن المبارك

تقدم فيما مضى عند الحديث عن علاقة الإله ببني إسرائيل أنه يسكن في وسطهم، وقد جاء في سفر الخروج[فيصنعون لي مقدسا لأسكن في وسطهم][1] فمن هو هذا الذي يسكن في وسط بني إسرائيل؟ مع أن الكلام قد جاء على لسان إله اليهود إلا أنهم اتجهوا إلى تفسير هذا النص بأن الذي يسكن وسطهم هو الشخيناه، فما هي هذه الشخيناه؟ وما علاقتها بالله تعالى؟ وما هي وظائفها؟ وما علاقتها ببني إسرائيل؟ وهل لها دور في عملية الخلق؟ والأهم من ذلك كله هو ما علاقتها بعقيدة البنوة عند اليهود؟

يتجه بعض اليهود إلى تفسير الشخيناه بأنها روح الله تعالى، في حين أن المعنى الحرفي لهذه الكلمة هو مكان الإقامة[2]، أو السكون والهجوع[3]، فكأن المقصود بها مكان إقامة الله بينهم! ويفسرونها أحيانا بالنور[4]، وتشير في معظم النصوص الدينية اليهودية إلى الحضرة الإلهية، أو حلول الله تعالى في شعب إسرائيل، ولعل تتبع بعض المواضع في التلمود يوضح لنا ذلك فقد جاء في سدر الأعياد فصل السبت أن الشخيناه تسكن في وسط اليهود[5]، وهم يحجزون لها مقعدا لتجلس عليه[6]، ويعقوب كان يجهز لها مقعدا في كل بيت من بيوت زوجاته، والبيت الذي تنزل فيه الشخيناه كان يقضي ليله فيه[7].

وهذه الشخيناه جميلة جدا لدرجة أن آدم عليه السلام بالمقارنة معها يبدو كالقرد بالنسبة للإنسان، مع أنهم يقولون إن آدم مخلوق على صورة الله– تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا– وأي صورة هذه التي يقولون بها؟ إنها

---

[1] – خر[25: 8].

[2] – كوهن، التلمود، ص(58) وص(95).

[3] – المسيري، موسوعة اليهود واليهودية، المجلد الخامس، ص(178).

[4] – نفس المرجع، ص(95).

[5] – التلمود، الأعياد، السبت 22ب.

But it is a testimony to mankind that the Divine Presence rests in Israel

[6] – التلمود، الأعياد، السبت 55ب، ص(165).

He transposed two couches, one of the Shechinah Others say

[7] – التلمود، الأعياد، السبت 55ب، ص(166).

Jacob set a couch for the Shechinah in the tents of each of his wives, and where the Shechinah came to rest there he spent the night.

صورة كائن ذو وجهين أحدهما للأمام والآخر للخلف، حيث يقول أحد حاخاماتهم: إن الرجل الأول أو آدم كان له وجهان كاملان أحدهما للأمام والآخر للخلف، وذلك لأنه مكتوب في الكتاب المقدس إن الله قد خلق آدم على صورته[1]. ويرون أن هذين الوجهين رمزان للذكر والأنثى في الوقت نفسه، ومقصودهم أن الله في البداية لم يخلق الذكر والأنثى معا، وإنما خلق آدم وحده، ولأن توراتهم تقول[وقال الله: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا............ فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكرا وأنثى خلقهم][2]، فالحديث عن ذكر وأنثى وذلك قبل خلق حواء، إذا فلا بد وأن تكون الذكورة والأنوثة اجتمعت في آدم في البداية، والذي كان بدوره شبيها لذلك الإله الذي خلقه حسب ما يدعيه اليهود[3].

فانظر إلى هذه الإساءة إلى مقام الألوهية في ديانة تدعي لنفسها التوحيد ميزة مع أنها في هذا المقام أبعد ما تكون عنه، بل هي غارقة في الوثنية إلى شحمة أذنيها، فأي إله هذا الذي تحده الجهات حتى يكون له وجهان أحدهما للأمام والآخر للخلف، وإذا كانت هذه من علامات الكمال فالأكمل على مذهب القوم أن يكون لذلك الإله ستة أوجه لا اثنان فحسب، ولربما يقول قائل في هذا المقام: كيف تعيب على القوم شيئا وفي سنة نبيكم مثله؟ فأقول: وما ذلك؟ فيقول: ألم يرد في حديث نبيكم أن الله خلق آدم على صورته؟ فأقول: نعم. لقد ورد ذلك في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا فلما خلقه قال اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن)[4]. ولكن ذلك ليس كما تقول، فأين هذا من ذاك؟ وأين ما يقوله علماء المسلمين مما يقوله أحبار اليهود؟ وإليك ما قاله ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، فإنه

---

[1]– التلمود، سدر الأعياد، فصل المقادير، 18ب، ص(81).

The first man had two full faces, for it is said in Scripture: Thou hast shaped me behind and before.

[2] – تك[1: 26، 27].

[3] – انظر مباحث الحاخامات اليهود حول هذه القضية في التلمود، سدر الأعياد، فصل المقادير 18أ، ص(81– 82).

[4] – البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام، حديث رقم(5759).

سيدفع عنك ذاك الوهم، يقول ابن حجر:(وَاخْتُلِفَ إِلَى مَاذَا يَعُود الضَّمِير ؟ فَقِيلَ : إِلَى آدَم أَيْ خَلَقَهُ عَلَى صُورَته الَّتِي اِسْتَمَرَّ عَلَيْهَا إِلَى أَنْ أُهْبِطَ وَإِلَى أَنْ مَاتَ ، دَفْعًا لِتَوَهُّمِ مَنْ يَظُنّ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ فِي الْجَنَّة كَانَ عَلَى صِفَة أُخْرَى ، أو اِبْتَدَأَ خَلْقه كَمَا وُجِدَ لَمْ يَنْتَقِل فِي النَّشْأَة كَمَا يَنْتَقِل وَلَده مِنْ حَالَة إِلَى حَالَة . وَقِيلَ لِلرَّدِّ عَلَى الدَّهْرِيَّة أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ إِنْسَان إِلَّا مِنْ نُطْفَة وَلَا تَكُون نُطْفَة إِنْسَان إِلَّا مِنْ إِنْسَان وَلَا أَوَّل لِذَلِكَ ، فَبَيَّنَ أَنَّهُ خُلِقَ مِنْ أَوَّل الْأَمْر عَلَى هَذِهِ الصُّورَة . وَقِيلَ لِلرَّدِّ عَلَى الطَّبَائِعِيِّينَ الزَّاعِمِينَ أَنَّ الْإِنْسَان قَدْ يَكُون مِنْ فِعْل الطَّبْع وَتَأْثِيره ، وَقِيلَ لِلرَّدِّ عَلَى الْقَدَرِيَّة الزَّاعِمِينَ أَنَّ الْإِنْسَان يَخْلُق فِعْل نَفْسه ، وَقِيلَ إِنَّ لِهَذَا الْحَدِيث سَبَبًا حُذِفَ مِنْ هَذِهِ الرِّوَايَة وَأَنَّ أَوَّله قِصَّة الَّذِي ضَرَبَ عَبْده فَنَهَاهُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ وَقَالَ لَهُ إِنَّ اللَّه خَلَقَ آدَم عَلَى صُورَته ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَان ذَلِكَ فِي كِتَاب الْعِتْق ، وَقِيلَ الضَّمِير لِلَّهِ وَتَمَسَّكَ قَائِل ذَلِكَ بِمَا وَرَدَ فِي بَعْض طُرُقه " عَلَى صُورَة الرَّحْمَن " وَالْمُرَاد بِالصُّورَةِ الصِّفَة ، وَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّه خَلَقَهُ عَلَى صِفَته مِنْ الْعِلْم وَالْحَيَاة وَالسَّمْع وَالْبَصَر وَغَيْر ذَلِكَ ، وَإِنْ كَانَتْ صِفَات اللَّه تَعَالَى لَا يُشْبِههَا شَيْء)[1]، ففي الوقت الذي يغرق فيه اليهود في التجسيم والتشبيه، نجد المسلمين يتحركون بفكرهم في إطار التتريه لله تعالى عن كل ما لا يليق بجلاله، وذلك انطلاقا من قوله تعالى:

﴿ .... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[2].

ولنرجع الآن إلى تلك الشخيناه في نظر اليهود حيث يرون أنها في بداية الأمر كانت تسكن العالم السفلي، ولكن عندما ارتكب آدم خطيئته صعدت إلى السماء الأولى، وعندما أخطأ قايين[3] صعدت إلى الثانية، ثم في عهد أنوش[4] صعدت إلى الثالثة، وفي زمن الطوفان صعدت إلى السماء الرابعة، ثم في زمن برج بابل صعدت إلى السماء الخامسة، وفي زمن السدوميين[5] وصلت إلى السادسة، وبسبب المصريين المعاصرين لإبراهيم ارتفعت إلى

---

[1] – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، د. ط، دار المعرفة، بيروت 1379هـ، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام (11، 3).

[2] – الشورى: 11.

[3] – وذلك بقتل أخيه.

[4] – أنوش: هو ابن شيث ابن آدم حسب ما جاء في سفر التكوين[4: 26].

[5] – السدوميون: سكان منطقة سدوم، والتي كان يسكنها لوط عليه السلام، ولكن لوقوع أهلها في الشرك والمعاصي ، أرسل الله نارا من السماء فأحرقتها، ولم ينج منها إلا لوط وابنتاه، حسب ما جاء في الأصحاح التاسع عشر من سفر التكوين، ثم أصبحت خطيئة سدوم مضربا للأمثال في الكتاب المقدس. قاموس الكتاب المقدس، مادة سدوم، ص(460– 461).

السماء السابعة.

ثم في رحلة عكسية نجد إبراهيم عليه السلام قد أعادها إلى السماء السادسة، وإسحاق عليه السلام إلى السماء الخامسة، ويعقوب عليه السلام إلى السماء الرابعة، وبعد ذلك أعادها لاوي إلى السماء الثالثة، وكوهات ابن لاوي إلى السماء الثانية، وأمرام ابن كوهات ووالد موسى عليه السلام أعادها إلى السماء الدنيا، وموسى عليه السلام هو الذي أعادها من الأعلى إلى الأسفل[1].

ولكن ما العلاقة ما بين الذات الإلهية والشخيناه؟ مع أن اليهود في كثير من الأحيان يقدمون الشخيناه على أنها روح الله أو الحضرة الإلهية، إلا أنه ثمة نصوص تفرق ما بين الشخيناه والذات الإلهية، فهو الذي يسكنها حيث يشاء، والله هو القادر على أن يحصرها في ذراع مربع واحد[2].

وفي الفكر الصوفي اليهودي نجد الشخيناه هي التجلي الأنثوي للإله، حيث إنهم يقولون بتجليات عشرة تحدث لإلههم[3]، تنتهي بالتجلي الأنثوي الشخيناه، ويتم التعبير عن العلاقة ما بين هذه التجليات من خلال صورة جنسية واضحة، ويجب ألا ننسى أن الأب والأم هما النموذجان الأمثلان المتحققان. وقد حملت الأم من الأب،

---

1 – كوهن، التلمود، ص(97، 98).

2 – نفس المرجع، ص(96).وانظر:

RABBAH, MIDRASH RABBAH, EXODUS,THIRD EDITION, THE SONCINO PRESS, LONDON. NEW YORK. 1983, P6-7.

3 – المسيري، موسوعة اليهود واليهودية، (5/ 178). وهذه التجليات هي:

أ– كيثر، أو كيثر عليون، أي التاج الأعلى للإله، وهي أيضا الإرادة المقدسة والعقل الفعال.

ب– الحوخمه، أي الحكمة، وهو أول التجلّيات المتعيِّنة التي انفصلت عن الإله المتخفي، وهو الفكر الإلهي الكوني.

ت– البيناه، أي الفهم أو الذكاء. وهو خلاف الحكمة، فهو العقل الذي يميِّز بين الأشياء والذات والمخلوقات.

ث– جيدولاه أي العظمة، وأحيانا يشار إليه بكلمة حسيد، وهو حب الإله الفائض ورحمته.

ح– جبوراه، أي القوة أو السلطة، وغالباً ما كان يشار إليه بكلمة «دين»، أي «الحكم الصارم»، وهو مصدر الحكم الإلهي.

خ– تفئيرت أي الجمال، ويشار إليه بمصطلح رحاميم، أي التعاطف، وهو أيضا الشمس والابن والملك المقدس.

د– نيتسح وهو التحمل، أو الأزلية والنصر.

ذ– هود أي جلال الإله.

ر– يسود عولام، أي أساس كل القوى النشيطة في الإله، وهو الذي يصل بينه وبين الأرض.

ز– ملكوت، أو الملكة، وهي الشخيناه، والماترونيت، وكنيسة يسرائيل.

وأنجبت الابن والابنة، وكانا في الأصل كائناً واحداً أحادياً مخنثاً (ذكر/أنثى) يعبِّر عن الواحدية الكونية، ولكن الابن انفصل عن الابنة وبدأت قصة الحب بين الأخوين[1].

وابتعاد الأخوين هـــو مصــــدر الخلل الكوني، فإذا اجتمعا عمَّ السلام. وكان من المفترض، بعد عملية الخلق الأولى، أن يجتمع الابن والابنة بالمعنى الحَرْفي والجنسي، ولكن السقوط أدَّى إلى فراقهما وزاده.. وقد خلق الإله الشعب اليهودي ليُصلح الخلل ويُقرِّب الابن والابنة. ولكن، بسبب ذنوب جماعة يسرائيل، هدم مخدع الشخيناه، أي الهيكل، فنُفيت الشخيناه معهم خارج فلسطين[2].

وهنا نتساءل ما علاقة الشخيناه بالذات الإلهية؟ وما دورها في عملية الخلق؟ يجيبنا عن هذا السؤال أحد علماء اليهود، وهو إسرائيل شاحاك في كتابين من كتبه، وهما؛ "الديانة اليهودية وعلاقتها بغير اليهود" و"التاريخ اليهودي. الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة"، يقول شاحاك: (وفق المعتقدات القبالية، فإن الكون ليس محكوما من إله واحد، بل من آلهة عدة، مختلفة الصفات والقدرات، انبثقت عن سبب أول قديم غامض، وبحذف الكثير من التفاصيل، يستطيع المرء أن يلخص هذا الترتيب على النحو التالي: من السبب الأول، انبثق أو ولد أولا إله ذكر يدعى" الحكمة" أو" الأب" ثم إلهة أنثى تدعى " المعرفة" أو" الأم"، ومن زواج هذين ولد إلهان صغيران: الابن، وتطلق عليه أسماء أخرى عديدة مثل" الوجه الأصغر" أو" التقي المبارك" والابنة وتدعى أيضا" السيدة" أو" ماترونيت" وهي كلمة مشتقة من اليونانية أو" شخيناه" أو" الملكة"... وهكذا... هذان الإلهان الصغيران يجب أن يتحدا، ولكن أحابيل الشيطان تمنع اتحادهما. والشيطان ضمن هذا الترتيب، شخصية مستقلة وهامة جدا. قام السبب الأول بعملية الخلق كي يتيح الفرصة لاتحادهما ولكن السقوط[3] جعلهما منفصلين أكثر مما سبق، وجاء الشعب اليهودي لإصلاح الخرق الذي سببه آدم وحواء، وتم هذا أسفل جبل سيناء للحظة، فقد اتحد الإله الابن، متجسدا بموسى مع الإلهة شخيناه.......... ولسوء الحظ فقد تسببت خطيئة العجل الذهبي[4] بانفصام في رأس

---

[1] – نص هندي قديم يتناول السلوك الجنسي لدى الإنسان.

[2] – المسيري، موسوعة اليهود واليهودية، المجلد الخامس، ص(177).

[3] – يقصدون بالسقوط أكل آدم عليه السلام وزوجته من الشجرة وخروجهما من الجنة، قلت وهذا كلام لا يليق بمقام نبي من أنبيـــاء الله تعالى، وأبي البشر جميعا، وإنما هي عادة اليهود في الإساءة إلى أنبياء الله تعالى.

[4] – هي تلك الحادثة التي وردت في سفر الخروج[ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمـــع الـــشعب علـــى

ذلك الإله، لكن توبة الشعب اليهودي أصلحت الأمور إلى حد ما، وبالمثل يعتقد بأن كل حادثة في التاريخ اليهودي التوراتي ترتبط باتحاد أو انفصام الزواج المقدس، .... وواجب اليهود الأتقياء أن يعيدوا عبر صلواتهم وتصرفاتهم الوحدة المقدسة الكاملة، لهذا السبب وقبل القيام بمعظم التصرفات الطقوسية لا بد من تلاوة الدعاء القبالي التالي: " لأجل اتحاد الابن المبارك التقي مع شخيناه........" وصلوات الصبح اليهودية تقام من أجل الدعاء لهذا الاتحاد ولو مؤقتا، والأجزاء المتتابعة للصلاة تتوافق صوفيا مع مراحل الاتحاد المتوالية)[1]. ولنا أن نلاحظ ونستنتج من هذا النص الأمور التالية:

1. إساءة اليهود إلى مقام الألوهية بهذه التصورات التي لا يمكن أن تنسجم بحال من الأحوال مع التوحيد الذي تدعيه اليهودية لنفسها.
2. لا ينبغي لأحد محاولة تأويل هذا التصور للتخفيف من شناعته حيث اللفظ المستخدم وهو الكلمة العبرية" يحود" وقد أشار شاحاك إلى أنه نفس اللفظ المستخدم في النصوص القانونية المتعلقة بالزواج[2]، وهذا ما أشار إليه كذلك المسيري في موسوعته[3].
3. تأثر اليهودية بالأديان الوثنية فالشيخناه إلهة كنعانية حسب ما يقوله المسيري[4]، وهي ماترونيت المستمدة من الديانة اليونانية.
4. استقلالية الشيطان في مجرى الأحداث الكونية، حيث نجده يلعب دورا حاسما في مجريات هذا الكون، بل إن المتتبع لنصوص هذه الديانة ليجد الأضحية تقدم للشيطان مثلما تقدم لإلههم نفسه[1].

هرون.وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا.لان هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من ارض مصر لا نعلم ماذا أصابه .فقال لهم هرون انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها .فنزع كل الشعب أقراط الذهب الـتي في آذانهم وأتوا بها إلى هرون 4.فاخذ ذلك من أيديهم وصوّره بالأزميل وصنعه عجلا مسبوكا.فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من ارض مصر] خر[32: 1- 4] فانظر إليهم قبحهم الله تعالى كيف ينسبون أقبح الأفعال إلى أنبيائهم، وانظر سرعتهم في الانقلاب على أنبياءهم، وقارن ذلك بما ورد في القرآن الكريم في سورتي الأعراف وطه، لترى مدى الفرق ما بين رفعة الأسلوب القرآني، وسموه وتنزيهه الأنبياء عن النقائص وما بين انحطاط أسلوب اليهود وانغماسه في أوحال القذارة مـن الإساءة للأنبياء ونسبة الشنائع إليهم.

[1] – شاحاك، التاريخ اليهودي...، ص(54- 55) والديانة اليهودية...ص(51- 52)

[2] – نفس المرجع، ص(77).

[3] – المجلد الخامس، ص(179)

[4] – المسيري، موسوعة اليهود واليهودية، ص(178).

5. **الدور المحوري للشعب اليهودي فهو وسيلة الله لإصلاح هذا الكون على ما يزعمون، وبالتالي فمن حقه أن يسلك كل السبل الكفيلة بإعادة ذلك الاتحاد، ومن ذلك أن كثيرا من أصحاب هذا التصور يرون أن مما يسرع بحدوث هذا الاتصال الحرب ضد العرب، وطرد الفلسطينيين[2].**
6. **التشابه الكبير ما بين هذه العقيدة وعقيدة النصارى في المسيح عليه السلام، فأقنوم الابن تجسد في شخص عيسى عليه السلام – حسب معتقد النصارى– والابن المبارك تجسد في موسى عليه السلام.**
7. **أن هذا التصور وإن كان من تصورات التصوف اليهودي، إلا أن اليهود عامة لا يستنكرون ذلك، بل إن أكثرهم يشتركون في تلك الصلوات التي تهدف إلى إعادة ذلك الاتحاد، وبناء عليه فلا يرد على نسبة هذا الاعتقاد لليهود اعتراض مفاده أن هذا الاعتقاد عند متصوفة اليهود فحسب، فلا تصح نسبته إلى اليهود جميعا، ومثل هذا سيرد معنا قريبا في هذا البحث بإذنه تعالى عند الحديث عن اعتقاد اليهود أن عزيرا ابن الله تعالى.**

---

[1] – انظر ما جاء في سفر اللاويين[ويأخذ التيسين ويوقفهما أمام الرب لدى باب خيمة الاجتماع. ويلقي هرون على التيسين قرعتين قرعة للرب وقرعة لعزازيل] لا[16: 7، 8]. وانظر التلمود، سدر المقدسات، فصل البـــدل 6ب، ص(24)، 22أ، ص(102).

[2] – شاحاك، الديانة اليهودية، هامش ص(53)، قلت وقريب من هذا ما أورده صاحب كتاب" كتابات من الجحيم" من أن بعـــض اليهود يعتقدون بإلهين طائفيين هما" جوفياه" و" مولوش" ويحبان التغذية باللحم البشري. أحمد عمران الزاوي، كتابـــات مـــن الجحيم وعقائد معجونة بالدماء، ط1، دار المجد، دمشق 2001م، ص(408).

المطلب الثالث: المسيح المنتظر

كما في كثير من الأديان والمذاهب تشكل فكرة انتظار مخلص يحقق الخير المطلق لخاصته أو لشعبه ركنا أساسيا في العقيدة اليهودية، وهم يطلقون على هذا المخلص اسم المسيح المنتظر، فكيف نشأت هذه العقيدة عندهم؟ ومن هو هذا المسيح؟ وما هي أوصافه؟ وما هي الأحداث التي ترافق مجيئه؟ والأهم من هذا وذاك ما علاقته بعقيدة البنوة أو نسبة الأبناء إلى الله تعالى عند اليهود؟

يعود أصل تلك الكلمة إلى تلك العادة التي كانت موجودة عند اليهود وهي المسح بالزيت المقدس على رأس الكاهن أو الملك قبل تنصيبهما، وكانت هذه الكلمة في البداية ذات مدلول عام يشير إلى كل ملوك اليهود وأنبيائهم، بل نجدها تتعداهم إلى كل من يقدم خدمة عظيمة لليهود كما هو الحال مع قورش أو كورش[1]، ثم ضاق مفهومها ليدل على شخص يرسله الإله ليخلص اليهود فينهي عذابهم وفرقتهم ويجمع شملهم في أرض الميعاد[2].

وثمة من يرى أن هذا الاعتقاد عند اليهود قد نشا عن عقائد سابقة وهي:

1. أن اليهود هم النسل الحقيقي لإبراهيم عليه السلام.
2. وعليه فاليهود هم أرقى البشر على الإطلاق.
3. أن يهوه أقوى وأعظم من آلهة الشعوب الأخرى.

ولما كان يهوه قد وعدهم وعودا كثيرة طال عليها الزمن ولم تتحقق فقد نشأ لديهم الاعتقاد بمجيء هذا المخلص ليحقق لهم تلك الوعود[3].

ويعتقد اليهود أن هذا المسيح هو من نسل داود عليه السلام، وبالتالي فتكثر الإشارة إليه في التلمود بابن داود.

على أنه ينبغي التنبيه إلى أن بعض أحبارهم قد نفى هذه الفكرة وقال إنه لا ينبغي لليهود انتظار المسيح

---

[1] – قورش أو كورش هو الملك الفارسي الذي قام بإعادة اليهود من منفاهم البابلي إلى فلسطين حسب ما جاء في العهد القديم، وقد أطلق عليه هذا الاسم في إشعيا[هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذي أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أمما واحقاء ملوك احل لأفتح أمامه المصراعين والأبواب لا تغلق] إش[45: 1]

[2] – شلبي، اليهودية، ص(210 وما بعدها) والمسيري، موسوعة اليهود واليهودية، (5/ 294)

[3] – شلبي، اليهودية، ص(212).

لأنه تحقق لهم في زمن حزقيال[1]، كما أن الاختلافات بشأنه كثيرة ومتباينة بين أحبار اليهود فقد اختلفوا في زمن مجيئه فالبعض يقول: إنه لا يعلم أحد زمن مجيئه[2]، ومنهم من يقول إن وجود العالم ستة آلاف سنة؛ ألفا سنة كانت للخراب، وألفان لازدهار التوراة، وألفان للمسيح المنتظر[3]، ويرون أن زمن مجيء المسيح هو من الأسرار الإلهية[4].

ومجيء هذا المسيح تعجل به أعمالهم الصالحة عند اجتماعها، وتؤخره أعمالهم السيئة، ففي أساطيرهم أن أحد أحبارهم كان ينتظر هلالا جديدا، ولكنَّه تأخر، وعندما سأله فيما بعد عن سبب هذا التأخير أجابه: إن سبب تأخري هو أني انتظرت حتى أيقظت إبراهيم فغسل يديه وصلى، وبعدها أعدته لنومه، ثم فعلت مثل ذلك مع إسحاق، ومثله كذلك مع يعقوب. وعندما سأله ولماذا لم توقظهم معا في نفس الوقت؟ أجاب: كنت أخشى من قوة صلاتهم، مما سيؤدي إلى مجيء المسيح قبل موعده[5].

ومثلما اختلف أحبار اليهود في زمن مجيئه فقد اختلفوا كذلك في اسمه فمنهم من يقول اسمه شيلو[6]، ومنهم من يقول حنيناه، ومنهم من يقول مناحيم[7]، وإن دلت هذه الاختلافات على شيء فإنما تدل على ضعف

---

[1] – التلمود، سدر الأضرار، فصل سنهدرين 99أ، ص(434).

R. Hillel said: There shall be no Messiah for Israel, because they have already enjoyed him in the days of Hezekiah.

[2] – التلمود، سدر الأعياد، فصل الفصح 45ب، ص(174).

[3] – التلمود، سدر الأضرار، فصل ستهدرين 97أ، ص(425، 426):

TheTanna debe Eliyyahu teaches: The world is to exist six In the first two thousand there was desolation; two thousand years the Torah flourished; and the next two thousand years is the Messianic era .

[4] – المرجع السابق، 94أ، ص(408– 410).

[5] – التلمود، سدر الأضرار، فصل الباب الأوسط 85ب، ص(303)

[6] – شيلو أو شيلون أو شايلوه على اختلاف ما بين ترجمات الكتاب المقدس، يعود هذا الاسم لما ورد في سفر التكوين[لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب] تك[49: 10] وقد اعتبر عبد الأحد داود في كتابه محمد ﷺ في كتب اليهود والنصارى أن المقصود بهذا الاسم هو محمد ﷺ بدليل أن هذه هي المرة الوحيدة التي ذكر فيها هذا الاسم في الكتاب المقدس، وأن جميع ترجمات الكتاب المقدس قد احتفظت بها كما هي(شايلو) دون تفسير باستثناء الترجمة السريانية المعروفة بالبشيتا حيث فسرت هذا الاسم بالشخص الذي يخصه الصولجان والتشريع، وعليه فيصبح معنى ذلك النص: أن صفات السلطان والنبوة لن تنقطع من يهوذا وسلالته حتى يأتي ذلك الشخص الذي تخصه هذه الصفات. والذي تتحدث عن هذه النبوءة شخص يجمع ما بين النبوة والتشريع أو السلطة وتخضع له جميع الأمم ولا ينطبق ذلك إلا على نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام. انظر عبد الأحد داود، محمد ﷺ كما ورد في كتب اليهود والنصارى، ترجمة محمد فاروق الزين، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض 1418هـ– 1997م،ص(61 وما بعدها)

[7] – التلمود، سدر الأضرار، فصل سنهدرين 98ب، ص(433).

معتقدات القوم، وعدم استنادهم فيها إلى دليل يعتمد عليه، يثبت دعوتهم ويرفع الخلاف من بينهم.

أما علامات مجيء هذا المسيح فقبل مجيئه تتغير السنن والقيم الاجتماعية والكونية؛ فالشباب سيهينون الشيوخ، والشيوخ يوقرون الشباب، وتقف البنت في وجه أمها، والزوجة في وجه أم زوجها، ووجوه الناس تصبح شبيهة بوجوه الكلاب، والأبناء لا يستحون من آبائهم. وكذلك تفسد عقائد الناس فيتحولون كلهم إلى اعتقادات الهراطقة في نظر اليهود[1]، وفي المقابل هناك من يقول إن غير اليهود سيدخلون في دين اليهود، وكذلك الاختلاف حاصل في مدة بقاء هذا المسيح على الأرض فالبعض يقول أربعين سنة، والبعض سبعين، والبعض يقول لثلاثة أجيال، ويصل بها البعض إلى فترات طويلة تصل آلاف السنين[2].

ونتيجة لتأخر مجيء هذا المسيح، وبالتالي عدم تحقق ما يطمحون إليه فقد اخترعوا صورة لمسيح آخر، وأطلقوا عليه المسيح ابن يوسف، وهي صورة على النقيض من صورة مسيحهم المنتظر، حيث إن المسيح ابن يوسف هذا سيعاني كثيرا، ثم يموت في ساحة المعركة، ليعم الظلام والخراب الأرض بعد موته، ليأتي بعد ذلك مسيحهم الذي يعتبرونه ابن الله على ما سيأتي في الفقرات القادمة[3].

وهذه الاختلافات بين أحبار اليهود في كل ما يتعلق بمسيحهم المنتظر جعلت الكثير من الباحثين أمثال مارتن لوثر ينكرون مجيئه، حيث يرى أن هذا المسيح لن يأتي، وذلك لأنه تخطى جميع الفترات التي يمكن أن يجيء فيها، وذلك أن لوثر يرجع إلى ما جاء في العهد القديم[لأنه هكذا قال رب الجنود.هي مرّة بعد قليل فأزلزل السماوات والأرض والبحر واليابسة .وأزلزل كل الأمم ويأتي مشتهى كل الأمم فأملأ هذا البيت مجدا قال رب الجنود][4]، وبالتالي فهذا النص يحدد مجي مسيحهم المنتظر بعد فترة قصيرة من الزمن، وهو ما لم يحدث، وكذلك مرت الفترة الطويلة التي قالوا بها، ولم يظهر ذلك المسيح، وهذا ما دفع لوثر إلى القول إن مسيح اليهود المنتظر هو

---

[1] – المرجع السابق، 97أ، ص(425).

[2]– **Barclay, Joseph: Hebrew Literature,REVISED EDITION, the colonial PRESS, London, New york 1901, p34 .**

[3] – انظر صورة المسيح ابن يوسف في التلمود، سدر الأعياد، فصل خيمة الاجتماع 52أ، ص(168).

[4] – حج[2: 6– 7].

الذهب والفضة، وذلك أنه يفسر مشتهى الأمم الوارد في النص السابق بالذهب والفضة[1].

وقبل مواصلة الحديث عن مسيح اليهود المنتظر ينبغي التنبيه في هذا المقام إلى أن العلماء المسلمين يرون هذا النص من البشارات الواردة في الكتاب المقدس بنبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وهذا ما أثبته من أسلم من علماء أهل الكتاب، حيث إن الأصل العبري لعبارة مشتهى الأمم هو حمدوت الأمم أي محمود الأمم وهو من أسماء النبي ﷺ [2].

ونعود الآن إلى محور بحثنا وهو ما العلاقة بين المسيح المنتظر وعقيدة البنوة عند اليهود؟ فأقول وبالله التوفيق: إن الناظر في نصوص اليهود التي تحدثت عن هذا المسيح يجد أنه على الرغم من التعبير عنه بابن داود أو ابن الإنسان إلا أنه يتمتع بصفات تفوق الصفات البشرية، بل نجده في كثير من الأحيان يقدم بصورة شبيهة للمسيح ابن الله عند النصارى، وهذا ما دفع الكثير من الباحثين إلى القول بأن تصور النصارى للمسيح متأثر بدرجة كبيرة بتصور اليهود لمسيحهم المنتظر[3].

وقبل أن نتناول الجانب الإلهي لهذا المسيح في فكر اليهود نتناول بعض النصوص التي تحدثت عنه في الكتاب المقدس، وهذه النصوص أحيانا تتحدث عنه على أنه مرسل من الله، وابن لله، وملك لليهود يعيد إليهم مجدهم، وكذلك ينصرهم على أعدائهم كما في إشعيا[لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا، مُشِيرًا، إِلهًا قَدِيرًا، أَبًا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلاَمِ. لِنُمُوِّ رِيَاسَتِهِ، وَلِلسَّلاَمِ لاَ نِهَايَةَ عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَعَلَى مَمْلَكَتِهِ، لِيُثَبِّتَهَا وَيَعْضُدَهَا بِالْحَقِّ وَالْبِرِّ، مِنَ الآنَ إِلَى الأَبَدِ. غَيْرَةُ رَبِّ الْجُنُودِ تَصْنَعُ هذَا][4]، ومن هذه النصوص ما جاء في سفر دانيال[كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى

---

[1] – مارتن لوثر، اليهود وأكاذيبهم، ترجمة محمود النجيري، ط1، مكتبة النافذة، القاهرة 2007م، ص(96).

[2] – عبد الأحد داود، محمد ﷺ كما ورد في كتب اليهود والنصارى، ص(39 وما بعدها)

[3] – انظر على سبيل المثال: شلبي، اليهودية، ص(210) والمسيري، موسوعة اليهود واليهودية، المجلد الخامس، ص(295).

[4] – إش[9: 6– 7].

وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ، فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ][1]، وهذا التعبير وإن كان جاء بصيغة ابن الإنسان إلا أنه يدل على أن هذا الشخص فيه جانب إلهي، وذلك أن السحاب في الكتاب المقدس يرمز إلى الحضور الإلهي، فإلههم قد كلم موسى من خلال السحاب كما في سفر الخروج[2]، وهو سيأتي لموسى في ظلام السحاب لكي يسمع الشعب كلام هذا الإله مع موسى[3]، وعليه فما جاء في سفر دانيال فيه دلالة على وجود جانب إلهي في شخص المسيح الذي ينتظره اليهود، وهذا ما دفع النصارى إلى القول: إن المقصود بهذا النص هو المسيح ابن الله الذي يؤمن به النصارى[4].

وهذا ما أشار إليها بعض الباحثين ومنهم على سبيل المثال صاحب كتاب" اليهود في زمن المسيح" حيث يقول: إن المسيح المنتظر ليس إنسانا عاديا، بل هو إنسان سماوي، وكائن معجز خلقه الله قبل الدهور، وهو يحمل لقب ابن الإنسان، أي أنه سيظهر في صورة إنسان، وإن كانت طبيعته تجمع بين الله وبين الإنسان[5].

والمسيري في موسوعته يرى أن الجانب الإلهي في شخصية هذا المسيح هو عبارة عن حلول الإله في ذلك الشخص[6]، وهذا شبيه بحلول الإله في شخص عيسى عليه السلام حسب دعوى النصارى.

ومما يدل على أن اليهود ينظرون لمسيحهم المنتظر على أنه ابن الله– تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا– أن أشهر من ادعى انه المسيح المنتظر من اليهود وهو شبتاي تسفي[7] قد ادعى أنه الابن البكر للإله تعالى، وكان بعد

---

[1] – دا[7: 13].

[2] – خر[16: 10].

[3] – خر[19: 9].

[4] – انظر التفسير التطبيقي للكتاب المقدس عند تفسيره لهذه الفقرة من سفر دانيال. ص(1700).

[5] – Charles Guignebert, The Jewish World in the Time of Jesus, p 141

وانظر شلبي، اليهودية، ص(210).

[6] – انظر المجلد الخامس، ص(295).

[7] – شبتاي تسفي ولد 23/ 7/ 1626م في أزمير وتوفي 1676م بمرض الكوليرا بعد أن نقلته السلطات العثمانية إلى ألبانيا، تلقى تعليما دينيا تقليديا درس من خلاله التوراة والتلمود، واهتم بشكل خاص بدراسة التصوف اليهودي، وعند سن الثانية والعشرين استغل تلك الظروف التي كان يعيشها العالم بشكل عام واليهود على وجه الخصوص فأعلن نفسه المسيح المنتظر، تنقل ما بين تركيا ومصر وفلسطين معلنا دعوته هذه، وبلغ به الأمر أن نقض أهم الشرائع اليهودية فقام بنطق اسم الإله الأمر الذي تحرمه الشريعة اليهودية، وأعلن بطلان سائر الأحكام الشرعية المكتوبة والشفوية، ووصل به الأمر إلى أن أعلن أنه سيستولى على العرش العثماني، ويخلع الخليفة، ثم أعلن أنه ابن الإله البكر، وأنه الله تعالى الله عن ذلك، وكان من أتباعه من

أن بلغ ما بلغ قد وضع لنفسه ألقابا يوقع بها رسائله، ومن هذه الألقاب" ابن الإله البكر" و" أبوكم يسرائيل" و" أنا الرب إلهكم شبتاي تسفي" وينقل لنا شلبي رسالة من رسائله يعبر فيها عن نفسه أنه ابن الله حيث جاء فيها:(من أول ابن لله سبتاي زيفي، المسيح، مخلص شعب إسرائيل، إلى جميع أبناء إسرائيل...السلام...... لما كان قد قدر لكم أن تكونوا جديرين برؤية اليوم العظيم وإنجاز وعد الله إلى أبنائه، فلا بد أن تغيروا أحزانكم فرحا وصومكم مرحا، لأنكم لن تبكوا بعد الآن، فاستمتعوا وغنوا واستبدلوا باليوم الذي كان من قبل يقضى في حزن وآلام، يوم عيد، لأني ظهرت...)[1]، ويبدو أن تعبيره عن نفسه بأنه ابن الله كان شائعا ومعروفا لدى الجميع، والشاهد على ذلك أنه عندما أحضر أمام السلطان محمد الرابع1693م، أمر بإطلاق النار عليه قائلا: إنه سيتحول إلى اليهودية إن استطاع" ابن الله" أن يمنع الرصاص من الانطلاق[2]،كما كان يطلق على نفسه بين أتباعه والمقربين منه لقب" ملك الملوك"[3] وبالتالي فهو يدعي الألوهية، وعلى الرغم من ظهور كذب هذا الرجل إلا أنه على حد تعبير جيمس هوزمر لم يحقق أي مدع بأنه المسيح المنتظر من النجاح ما حققه شبتاي تسفي[4].

ثم إن الحديث عن مجيء المسيح لا عن خلقه يدل على أنهم يتعاملون مع شخص موجود أو وجد قبل ذلك، وقد تقدم الحديث عن تلك الأسطورة التي جعلت القمر يتأخر عن المجيء بسبب إيقاظه كلا من إبراهيم وإسحاق ويعقوب للصلاة كلًّا على حدة، والذي منعه من إيقاظهم معاً هو الخوف من أنَّ صلاتهم معا قد تتسبب

قام بدور النبي الذي بعثه تسفي مبشرا به، وكانت نهاية أمره أن ألقت عليه السلطات العثمانية القبض، وخير ما بين الموت أو الإسلام، فاختار الإسلام وتعلم العربية والتركية ودرس القرآن الكريم، وسمي محمد أفندي، ويبدو أن إسلامه كان في الظاهر فقط تجنبا للقتل، سيما أنه متأثر بطائفة يهود المارانو الذين يقولون بضرورة أن يظهر المرء خلاف ما يبطن. انظر المسيري، موسوعة اليهود واليهودية، المجلد الخامس، ص(300 وما بعدها) ودائرة المعارف البريطانية على موقعها الالكتروني على الرابط التالي

http://www.britannica.com/EBchecked/topic/537449/Shabbetai-Tzevi

والمكتبة اليهودية الافتراضية:

http://www.jewishvirtuallibrary.org/jsource/biography/Zvi.html

[1] – شلبي، اليهودية، ص(215).

[2]– James Hosmer, The Jews In Ancient, Mediaeval and Modern Times,london, T.Fisher Unwin, 26 Paternoster Square, E. C. p218

[3] – المرجع السابق، p218

[4] – المرجع السابق، p216

في مجيء المسيح قبل وقته، وهذا ما لاحظه صاحب كتاب اليهود في زمن المسيح، حيث يقول إن اللفظ المستخدم عند الحديث عن المسيح هو" التوقع" وهذا اللفظ كما يقول يوحي بأنه موجود قبل ذلك[1]، وبالتالي فكل هذه الشواهد تؤكد على اعتقاد اليهود بأن مسيحهم المنتظر هو" ابن الله" وشخصيته ليست بشرية خالصة، وإنما تنطوي على جانب من الألوهية، إن لم تكن الألوهية كاملة قد حلت في ذلك المسيح المنتظر.

لكن على الرغم مما تقدم فثمة من يجعل هذه النظرة مقصورة على يهود الدونمة[2] دون غيرهم من طوائف اليهود، بل يذهب إلى حد التصريح:(يجمع الأحبار التلموديون أن شخصية هذا المسيح بشرية، وليس بينهم من يشير إلى طبيعة فوق بشرية له)[3]. قلت: ما كان ينبغي القطع بذلك، فثمة نصوص في التلمود تتحدث عن جانب إلهي في شخصية هذا المسيح، وهي مبثوثة في أكثر من موضع في التلمود، ومن ذلك على سبيل المثال أن هذا المسيح مخلوق قبل الدهور، فثمة أشياء سبعة خلقت قبل خلق العالم ومنها اسم المسيح المنتظر، حيث هو موجود قبل وجود الشمس[4]، وهذه النظرة تذكرنا بنظرة النصارى للمسيح ابن الله كما يزعمون. ومن ذلك اعتمادهم في القول بألوهية المسيح عليه السلام على ما نسبوه له في إنجيل يوحنا[الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ][5].

[1] – **Guignebert, The Jewish World in the Time of Jesus, p 141**

[2] – الدونمة: اسم لجماعة يهودية كانت تعيش في تركيا، دخلت في الإسلام ظاهريا؛ لأسباب سياسية، والاسم مأخوذ من اللغة التركية، ومن معانيه الردة، والعقيدة المزدوجة، بمعنى أنهم أصحاب عقيدتين، إحداهما ظاهرة، وهي الإسلام، وأخرى باطنة، وهي اليهودية. انظر أحمد النعيمي، يهود الدونمة، دراسات في الأصول والعقائد والمواقف، ط**1**، مؤسسة الرسالة، بيروت**1415**هـ– **1995**م، ص(**8**، **9**) والمسيري، موسوعة اليهود واليهودية(**5/ 305**).

[3] – بديع السيوفي، حول مسيح اليهود المنتظر، ط**1**، دار المعرفة، دمشق **1413**هـ– **1992**م، ص(**42**).

[4] – التلمود، سدر الأعياد، فصل الفصح **54**أ، ص(**172**) وسدر النساء، فصل النذور **39**ب، ص(**80**).

for it was taught: Seven things were created before the world, viz., The Torah, repentance, the Garden of Eden, Gehenna, the Throne of Glory, the Temple, and the name of the Messiah.

[5] – يو[**8**: **58**].

المطلب الرابع: عزير أو عِزرا [1]

عزير تسمية قرآنية لإحدى الشخصيات اليهودية التي لعبت دورا محوريا يوازي في نظر الكثيرين من اليهود ذلك الدور الذي قام به موسى عليه السلام، ويقابل هذه التسمية في النصوص اليهودية اسم" عِزرا"، وما يعنينا في هذا المقام أن القرآن الكريم قد نسب لليهود قولهم إن عزيرا ابن الله تعالى، وهذا ما دفع الكثيرين إلى إثارة الشبه حول القرآن الكريم، حيث إنهم يقولون إنه لم يوجد في نصوصهم، ولا في تاريخهم ذكر لأحد من اليهود تبنى هذا القول. ومثل هذه الشبهة هي ما يدفعنا للتعرف على هذه الشخصية، وبيان مكانتها عند اليهود من خلال نصوصهم، ثم التعرض لما نسبه القرآن الكريم إليهم، والرد على تلك الشبهة الزائفة التي يتشدق بها كل من اليهود والنصارى على حد سواء.

يعتبر عزير أو عِزرا من الشخصيات الكتابية التي تنسب إليها بعض أسفار الكتاب المقدس، ولا يوجد عند القوم تأريخ دقيق لحياته، ويمكن استقاء بعض المعلومات عن حياته من سفري عزرا ونحميا من أسفار العهد القديم، ويطلق عليه عزرا الكاتب وعزرا الكاهن، فهو الذي أعاد كتابة التوراة بعد أن فقدها اليهود نتيجة لما تعرضوا له، وهو الذي قام بتلاوتها بعد رجوعه من السبي وتفسيرها لليهود[2]، وهو الذي قام بتأسيس" الجمعية العظيمة " – حسب تعبير التلمود– والتي كانت مكونة من مائة وعشرين شخصا مهمتهم تدريس الدين والتقاليد اليهودية لليهود بعد عصر الأنبياء[3].

وعلى الرغم من ذلك كله إلا أن الرجل بكل ما يتعلق به يظل شخصية غامضة، لا يستطيع لا اليهود ولا النصارى إصدار حكم مؤكد في أي شأن من شؤونه، فإذا ما بدأنا مع الاسم فسنجد فيه اختلافا بل اختلافات كثيرة جدا، فأصل الاسم حسب ما يبدو من الترجمات المختلفة للكتاب المقدس ليس عزرا، وإنما هو إسدراس، أو

---

[1] – هذا هو اللفظ الصحيح حسب وجهة نظر اليهود والنصارى، وليس بفتح العين كما يعتقد الكثيرون، ومنهم بعض من ترجموا الكتاب المقدس إلى العربية. انظر مكرم مشرقي، جمان من فضة قاموس أعلام الكتاب المقدس، ط1، مكتبة الإخوة، مصر 2000م، ص(137) وانظر الاسم في الترجمة الإنجليزية للتلمود.

[2] – نخبة من الأساتذة، قاموس الكتاب المقدس، ص(621 وما بعدها)

[3] – التلمود، سدر الأعياد، فصل الفصح 50ب، ص(160).

إسدرام ومعناه الله سيساعد[1] بدليل أن بعض ترجمات الكتاب المقدس تذكر السفر الخاص به باسم إسدراس، بل تجعله مع السفر الذي يليه(سفر نحميا) سفرا واحدا، لنجد بعد ذلك في الأسفار الابوكريفية سفرين آخرين له وهما؛ إسدراس الثاني والثالث، فنرى في النسخ العبرية عزرا ونحميا، وفي السبعينية إسدراس الأول(عزرا ونحميا) وإسدراس الثاني، وإسدراس الثالث، وفي الفولجاتا إسدراس الأول، إسدراس الثاني(نحميا)، إسدراس الثالث وإسدراس الرابع، وفي النسخ الإنجليزية الحديثة عزرا، نحميا، إسدراس الأول وإسدراس الثاني[2].

أما دائرة المعارف اليهودية فنجدها تعتبر الاسم اختصارا لاسم عزارياهو أي الله يساعد[3]، أو هو عزارياه حسب ما جاء في قاموس أصل الكلمات، حيث الاسم مكون من قسمين عزار بمعني يساعد وياه الشكل القصير لاسم إلههم ياهو فيكون المعنى الله يساعد[4].

والاسم بهذه الصيغة قريب جدا من صيغة عزارئيل أو عزرائيل وهو مكون من قسمين عزار وايل[5] وهو الاسم الذي يطلقه اليهود على ملك الموت، وليس هذا مجرد تخمين بل له ما يؤيده، فجيروم صاحب نسخة الفولجاتا التي يؤمن بها الكاثوليك والأرثوذكس وفي تعليقه على سفر ملاخي يقول:(إن اليهود يعتقدون أن ملاخي

---

[1]– انظر ما كتبه روبرت كرافت في موقع جامعة بنسلفانيا على الرابط التالي:

http://www.sas.upenn.edu/religious_studies/rak/publics/judaism/Ezra.htm :

The Hebrew name "Ezra" (Esdras, Esdram; etymological meaning, "[God will] help")

[2] – انظر هذه الاختلافات على الرابط التالي **http://my.execpc.com/~stephwig/ezra.html** وانظر دائرة المعارف الكتابية مادة إسدراس(**1**/ **223**).

[3] – **www.jewishencyclopedia.com**

The name,probablyanabbreviationof"Azaryahu" (God helps) ...

وانظر نخبة من الأساتذة، قاموس الكتاب المقدس، ص(**621**).

[4] – انظر هذا القاموس على الرابط التالي: **www.etymonline.com**

ونص كلامه ما يلي:

Ezra, contraction of Azaryah(u), lit. "GOD has helped," from ezer "help" + Yah, a shortened form of Yahweh "God

[5] – **King James Bible Strong,s Hebrew Dictionary**

God has helped (**Azar'el from azar and el**)

هو اسم لعزرا، وأوريجانوس وأتباعه يرون أنه كان ملاكا، وذلك استنادا إلى اسمه)[1].

كما أن الأسفار الابوكريفية تقدم لنا اسما آخر يزيد من مساحة الخلاف، فنجد الفقرة الأولى من الإصحاح الثالث لسفر عزرا الابوكريفي(إسدراس الثاني) تذكره، وذلك الاسم هو شالتئيل:[**In thirtieth year after the destruction of our city, I Salathiel, who am also Ezra, was in Babylon**][2]، وهذا النص حسب نسخة الكتاب المقدس المشروحة الصادرة عن أكسفورد والمتضمنة للأسفار الأبوكريفية[3]، بينما نجد هذا الاسم يختفي من هذه الفقرة في الكثير من نسخ الكتاب المقدس، ومن ضمنها نسخة الملك جيمس، حيث يصبح النص على النحو التالي: [In the thirtieth year after the ruin of the city I was in Babylon][4]، فانظر كيف اختفى هذا الاسم من نسخة الملك جيمس؟ ليس هذا فحسب، بل إن العلاقة ما بين عزرا وشالتئيل لم توضح بشكل كاف، أو لم تشرح بشكل كاف، وذلك باعتراف النسخة الصادرة عن أكسفورد والمشار إليها سابقا، حيث جاء فيها ما نصه (**identification of salathiel with Ezra has never been adequately explained**)[5] وما ذلك إلا استمرار لمنهج التحريف والتلاعب بالنصوص عند أهل الكتاب كلما شعروا بمأزق سيسببه لهم نص من نصوصهم التي يدعون قداستها.

ومما تقدم نرى مدى الاختلاف بين أهل الكتاب حول اسم هذا الشخص، ويبدو لنا في الوقت نفسه أن معنى هذا الاسم كان في البداية الله يساعد ثم تحول بعد ذلك إلى المساعد، وفي هذا دلالة قوية على المبالغة في نظرة اليهود لهذا الرجل بل وتقديسهم له.

---

[1] – انظر الرابط التالي **http://www.ccel.org/ccel/schaff/npnf206.vii.iv.xii.html#vii.iv.xii-p32**

[2] – **2** إسدراس[**3: 1**].

[3] – **The New Oxford Annotated Bible with the Apocrypha, Augmented Third Edition, by Oxford univercity press 2007**

[4] – **2** إسدراس[**3: 1**].

[5] – **The New Oxford Annotated Bible with the Apocrypha, Augmented Third Edition p325**

وفي التلمود خلاف بين الأحبار حول الاسم الصحيح لهذه الشخصية، ومن ذلك أنهم يقولون إن ملاخي الذي هو مردخاي هو نفس عزرا، وملاخي هو الاسم الصحيح لعزرا[1].

أما بالنسبة للمهمة التي كان يقوم بها هذا الشخص فهو الكاتب الكاهن، حسب ما جاء في سفر عزرا القانوني[وَهذِهِ صُورَةُ الرِّسَالَةِ الَّتِي أَعْطَاهَا الْمَلِكُ أَرْتَحْشَسْتَا لِعَزْرَا الْكَاهِنِ الْكَاتِبِ، كَاتِبِ كَلاَمِ وَصَايَا الرَّبِّ وَفَرَائِضِهِ عَلَى إِسْرَائِيلَ][2]، وهو الرئيس حسب ما جاء في إسدراس الأول[3]، وهو الكاهن القارئ حسب ما جاء في إسدراس الأول[4]، وهو عزرا النبي حسب ما جاء في افتتاحية سفر إسدراس الثاني، والذي يعرف أيضا بعزرا الرابع(هذا هو الكتاب الثاني لإسدراس النبي)[5]، وهذا النبي قد رفع إلى السماء حيا حسب ما جاء في إسدراس الثاني[6]، ونجده في هذا مشابها لكل من إيليا[7] وأخنوخ[8] في العهد القديم، ولما يقوله النصارى من رفع مسيحهم إلى السماء بعد أن قام من قبره.

ويبدو أن عزرا كان يتمتع بسلطة مطلقة بين اليهود، ويحق لنا القول إن سلطته تفوق تلك السلطات الممنوحة لأي من البشر من اليهود، فمن المعروف أن السلطة الدينية في بني إسرائيل كانت للآويين، فهم المسؤولون عن ممارسة الشعائر وتطبيقها، ولكننا نجد عزرا يمارس سلطاته عليهم، فنجدُ في كثير من مواضع التلمود بعض الفقرات التي تشير إلى معاقبته لهم بأن حرمهم من ضريبة العشور التي كانت تقدم لهم من أموال اليهود،

---

[1] – التلمود، سدر الأعياد، فصل لفافة التوراة **15**ب، ص(**56**) ويعللون ذلك بكونه قريبا من الملك.

[2] – عز[**7**: **11**].

[3] – **1**إسدراس[**9**: **40**].

[4] – **1**إسدراس[**9**: **49**].

[5] – إسدراس الثاني[**1**: **1**]

[6] – **2**إسدراس[**8**: **19**].

[7] – إيليا اسم عبري معناه الهي يهوه والصيغة اليونانية لهذا الاسم هي الياس، وهو من أنبياء بني إسرائيل، وهو في كل من التراثين اليهودي والمسيحي يعتبر مجيئه مقدمة لمجيء المسيح المنتظر، وقصة رفعه حيا إلى السماء مذكورة في الملوك الثاني[**2**: **2**– **18**] وانظر نخبة من الأساتذة قاموس الكتاب المقدس، ص(**145**).

[8] – اسم عبري معناه مكرس أو محنك والاسم بالعربية حنوك، وهو ابن يارد وأبو متوشالح وهو السابع من آدم، وقد عاش ثلاثمائة وخمسا وستين سنة ثم أخذه الله، أي أنه رفعه حيا إلى السماء، وقد جاءت قصته في سفر التكوين[**5**: **18**– **24**] وثمة سفر من الأسفار الابوكريفية منسوب له، كما تنسب إليه أجزاء لا بأس بها من مخطوطات البحر الميت.

وذلك عقابا لهم على تأخرهم في العودة من بابل إلى فلسطين[1]. ومن ضمن هذه السلطة أنه أجبر اليهود مرة أخرى على طاعة أوامر المناسك والتقليد اليهودي بعد أن كانوا قد ابتعدوا عنها[2].

وكما أسلفت فإن هذه الشخصية على الرغم من غموضها تبقى شخصية محورية في التاريخ اليهودي، حتى إن المرء ليشعر في بعض الأحيان أن عزيرا في نظر اليهود كالمسيح في نظر النصارى، فتجد على سبيل المثال أحبار اليهود غالبا ما يؤرخون للحوادث في التلمود بحياة عزرا، وهذا شبيه تماما بما فعله النصارى بجعل ميلاد المسيح على ما يعتقدون مرجعا يؤرخون به.

ولا تتوقف مكانة عزرا عند هذا الحد بل نجده مساويا لموسى عليه السلام، وذلك بنص كلام أحبار اليهود فقد قالوا في تلمودهم: (لو لم يوجد موسى لكان عزرا مستحقا لاستلام التوراة)[3] وذلك لأوجه الشبه الكبيرة ما بين حياة الاثنين على ما يزعمون، فهم يشبهون رجوع عزير من بابل إلى فلسطين وكتابته للتوراة وقراءتها على اليهود بذهاب موسى لاستلام التوراة من الله تعالى.

وأخيرا لا بد من الإشارة إلى وجود أكثر من شخصية عرفت عبر التاريخ بهذا الاسم، وثمة تمييز في بعض المصادر النصرانية بين شخصيتين عرفتا بهذا الاسم، وهما عزرا النبي وعزرا الكاتب، أو عزرا الكاهن الأعلى وعزرا الكاهن الكاتب[4]، والقديس أبيفانوس يتحدث عن عزرا الكاتب، وعزرا شالتئيل، وكذلك ثمة وجودان لعزرا، فهو يظهر ثم يختفي لمائة عام، ثم يعاود الظهور، والغريب أن الفاصل الزمني بينهما يقدر بمائة سنة[5]، وهذه

---

[1] – انظر على سبيل المثال التلمود، سدر النساء، فصل الزواج والعقود **26**أ، ص(**97**). وكذلك التلمود، سدر المقدسات، فصل الدنيويات **131**ب، ص(**443**).

[2] – روبن فايرستون، ذرية إبراهيم، ص(**33**). وانظر سفر نحميا الأصحاحات **8**– **10**.

[3] – التلمود، سدر الأضرار، فصل سنهدرين، **21**ب، ص(**80**) وهذا نص كلامهم المترجم إلى الإنجليزية:

It has been taught: R. Jose said: Had Moses not preceded him, Ezra would have been worthy of receiving the Torah for Israel. Of Moses it is written, And Moses went up unto God, and of Ezra it is written, He, Ezra, went up from Babylon. As the going up of the former refers to the [receiving of the] Law, so does the going up of the latter. Concerning Moses, it is stated: And the Lord commanded me at that time to teach you statutes and judgments; and concerning Ezra, it is stated For Ezra had prepared his heart to expound the law of the Lord [his God] to do it and to teach Israel statutes and judgments

[4] – انظر ويكيبيديا الموسوعة الحرة النسخة الإنجليزية **http://en.wikipedia.org/wiki/Ezra**

[5] – انظر موقع حراس العقيدة **http://www.imanway1.com/horras/showthread.php?t=12301**

إشكالية يحاول علماء أهل الكتاب تفسيرها، والغريب أنهم لجأوا لتفسير هذا الغياب بالنوم، وهذه قضية سيكون لنا معها وقفة في الصفحات القادمة بإذنه تعالى.

إذا فهذه هي الشخصية التي نسب القرآن الكريم إلى اليهود قولهم بأنها ابن الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا، وذلك في سورة براءة في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[1]، وقد اتخذ بعض ضعاف العقول ما ذكره القرآن الكريم مستندا للطعن فيه حيث يقولون: إن الخطاب القرآني في هذا المقام يتضمن مجموعة من الأخطاء، وبالتالي فهم يحاولون الطعن في كونه وحيا من الله تعالى، وهذه الأخطاء التي يدعونها هي:

1. أن القرآن أخطأ في تسمية هذه الشخصية، فهو عزرا وليس عزيرا.
2. أن القرآن قد أخطأ عندما نسب هذا المعتقد إلى اليهود، مستندين في ذلك إلى أنه لم يعرف عبر التاريخ أحد من اليهود تبنى مثل هذا الاعتقاد، ولم يتطرق لا العهد القديم ولا الجديد كذلك لذلك أيضا.
3. أن هذه الدعوى تتناقض مع حقيقة الديانة اليهودية التي تقوم على التوحيد الخالص[2].

ولولا أني لا أحب طرح الشبهة وتأخير الرد عليها لأخرت الإجابة عن هذه الشبهة إلى فصل لاحق، أبحث فيه موقف الوحي من نسبة أهل الكتاب الأبناء إلى الله تعالى، ولكني أخشى إن أنا أخَّرتُ الحديث عن ذلك من قارئ يقرأ الشبهة، ثم يمنعه مانع من قراءة الرد عليها، لذلك آثرت أن يكون الرد مقترنا بالشبهة، فهو الأسلم في الدفاع عن الكتاب العزيز، على أنه ينبغي التنبيه إلى أن القرآن الكريم أعز وأرفع من أن تؤثر فيه مثل هذه الشبهات، ولكني أرد عليها من جانبين؛ أولهما:أن من واجبي وواجب جميع المسلمين الذود عن القرآن الكريم،

---

[1] – التوبة: 30.

[2] – الجاحظ، المختار في الرد على النصارى، ص(54).

وانظر موقع حراس العقيدة http://www.imanway1.com/horras/showthread.php?t=12301

وثانيهما: أن مثل هذه الشبهة قد تؤثر في ضعاف العقول أو ضعاف الإيمان، فلا بد من الرد عليها، ودفعها بالحجة الواضحة والدليل المقنع. أما بالنسبة لما يدعونه من خطأ القرآن في تسميته لهذا الشخص، فلا مرجع لهم ولا مستند فيه إطلاقا، حيث إنهم غير متفقين على اسم محدد له، كما سبق وبينت قبل قليل، فهو عزرا وهو إسدراس أو إسدرام وهو ملاخي أو مردخاي، وهو شالتئيل، إلى غير ذلك من الأسماء التي ظهرت، وقد تظهر في المستقبل، كما أن القرآن عندما نقل هذا الاسم نقله بصيغة تشبه صيغة التصغير، ويحتمل أنّ تصغيره جرى على لسان يهود المدينة تحببا فيه [1] وذلك كما هو معروف في أساليب اللغة العربية، وأي خطأ ذلك والأسماء قد تختلف ألفاظها إذا انتقلت من لغة إلى أخرى، وهذا ما نصت عليه باحثة يهودية، سيأتي الحديث عنها عند ذكر الدليل السابع حيث تقول:إن اسم عزرا قد ترجم بطرق مختلفة وأكثر هذه الترجمات(**Ezra**) من العبرية إلى الإنجليزية، وإسدراس من العبرية إلى اليونانية، وعزير من العبرية إلى العربية، وهذا هو نص كلامها في الموقع الرسمي الذي تدعو فيه لعبادة عزرائيل، الذي هو عزير نفسه، تقول:(**His name is translated differently. The most notable are: Ezra (Hebrew to English), Esdras (Hebrew to Greek), and Uzayr (Hebrew to Arabic)**)[2].

وأما أن القرآن قد أخطأ عندما نسب هذا المعتقد لليهود بحجة أن التاريخ لم يعرف أحدا من اليهود اعتقد مثل هذا الاعتقاد، وأن كلا من نصوص اليهود والنصارى لم تتعرض لأي فئة تبنت هذه العقيدة، فكلام مردود من أصله فأي تاريخ هذا الذي يعتمدون عليه، وهل أحاطوا بجميع ما كُتِب من أحداث التاريخ وما لم يكتب حتى يصدروا مثل هذا التعميم، ومنذ متى كان التاريخ يقدم للناس معلومات دقيقة؟ وعلماء التاريخ يشهدون أن أقصى ما يقدمه التاريخ هو مجرد احتمالات لا أكثر؟[3]، بل إن التاريخ يكاد أن يهدم كل ما يسلم به اليهود والنصارى، فموسى في نظر علماء تاريخهم مختلف فيه؛ أهو مصري أم من بني إسرائيل؟ أم أن هناك اثنين واحد من بني إسرائيل وآخر مصري؟ وعيسى عليه السلام كادت موجة النقد التاريخي للكتاب المقدس أن تنفي

---

[1] – انظر ابن عاشور التحرير والتنوير، (10/ 168).

[2] - انظر ذلك في موقع هذه الكاتبة(أغنية عزرائيل) على الرابط التالي:
http://www.songofazrael.org/azrael-chronicles/whoisazrael.html

[3] – عبد الرحمن بدوي، النقد التاريخي، ط4، وكالة المطبوعات، الكويت 1981، ص(153).

وجوده نفيا تاما، حتى رأينا علماءهم ينشغلون في الاستدلال على وجوده، ويسودون الصفحات الكثيرة لتحقيق هذا الغرض[1]، فأي تاريخ هذا الذي يتحدثون عنه. إذا فالتاريخ شاهد عليهم لا لهم، وسؤال آخر نسأله لهم: ألا تعتبر تلك الروايات في كتب المؤرخين المسلمين، وكتب السيرة النبوية والحديث النبوي الشريف، تلك الروايات التي أثبتت وجود من تبنى مثل هذا الاعتقاد من التاريخ؟ أم أنهم نصبوا أنفسهم حكاما على التاريخ فلا تاريخ إلا ما يكتبونه بأيديهم ويحقق مصالحهم.

هذا بالنسبة للتاريخ، أمَّا كتبهم المقدسة فإن عدم ذكرها لأحد اعتقد هذا المعتقد لا يصلح إطلاقا مستندا لنفي وجوده، فكتبهم هذه لا تكاد تتفق على شيء أبدا، فليس المرء بحاجة لكثير من العناء حتى يجدها يهدم بعضها بعضا، هذا عدا عن تناقضها مع حقائق العلم والتاريخ، فضلا عن اختلافهم حول هذه الكتب، وتغير معتقداتهم فيها، فما كان قانونيا بالأمس أصبح اليوم أبوكريفيا أو غير قانوني، وما هو قانوني عند بعضهم غير قانوني عند بعضهم الآخر، وأي كتب هذه ولا يوجد عندهم كتاب واحد على الرغم من كثرتها ثبتت نسبته إلى مؤلفه، وبناء عليه فلا تاريخهم ولا كتبهم تصلح مستندا يستندون عليه في نفي شيء أثبته القرآن الكريم.

وإذا ما انتقلنا إلى ادعائهم أن ما أثبته القرآن من نسبة اليهود الأبناء إلى الله تعالى يتناقض مع حقيقة الديانة اليهودية التي تقوم على التوحيد الخالص، فهذا هو التهافت بعينه، فأي توحيد هذا؟ وفي كتب اليهود ذكر لآلهة كثيرة عبدها اليهود عبر تاريخهم، وفي كتبهم من التجسيد وتشبيه الخالق بخلقه ما لا يوجد عند أكثر الديانات وثنية، وأكتفي في هذا المقام بما قاله إسرائيل شاحاك معلقا على ذلك التوحيد الذي يزعمه اليهود حيث قال:(وكما تبين أي قراءة متأنية للعهد القديم بسهولة فإن هذا الرأي اللاتاريخي خاطئ تماما، هناك في كثير من– إن لم نقل في كل أسفار العهد القديم– حضور وسلطة لأرباب آخرين معترف بهم صراحة، لكن يهوه أقوى الأرباب، غيور جدا من منافسيه، يحظر على شعبه عبادتهم، ولا يظهر إلا في نهاية التوراة فقط لدى بعض الأنبياء

---

[1] – انظر على سبيل المثال كيف يتساءل القس حنا الخضري قائلا: هل يمكننا أن نثبت من الناحية التاريخية وجود المسيح؟ ومتى ولد؟ ثم يحاول التهرب من هذا السؤال قائلا: إن إيمانهم– يعني النصارى– لا يتوقف على ما يقوله المؤرخون سلبا أوإيجابا. ثم يحاول بعد ذلك حشد الأدلة على وجود مسيحهم من مصادر شتى، ليتعرض بعد ذلك لموجة النقد التاريخي التي كادت أن تودي بكل مسلمات اليهود والنصارى. انظر الخضري حنا، تاريخ الفكر المسيحي(1/ 142 وما بعدها).

المتأخرين إنكار لوجود جميع الأرباب ما عدا يهوه)[1]. ويقول أيضا عن التصوف اليهودي:(إنه لا يمكن وصفه بالتوحيدية إلا إذا قبل الإنسان الهندوسية والديانة الإغريقية الرومانية المتأخرة وحتى ديانة مصر القديمة باعتبارها ديانات توحيدية)[2]، وكما سبق في هذا البحث فإن التوحيد شرف حاول اليهود وما زالوا يحاولون الانتساب إليه، ولكن أنى لهم ذلك وهم غارقون في الوثنية حتى شحوم آذانهم.

ما قدمته كان هدما لما يستند إليه أهل الكتاب في الطعن بما أثبته القرآن الكريم من قول اليهود إنَّ عزيراً ابن الله، ولننتقل الآن إلى حشد الأدلة التي تثبت ما أثبته القرآن الكريم وتهدم مزاعم أهل الكتاب، أبدأ بتلك الأدلة التي قدمها العلماء المسلمون في كتبهم، والتي تدور على أن هذا القول قال به بعض اليهود وسكت بقيتهم عنه، فقد جاء في تفسير الإمام الطبري عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[3]

أولا:– أن الذي قال عزير ابن الله كان رجلاً واحداً، وهو فنحاص[4]، وفنحاص هذا يذكره ابن هشام في سيرته، فهو الذي تطاول على الله تعالى بأن قال: ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء، وما هو عنا بغني..... أمام أبي بكر الصديق فما كان من الصديق رضي الله عنه إلا أن ضربه ضربا شديدا، فذهب شاكيا إلى الرسول ﷺ ، فعندما أخبره الصديق بالخبر جحد ذلك فنحاص، فأنزل الله تعالى:– ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ

---

[1] – شاحاك، إسرائيل، الديانة اليهودية وعلاقتها بغير اليهود، ص(**50**). كتاب التاريخ اليهودي. الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة، ص(**53**).

[2] – شاحاك، الديانة اليهودية، ص(**55**).

[3] – التوبة: **30**.

[4] – الطبري، جامع البيان(**14**/ **201**) وفنحاص يهودي من يهود المدينة.

ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٨١﴾[1] ردا على فنحاص وتصديقا لأبي بكر الصديق رضي الله عنه[2].

ثانيا:- أن الذي قال ذلك جماعة من اليهود، وهم سلام بن مشكم، نعمان بن أوفى، شأس بن قيس ومالك بن الصيف، حيث جاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا: كيف نتّبعك .... وأنت لا تزعم أنّ عزيرًا ابن الله؟[3]

أما كتاب الردود من المسلمين فإضافة لما سبق فقد ذهبوا إلى أن بعض فرق اليهود هم من قال بهذا القول، ولم يستنكر غيرهم من اليهود منهم ذلك، فابن حزم450هـ يقول:(إن الصدوقية من بين سائر اليهود هم من يقولون إن العزير هو ابن الله تعالى عن ذلك)[4]. وقد تابعه على ذلك ابن تيمية 728هـ في الجواب الصحيح[5]، ولابن تيمية رأي آخر يقول فيه:(وقالت اليهود عزير ابن الله أي جنس اليهود قال هذا ولم يقل هذا كل يهودي)[6]، ولا أعرف ما الذي قصده ابن تيمية في هذا الكلام، اللهم إلا أن يكون مقصوده إن هذا القول قد فشا وانتشر في اليهود على صعيد الجماعة لا على صعيد فردي، وفي رده على ابن النغريلة وأثناء حديثه عن كتابة عزرا للتوراة يقول ابن حزم: وهم مقرون بأن عزرا الذي كتبها لهم من حفظه بعد انقطاع أثرها إنما كان وراقا ولم يكن نبيا، إلا أن طائفة منهم قالت فيه إنه ابن الله، وقد بادت هذه الطائفة وانقطعت[7]. وينسب المقريزي هذا القول إلى يهود فلسطين دون غيرهم، ولكنَّه يقول: إن أكثر اليهود ينكرون ذلك عليهم[8].

---

[1] – آل عمران: 181.

[2] – عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1415هـ–1994م، (2/ 172).

[3] – الطبري، جامع البيان(14/ 202) وانظر الخبر في سيرة ابن هشام(2/ 182) وقد أضاف إليهم شخصا خامسا وهو محمود بن دحية. وكلهم من يهود المدينة.

[4] – ابن حزم، الفصل(1/ 117)

[5] – أحمد بن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق علي حسن ناصر وآخرون، ط1، دار العاصمة، الرياض 1414هـ(4/ 476).

[6] – المصدر السابق(3/ 111).

[7] – علي بن أحمد بن حزم، الرد على ابن النغريلة،ورسائل أخرى، تحقيق إحسان عباس، د. ط، دار المعرفة، القاهرة1380هـ–1960م، ص(77).

[8] – أحمد بن علي المقريزي، الخطط المقريزية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1418هـ– 1998م،(4/ 386)

ولكن مثل هذه الأقوال قد يعترض عليها أهل الكتاب بقولهم: كيف ينسب القرآن هذا المعتقد إلى اليهود جميعا مع أنه لم يقل به إلا أفراد من اليهود؟ وقد أجاب الإمام الرازي عن هذا الاعتراض بقوله:(فالقائلون بهذا المذهب بعض اليهود إلا أن الله نسب ذلك القول إلى اليهود بناء على عادة العرب في إيقاع اسم الجماعة على الواحد ، يقال فلان يركب الخيول ولعله لم يركب إلا واحداً منها ، وفلان يجالس السلاطين ولعله لا يجالس إلا واحدا)[1].

ولما كان حديث القرآن عن قول اليهود إن عزيرا ابن الله جاء مقترنا بحديثه عن قول النصارى إن المسيح ابن الله– تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا– وبالتالي فسيعترض علينا معترض بقوله: ما بالكم تجعلون ذلك خاصا في بعض اليهود، وعاما في النصارى مع أنه لا يوجد في الآية ما يشير إلى ذلك؟ لذلك كان لا بد لنا من تقديم الإجابة عن ذلك، كيف لا وقد أنعم الله علينا في هذه الأيام بالاطلاع على كثير من المصادر التي لم يتسن لعلمائنا السابقين الاطلاع عليها، ومن هنا أبدأ بتقديم بعض الأدلة التي تدفع ذلك الاعتراض، ومنها:

الدليل الأول: أن اليهود مجمعون على المكانة المميزة لهذا الرجل بينهم، فلقد جعلوه مساويا لموسى عليه السلام، وحيث إنه قد وجد من اليهود من قال إن الابن المبارك لله قد تجسد في موسى، فما المانع من أن يكون من مقامه في اليهود كمقام موسى ابنا لله تعالى؟

الدليل الثاني: تلك السلطة المطلقة لعزير بين اليهود، فهو الذي يجبرهم على الالتزام بالتوراة مرة أخرى، بل هو الذي يعاقب اللاويين الذي كانوا مسؤولين عن ممارسة الشعائر وإقامتها بين اليهود، فيحرمهم من تلك العشور التي كانت تقدم إليهم دون أن يعترض عليه معترض، كل ذلك يدل على أن عزيرا كان يتمتع بمقام يفوق مقام البشرية.

الدليل الثالث: أوجه الشبه بين عزرا عند اليهود والمسيح عند النصارى، فعزرا يرفع حيا إلى السماء، والمسيح يرفع بعد أن يقوم من قبره، على ما يدعيه النصارى، وعزير مرجع تؤرخ به الحوادث في التلمود، والمسيح كذلك عند النصارى.

---

[1] – الرازي، التفسير الكبير(16/ 30).

الدليل الرابع: تلك الأسفار الأبوكريفية المنسوبة إليه تتحدث عنه بصيغة أقرب إلى الألوهية منها إلى البشرية، فقد جاء التصريح في سفر إسدراس الثاني بأن عزيرا ابن الله، وذلك بعد أن بين الله لصاحب هذا السفر، أنه قد ظهر لموسى من قبل، وكلمه عندما كان اليهود في مصر، ثم أرسله ليقود اليهود ويخرج بهم من مصر، وكيف أن الله بعد ذلك أخبر موسى بأشياء عجيبة، وأراه أسرار الزمن، ثم أخبره أن يظهر شيئا من خفي شيء آخر،ثم يتوجه بالخطاب إلى عزرا قائلا إن تلك الأسرار والمشاهدات والتفسيرات التي انتزعت من الجميع يجب أن تبقى مع ابن الله الذي هو عزرا نفسه[1]. ولا يدفع هذا اعتراض بأن هذه الأسفار غير معترف بها، وأنها غير قانونية، فهذا أمر يتغير بين عصر وآخر، كما أنه لا زالت بعض طوائف أهل الكتاب تعتبرها أسفارا قانونية، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنه لا توجد معايير ثابتة تنطبق على تلك الأسفار التي يعتبرونها قانونية ولا تنطبق على هذه الأسفار، اللهم إلا قرارات من رجال الدين أصدروها خدمة لمصالحهم وتسلطا على رقاب العباد.

الدليل الخامس: تلك الإشكالية التي ظهرت حول ظهورين لعزرا يفصل بينهما فترة مائة عام، جعلت علماء أهل الكتاب يحاولون تفسير ذلك بأنه قضاها نائما، بينما لجأ بعضهم لما هو موجود في القرآن الكريم وكتب التفسير[2]، من أن الله أماته مائة عام ثم بعثه،ومجرد الحديث عن هذه الفترة دليل على صحة ما ذهب إليه المفسرون المسلمون، وبالتالي تكون الصورة الصحيحة كما يلي: يمر العزير على تلك القرية الخاوية فيتساءل متعجبا لا منكرا أو مستبعدا عن إمكانية إحياء هذه القرية بعد موتها، فيميته الله مائة عام، ثم يبعثه والأدلة على قدرة الله ماثلة بين يديه، وبعدها يتوجه إلى اليهود ليقرأ التوراة التي كان اليهود قد فقدوها كدلالة على أنه العزير، ويأبى اليهود إلا أن يغالوا فيه، فيقولوا إنه ابن الله.

الدليل السادس: أن هذا الأمر بدأ يجد قبولا حتى عند علماء اليهود أنفسهم، حيث أصبحوا يتلقون ما يقوله القرآن بشيء من القبول، فقد جاء في كتاب ذرية إبراهيم ما نصه: (إنه من المحتمل أن يكون هناك وجود لبعض المجموعات الهامشية التي تجاوزت حدود الإيمان المقبول مع شخصية مهمة مثل عزير، فلقد ربط كتابان

---

[1] – 2إسدراس[14: 1– 9]

[2] – انظر على سبيل المثال كيف يستشهد روبرت كرافت الأستاذ في جامعة بنسلفانيا بما ورد في القرآن الكريم ومؤلفات المفسرين المسلمين، فيما كتبه عن مادة عزرا في اليهودية والمسيحية. في الموقع الالكتروني لجامعة بنسلفانيا على الرابط التالي:
http://www.sas.upenn.edu/religious_studies/rak/publics/judaism/Ezra.htm

قديمان يهوديان في الأصل المركز الإلهي أو الملائكي بعزير وإينوخ من الشخصيات التناخية. هذا الكتابان هما: عزرا الرابع المعروف بإسدراس الثاني، وإينوخ[1].

الدليل السابع: تقدم الحديث عن التقارب في الاسم ما بين عزرا وعزرائيل، وأن ذلك ليس من قبيل التخمين، بل له ما يؤيده وذلك أن اليهود الذين كانوا في زمن جيروم[2] كانوا يقولون إن ملاخي هو اسم لعزرا، وأوريجانوس[3] وأتباعه يرون أنه كان ملاكا، وذلك استنادا إلى اسمه، ليس ذلك فحسب، وإنما من اليهود هذه الأيام من لا زال يحاول إثبات العلاقة ما بين عزرا وعزرائيل، بل ويدعو لعبادة عزرا أو عزرائيل، فالباحثة اليهودية شيلا إليزابيث، تقول إن عزرا وعزرائيل اسم لشخصية واحدة، ولكن الاسم عزرائيل لم يخرج إلى حيز الاستخدام إلا في القرن السابع الميلادي، ولم يسجل أحد من اليهود قبل هذا التاريخ اسم عزرائيل على أنه ملك الموت، وهي في موقعها هذا تدعو لعبادته[4].

وفي نهاية المطاف أقول إن هذه الأدلة ربما لا ترقى إلى مرتبة الدليل الملزم، ولكنَّها تبقى أقوى من تلك الأدلة التي يستند إليها من يحاولون إثارة الشبه حول القرآن الكريم، كما أنها وغيرها ما قدم وما سيقدم في قابل الأيام لا ترقى أبدا إلى مستوى القرآن الكريم، فهو الحق الذي ينطق بالحق، وكما يقول الإمام الرازي: ولا عبرة بإنكار اليهود ذلك ، فإن حكاية الله عنهم أصدق[5]

---

[1] – فايرستون، ذرية إبراهيم، ص(43).

[2] – جيروم: (347أو 348– 419 أو 420م) وهو القديس إيرونيموس الذي يُعد من أعظم آباء الغرب في تفسيره للكتاب وترجمته، من أشهر أعماله ترجمة الفولغاتا. بسترس، تاريخ الفكر المسيحي، ص(715).

[3] – أوريجانوس:(185– 254م) أحد آباء كنيسة الإسكندرية. القيصري، تاريخ الكنيسة، ص(286 وما بعدها).

[4] – انظر ذلك على الموقع الالكتروني لهذه الباحثة http://www.songofazrael.org/links/links-toc.html

[5] – الرازي، التفسير الكبير(16/ 30).

المطلب الخامس: الجذور الوثنية لعقيدة البنوة عند اليهود

حاول حاخامات اليهود إقناع الناس بأن دينهم دين توحيدي خالص، يحارب كل مظاهر الوثنية، ويحاول القضاء عليها، وفي التلمود جزء خاص بالعبادات الأجنبية أو عبدة الأوثان، يوضح نظرة اليهود الاستعلائية للغير، وحجتهم في ذلك أن غيرهم عبدة أوثان، وبالتالي فهم أنجاس، لا يجوز الاختلاط بهم، ويجب الانفصال عنهم ما أمكن إلى ذلك سبيلا، ولكن الناظر المتفحص لكتبهم يجدها تغص بالوثنية، ويجد أن اليهود غارقين في الوثنية حتى شحوم آذانهم، وما ذلك العداء الذي يزعمونه لعبدة الأوثان إلا حجة مقنعة اتبعها حاخاماتهم حتى يظل اليهود منعزلين عن غيرهم.

وقد أشرت سابقا إلى أن اليهود قد عبدوا عبر تاريخهم الطويل آلهة كثيرة من آلهة الأمم الوثنية، وقد كان ذلك تابعا لعلاقتهم بأبيهم يهوه، فقد كانوا في لحظات فتور العلاقة بينهم وبينه يتوجهون إلى آلهة أخرى لعبادتها، والتوراة مليئة بأسماء الكثير من تلك الآلهة التي عبدها اليهود، في الوقت الذي يدعي فيه اليهود التوحيد الخالص لأنفسهم.

وقد قص علينا القرآن الكريم قصة من قصص تأثر اليهود بما هو عند أهل الأديان الوثنية، يقول تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩﴾[1]، يقال إنهم قد مروا على قوم يعبدون أصناما على صور البقر[2]، ونتيجة لميلهم إلى كل ما هو مادي ومحسوس، ونتيجة إلى تأثرهم بما هو عند أهل الأوثان فقد بلغت بهم الجرأة على الله وأنبيائه أن طلبوا من نبي الله موسى عليه السلام أن يصنع لهم إلها كآلهة أولئك القوم، ولكن موسى عليه السلام وكعادة الأنبياء قام بتنبيههم إلى شناعة ذلك وفساده، ومبينا لهم في الوقت نفسه أن المعبود بحق هو الله تعالى، ولا شيء غيره، ويبدو أن ذلك المطلب لم يخرج من قلوب اليهود، فاستغل

---

[1] – الأعراف: ١٣٨ – ١٣٩.

2 – الطبري، جامع البيان(13/ 80) وابن كثير، تفسير القرآن العظيم(2/ 233)

السامري ذهاب موسى عليه السلام لميقات ربه، فجمع حليهم، وصنع لهم ذلك العجل؛ ليكون لهم إلها يعبدونه من دون الله تعالى[1].

وما زالت هذه الحادثة مثبتة في سفر الخروج من كتابهم المقدس، مع ممارسة عادتهم في التحريف، والإساءة إلى أنبياء الله تعالى، فنسبوا صناعة ذلك العجل إلى هارون عليه السلام [2]، وهذا أمر لا يستقيم بحال من الأحوال مع مقام النبوة، والتي يعتبر أسمى مقاصدها على الإطلاق عبادة الله وحده لا شريك له، ولكن اليهود قوم فاسدون، ولا يطيب لهم رؤية الصلاح أبدا فتجدهم يحاولون إلصاق الفساد بأطهر خلق الله تعالى.

وإذا كان هذا هو حال اليهود مع الوثنية، فلا بد أن تكون نسبة الأبناء إلى الله تعالى، والتي يعتقد بها اليهود، شأنها شأن ذلك العجل الذي اتخذوه إلها من دون الله، أي أن تلك العقيدة قد تسربت إليهم من الديانات الوثنية، فاليهود قد عاشوا في كل من مصر وبلاد الشام، وفي كلتا المنطقتين كان ينظر للملك على أنه ابن الله تعالى، ولما كان اليهود ينظرون إلى أنفسهم كشعب أنهم ملوك الأرض وأسيادها، فقد تصوروا أنفسهم أبناء لله تعالى. وأما مسيحهم المنتظر[3] والذي يوصف هو أيضا بأنه ابن الله، والذي كان ينظر إليه على أنه إنسان إلهي، فلا بد أن يكونوا قد تأثروا بتصورهم له بتلك التصورات التي كانت سائدة عند كل من الكنعانيين والمصريين الذين كانوا ينظرون لملوكهم على أنهم أبناء الآلهة، سيما أن المسيح المنتظر عند اليهود يعتبر ملكا في نظرهم، ولا بد كذلك من أن يكونوا في الكثير من جوانب تصورهم له قد تأثروا بما هو موجود عند الفرس من عبادة ميثرا ذلك الإله الذي قد جمع ما بين البشرية والإلهية في آن معا، وهو الذي يقوم بوظيفة المخلص للجنس البشري، بل يذهب الكثير من الباحثين إلى أن فكرة المخلص عند اليهود من أساسها تعتبر تأثرا بما هو موجود عند الفرس، وقد انتقلت إليهم تلك العقيدة في فترة السبي البابلي[4].

ولا يفوتنا في هذا المقام التذكير بصورة الابن المبارك لله تعالى الذي يعتقد متصوفة اليهود حلوله في

---

1 – انظر سورة طه: 87– 97

2 – خر[32]

3 – ما يقال عن المسيح المنتظر عند اليهود يمكن أن ينطبق على العزير نفسه، حيث كان ينظر إليه على أنه المسيح المنتظر، فهو الذي خلص اليهود من سبيهم، وأعاد جمعهم في فلسطين حسب ما يدعون.

4 – شلبي، اليهودية، ص(211).

موسى عليه السلام، وهي صورة كبيرة الشبه بأبناء الآلهة في الديانات الوثنية المختلفة، وقريب من ذلك الشخيناه" بنت الله"– حسب التصور اليهودي– و التي ذكرنا سابقا أنها مستمدة إما من الديانة الكنعانية حسب ما يراه صاحب موسوعة اليهود و اليهودية، أو من اليونانية حسب ما يراه إسرائيل شاحاك[1].

ومما يذكر بتأثر اليهودية بالوثنية قضية النطق بالاسم الإلهي، حيث هذا الاسم له من القداسة ما يجعل النطق به أمرا من أكبر الكبائر، ولا يجوز النطق به إلا في أوقات محددة[2]، وهي قضية يبدو أنها مستمدة من الديانة الهندية، حيث يرمز للروح الأعظم الذي تجتمع فيه الأقانيم الثلاثة بالألف والواو والميم، ولا ينطق به إلا في الصلاة، ويتمتع بقداسة مطلقة في معابدهم.

---

1 – انظر سابقا، ص(193).

2 – انظر لاحقا مبحث آثار عقيدة البنوة عند اليهود، ص( ).

المبحث الثاني: آثار هذه العقيدة

المطلب الأول: آثار عقيدة البنوة على تصور اليهود للذات الإلهية

المطلب الثاني: آثار عقيدة البنوة على اليهود وعلى الديانة اليهودية

المطلب الثالث: آثار عقيدة البنوة على تعامل اليهود مع غير اليهود

المطلب الأول: آثار عقيدة البنوة على تصور اليهود للذات الإلهية

لما كان اليهود يرون أنفسهم أبناء الله تعالى، وكانت العلاقة التي تربطهم به هي علاقة الأبوة والبنوة حسب ما يرون، وحيث إن الابن سر أبيه، فقد تصور اليهود الذات الإلهية بتصورات استمدوها من أنفسهم، ومن واقع حياتهم، حتى إن المرء عندما يرى تلك التصورات التي يقدمها اليهود للذات الإلهية يدرك أن هذه الذات وبهذه الصورة، وتلك الصفات الموصوفة بها من صنع اليهود، وهذا ما دفع صاحب كتاب" التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير" إلى القول:(ليس الله هو من صنع الإنسان على صورته ومثاله، بل الإنسان هو الذي تخيل الآلهة على صورته ومثاله. بيد أننا لن نلح على هذا القرار، لأنه إذا سرت إلينا عدوى مثل هذه الرؤية، نكون قد حجزنا لأنفسنا مكانا في سعير جهنم "[1]. أقول: إن تلك التصورات اليهودية المشوهة للذات الإلهية هي التي فتحت المجال أمام هذا الباحث وغيره ليقول مثل هذا الكلام، بل والتمادي في إنكار الكثير من الحقائق الدينية، كعرض المخلوقات لآدم عليه السلام وتسميتها بتلك الأسماء التي علمه إياها رب العالمين، وإنكاره كذلك للعمر الطويل الذي عاشه نوح عليه السلام، واعتباره من باب الأساطير التي لا يقبلها العقل.

ونعود إلى موضوعنا لنقول: لقد أسقط اليهود جميع صفاتهم على الذات الإلهية، وذلك أنهم أبناء لها، وقد رأينا كيف أن هذه البنوة تعدت حدود البنوة المعنوية إلى بنوة مادية، حتى غدا أكثر اليهود يتصورون أنفسهم مخلوقين من نفس الجوهر الإلهي- حسب تصورهم- وبناء على ذلك فمن أراد أن يتعرف إلى اله اليهود فلينظر إلى اليهود أنفسهم، فإنهم يمثلون الصورة الصادقة لذلك الإله الذي ابتدعوه من عند أنفسهم. فهو أبوهم الحريص على مصالحهم دون سواهم، ليس ذلك فحسب بل هو متصف بصفاتهم متخلق بأخلاقهم، كيف لا وهو يعيش في وسطهم، يسكن إذا سكنوا، ويرتحل إذا ارتحلوا.

أولا: وصف الذات الإلهية بالصفات البشرية

تعددت الصفات البشرية التي وصف بها اليهود الذات الإلهية، ولم يتوقفوا في ذلك عند الصفات الايجابية، بل تعدوها في أكثر الأحيان إلى تلك الصفات التي لا يتمارى اثنان في أنها من صفات النقص، إن لم تكن

[1] – ليو تاكسل، التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ترجمة حسان ميخائيل، ط4، د. ن، بيروت 2005م، ص(32)

من النقائص، فهو إله متجسد، يتعب ويرتاح، يفرح ويحزن، وربما وصل حزنه إلى البكاء، يندم، يمارس أفعالا يومية كتلك التي يمارسها سائر اليهود في حياتهم.

أ- الإله المتجسد

ليس من العسير على المرء تتبع هذا الأمر في كتب اليهود وتفسيراتهم وأقوالهم، فالشواهد على ذلك كثيرة، وقد كتب فيها الكثيرون ما يغنينا عن الإطالة في هذا المقام، لذلك فسأكتفي ببعض الشواهد التي تخدمنا في مبحثنا هذا، فها هو ذا إله اليهود يتجسد في عمود دخان نهارا، وعمود نار ليلا [وَكَانَ الرَّبُّ يَسِيرُ أَمَامَهُمْ نَهَارًا فِي عَمُودِ سَحَابٍ لِيَهْدِيَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَلَيْلاً فِي عَمُودِ نَارٍ لِيُضِيءَ لَهُمْ. لِكَيْ يَمْشُوا نَهَارًا وَلَيْلاً. لَمْ يَبْرَحْ عَمُودُ السَّحَابِ نَهَارًا وَعَمُودُ النَّارِ لَيْلاً مِنْ أَمَامِ الشَّعْبِ][1] وبالتالي فهو معهم لا يفارقهم أبدا، وليست هذه المعية مما يمكن تأويله، وإنما هي معية بالمعنى الحرفي للكلمة.

ومن هذه الشواهد ما جاء مبثوثا في أسفار كل من التوراة والتلمود من أن الله تعالى يسكن وسط اليهود، حيث يطلب منهم أن يبنوا له مكانا في وسطهم ليسكن فيه[فَيَصْنَعُونَ لِي مَقْدِسًا لأَسْكُنَ فِي وَسَطِهِمْ][2] هذا في التوراة، وأما في التلمود فإن تواجد الإله بينهم يتم من خلال الشخيناه، وقد مر معنا كيف كان يعقوب عليه السلام– حسب ما يدعيه اليهود– يعد المترل للحضرة الإلهية في كل بيت من بيوت زوجاته، والبيت الذي تبيت فيه الشخيناه كان يبيت فيه.

وأما في التصوف اليهودي فالأمر أبشع من ذلك بكثير، فيهوه ذو أبعاد يمكن قياسها، ولهم في ذلك طريقة يتبعونها، فهم يستندون إلى ما جاء في المزمور السابع والأربعين بعد المائة[عَظِيمٌ هُوَ رَبُّنَا، وَعَظِيمُ الْقُوَّةِ. لِفَهْمِهِ لاَ إِحْصَاءَ][3] فيستخدمون القيمة العددية لهذه الأحرف ومجموعها(236) ويضربون هذه القيمة بعشرة آلاف فرسخ سماوي، وبذلك يصلون إلى مقاسات رأس هذا الإله وأطرافه، ثم توصلوا إلى معرفة

---

1 – خر[13: 21– 22].

2 – خر[25: 8].

3 – مز[147: 5].

أسماء الرأس والأطراف ومنها: أدبريرون، زافورئيل، اخترئيل، تازاس وزهارئيل، وهي أسماء بالغة الأهمية بوصفها كلمات السر التي إذا نطقها الإنسان بشكل صحيح جعلت حراس البوابات السماوية يفتحونها فيدخل منها ذلك الشخص فيطلع على الغيب[1]. وقد أشار الإمام ابن حزم في رده على ابن النغريلة إلى قريب من هذا فقال:(إنهم يقولون إن تكسير ما بين جبهة خالقهم إلى أنفه كذا وكذا ذراعا، وإن في رأس خالقهم تاجا من كذا وكذا قنطارا من الذهب، وأن صديقون الملك هو الذي يجلس التاج على رأس هذا الخالق، كما أن في إصبع هذا الخالق خاتما تضيء من فصه الشمس والكواكب)[2].

قلت والذي يعنيه ابن حزم بصديقون هو ذلك الملاك صندلفون، وهو المسؤول عن وضع التاج على رأس خالقهم، وطريقة وضع ذلك التاج أن هذا الملك يقوم بنطق الاسم الإلهي على التاج فيستقر على رأس ذلك الخالق، ومن مقاسات ذلك الملك يمكن الحكم على مقاسات الخالق نفسه، فهذا الملك أطول من رفقائه بمسيرة خمسمائة سنة[3]. وكأني بالقوم يتصورون الكمال لا يكون إلا بالضخامة، وبالتالي فكل ما يميز خالقهم عنهم هو سعة مساحته، وكبر حجمه، وضخامة أعضائه.

وبالمجمل فإن الإله الذي تقدمه التوراة كائن جسدي تماما، يتنزه وقت البرد، يتحدث كأي إنسان، إلى غير ذلك من الصفات التي تجعل إله اليهود جسدا لا يختلف عن أجساد الناس إلا بضخامة حجمه.

وقبل أن ننتقل من هذا الموضوع إلى غيره أحببت أن أقف عند موضع من تلك المواضع التي يجسد فيها اليهود إلههم، وهذا الموضع ذكره القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟

---

[1] – عبد المجيد همو، مفاهيم تلمودية، ص(167).

[2] – ابن حزم، الرد على ابن النغريلة، ص(74). ولكن ابن حزم قد أرجع هذا النص إلى فصل الحيض من سدر النساء، ولكـــن في نسخ التلمود الحالية فهو موجود في سدر الأعياد، فصل تقدمة الأعياد.

[3] – انظر التلمود، سدر الأعياد، فصل تقدمات الأعياد 13ب، ص(51) وهذا هو نص التلمود:

His name is Sandalfon; he is higher than his fellows by a distance of five hundred years' journey, and he stands behind the Chariot and wreathes crowns for his Maker. But is it so? Behold it is written: Blessed be the glory of the Lord from His place, accordingly, no one knows His place! He pronounces the [Divine] Name over the crown, and it goes and rests on His head.

وثمة قصيدة في كتاب اليهود في العصور القديمة والوسطى والحديثة حول هذا الملاك ووظائفه في نظر اليهود. انظر

Hosmer, James .The Jews P146- 147.

بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1]، والذي دفعني إلى هذه الوقفة سببان؛ أولهما: أن هذا الكلام شاهد على تجسيد اليهود لإلههم، وثانيهما: أنه ربما يظهر من اليهود أو غيرهم من يقول: إن أحدا من اليهود لم يقل هذا الكلام[2].

وعلى الرغم من أن المفسرين المسلمين ينسبون هذا الكلام إلى فنحاص، ذلك الذي مر خبره معنا عند الحديث عن قول اليهود إن عزيرا ابن الله تعالى، ومع أن هذا الكلام قد يكون من المحتمل أن اليهود قد قالوه كناية عن عدم تدخل الله عند تدمير الهيكل على ما يزعمون، وذلك تفسيرا لما جاء في مراثي إرميا[عَضَبَ بِحُمُو غَضَبِهِ كُلَّ قَرْنٍ لإِسْرَائِيلَ. رَدَّ إِلَى الْوَرَاءِ يَمِينَهُ أَمَامَ الْعَدُوِّ، وَاشْتَعَلَ فِي يَعْقُوبَ مِثْلَ نَارٍ مُلْتَهِبَةٍ تَأْكُلُ مَا حَوَالَيْهَا] حيث جاء في أحد التفاسير لهذا النص ما نصه" غلت يمين الله" وحاول اليهود تأويل هذا النص بعدم تدخل الله لحماية الهيكل، أو أن إرادة الله هي التي أمرت بتدمير القدس على يد البابليين، ومع أن هذه العبارة لا تليق بالذات الإلهية إطلاقا، إلا أن عند القوم ما هو أشنع منها بكثير، فهذا الكلام ينسب في أحد الكتب الأبوكريفية إلى احد أحبارهم، حيث يقول: إن ميتاترون[3] قال له: تعال معي وسأريك يمنى الموجود المطلق، التي غلت وراءه وذلك بسبب تدمير الهيكل[4]. ومهما حاول اليهود تلطيف مثل هذه

---

[1] – المائدة: 64.

2 – انظر: عمرو بن بحر الجاحظ، المختار في الرد على النصارى، تحقيق محمد الشرقاوي، ط1، دار الجيل، بيروت1411هـ–1991م، ص(54).

[3] – ميتاترون: هو رئيس الملائكة حسب المنظومة التلمودية، وكثيرا ما يتم الحديث عنه وعن صندلفون على أنهما توأم. انظر التلمود، سدر الأعياد، فصل تقدمة الأعياد 13ب، هامش رقم(10)، ص(53) ومن مهام هذا الملاك أنه حامل الاسم الرباعي(يهوه) وهو الذي يسجل حسنات الناس وسيئاتهم. انظر المسيري، موسوعة اليهود واليهودية(5/ 293).

[4] – فايرستون، ذرية إبراهيم، ص(45، 46). وقد جاء هذا الكلام في سفر إينوخ الثالث، أو ما يعرف بإينوخ العبري، الإصحاح [48: 1، 2]

العبارات فإنهم لن يستطيعوا إخفاء ما تنم عنه من التجسيد والإساءة إلى الذات الإلهية، فذاك طبع لا يخفيه التطبع.

ب- إله اليهود يمارس نشاطات يومية كأنه واحد من البشر

تقدم العقيدة اليهودية في نصوصها المقدسة الإله يمارس نشاطات مختلفة، وهذه النشاطات قد لا يمارسها من البشر إلا من كان يشعر بالضجر من شدة الفراغ، فهو يتمشى في الجنة عند هبوب الريح[1] ، وهو يعلق التمائم، يلف جسده بوشاح للصلاة، يوجه الصلاة لنفسه[2]، إلى غير ذلك من الأنشطة التي لا يمكن وصفها إلا بالسخافة.

وثمة برنامج يومي ثابت لوظائف الإله لا يتغير، وهذا البرنامج قد وضعه الأحبار لإلههم، وكأني به قد شاخ وأصابه الملل، فقام أبناؤه بوضع خطة ليشغل بها نفسه، وتتمثل هذه الخطة بتقسيم النهار إلى اثنتي عشرة ساعة، خصصت الساعات الثلاثة الأولى منها ليدرس ذلك الإله خلالها التوراة، وفي الثانية يقضي في هذا العالم، فإذا ما شعر بأن العالم أصبح مذنبا يستحق الهلاك انتقل من مقعد العدل إلى مقعد الرحمة، وفي الثالثة يقوم هذا الإله بإطعام العالم كله من الجاموس ذي القرون إلى أصغر الآفات، ونتيجة لهذا البرنامج الممل فقد جعلت الساعات الثلاثة الأخيرة تسلية وترفيها لذلك الإله، وبالتالي فهي مخصصة للعب مع لوياثان[3]، ويبدو أن هذا الإله وعلى

---

1 – تك[3: 8].

2 – كوهين، التلمود، ص(55).

3 – وحش بحري كبير جدا، يلعب معه إله اليهود كما يلعب الناس مع حيواناتهم الأليفة، ويحاول البعض ومن خلال قدرة هذا الإله على هذا الوحش تفسيره بأعداء اليهود، ولكن الوصف الذي قدمه سفر أيوب في الأصحاح[41] يدل على أنـــه وحـــش حقيقي، ويستند اليهود إلى الحجم الهائل لهذا الوحش للاستدلال على القدرة الفائقة جدا لإلههم الذي استطاع التغلب علـــى هذا الوحش وترويضه، بل إن سخافة القوم قد وصلت إلى تشبيه هذا الإله بزير النساء الذي يفعل الأعاجيـــب لـــتفتن بـــه العذارى[أَتَلْعَبُ مَعَهُ كَالْعُصْفُورِ، أَو تَرْبِطُهُ لأَجْلِ فَتَيَاتِكَ] أي[41: 5]. ويبدو في ترجمة فاندايك شيء من التلطيف عندما تم التعبير عن العذارى بالفتيات، ولكن نص نسخة الملك جيمس الإنجليزي جاء التعبير فيه بكلمة(**maidens**) والتي تتـــرجم بالعذارى. وهذا الوحش الضخم قد خلق إله اليهود في البداية منه ذكرا وأنثى، ولكن الكارثة كانت ستحل باجتماع هـــذين الوحشين، فأبقى هذا الإله على حياة الذكر، وقتل الأنثى، ويبدو أنه كان خبيرا في شؤون التغذية فقام بتمليح لحمها لحفظـــه غذاء للأخيار في الآخرة، وثمة قصة مماثلة لوحش آخر وهو بهيموث، الذي ورد ذكره كذلك في ســـفر أيـــوب[40: 15] والذي يقوم هذا الإله بتسمينه ليجعل منه وليمة للمؤمنين به في العالم القادم. انظر قصة هذين الوحشين في:

Barclay, Hebrew Literature, p20.

وانظر كذلك كلا من قاموس الكتاب المقدس، ودائرة المعارف الكتابية، مادتي: لوياثان، وبهيموث(2/ 227)..

الرغم من قيامه بهذه التسلية لم يعد يعرف الضحك منذ أن تم تدمير الهيكل حسب ما يدعيه اليهود[1]. وللمرء أن يقول في هذا المقام متسائلا: هذه ساعات النهار! فما بال هذا الإله في ساعات الليل؟ كيف يقضيها؟ أم أن أحبار اليهود نسوا أن يحددوا وظائفه الليلية؟ ولعل الجواب: أنه يكون نائما في أحد بيوت اليهود، حسب ما مر معنا عند الحديث عن الشخيناه. أو لعله يمارس بعض الأنشطة الأخرى، والتي لا يستطيع ممارستها في النهار لانشغاله بالأمور الأربعة السابقة، ومن هذه الأنشطة تمشيطه لشعر حواء، وتجديله لضفائرها، ليقدمها شخصيا إلى عريسها آدم[2]، ثم للمرء أن يتساءل: هل يوجد أشد من هذه الوثنية على وجه الأرض؟ والغريب أن القوم قد أوردوا هذه الخرافة في فصل عبدة الأوثان من فصول التلمود، وهو فصل يؤسس للعداوة والحقد على غير اليهود بحجة أنهم عبدة أوثان، لا أكثر. ولكن الحقيقة أن ما يتعلل به اليهود ليس أكثر من قناع مزيف، يحافظ من خلاله اليهود على انعزاليتهم عن غيرهم من الأمم.

ج- إله اليهود يتصف بصفات يأنف منها عامة الناس فضلا عن أفاضلهم

ينظر اليهود لأنفسهم على أنهم أبناء الله تعالى، ويبدو أن القوم كانوا وما زالوا شديدي الميل للتعرف على ذلك الأب بكل تفاصيله، وكأني بهم لم يجدوا طريقة أفضل من النظر إلى أنفسهم، وقياس ذلك الإله عليها، فوصفوه بصفات يأنف منها عامة الناس، فضلا عن أصحاب المروءة منهم، ويكفينا للدلالة على ذلك تلك العبارة التي تكررت ست مرات في مطلع سفر التكوين، وهي" ورأى الله ذلك أنه حسن" فهذه العبارة توحي بأن ذلك الإله كان يستحسن في دهشة ما صنعت يداه، وأن ذلك الاستحسان كان بمثابة الدافع الذي جعله يستمر في عملية الخلق، مما يوحي بأن عملية الخلق لم تكن تصورا مثاليا كاملا في ذهن ذلك الإله، وإنما كانت عملية عشوائية

---

[1] – التلمود، سدر الأضرار، فصل عبدة الأوثان 3ب، ص(6). وهذا هو نص كلام اليهود:

‘The day consists of twelve hours; during the first three hours the Holy One, blessed be He, is occupying Himself with the Torah, during the second three He sits in judgment on the whole world, and when He sees that the world is so guilty as to deserve destruction, He transfers Himself from the seat of Justice to the seat of Mercy; during the third quarter, He is feeding the whole world, from the horned buffalo to the brood of vermin; during the fourth quarter He is sporting with the leviathan, as it is said, There is leviathan, whom Thou hast formed to sport therewith’? Said R. Nahman b. Isaac: Yes, He sports with His creatures, but does not laugh at His creatures except on that day..

[2] – انظر سابقا التمهيد المعنون باليهودية بين الوثنية والتوحيد. ص(176)

تجريبية تتم دون تخطيط مسبق[1]. وهذا بكل بساطة يعني أن تلك العمليات المتتابعة من الخلق كان يمكن أن يتوقف الإله عنها، لو لم يستحسن ذلك، حيث إن هذا الاستحسان لم يحصل إلا بعد أن يكون ذلك الإله قد أتم كل عملية من عمليات الخلق، وقد كفانا صاحب كتاب" الله أم يهوه" تتبع تلك الصفات في توراتهم[2].

وربما يكون اليهود قد أحسوا بفظاعة ما يعتقدونه، وما هو مبثوث في كتبهم، فحاول بعضهم الخروج من ذلك بتأويلات يمجها العقل السليم، ذهب إليها القوم تحت ضغط الانتماء إلى التوحيد المطلق، ولكن مثل هذه التأويلات لا تسعفهم أبدا، ومن ذلك قولهم: (إن الأمر يتعلق بتجسيد الألوهية، وذلك بإعطائها مزايا بكل رموزها كي يفهمها الناس عامة، أكثر الاحتمالات أن عقيدة التقليد أوحت هذا التشابه والتماثل، تقليد الله هو مبدأ رئيسي للسلوك البشري في الآداب الحاخامية، تنظم الحياة كلها بقوانين دينية مثلما النظام الأخلاقي، في النتيجة يمثل الله مطيعا لنفسه للمبادئ التي يريد رؤية الالتزام بها في إسرائيل. وهذه النظرية تجد صيغة واضحة في التلمود، فالصفات المنسوبة للقدوس الواحد الممجد تختلف عن تلك الممنوحة للكائن البشري، فالكائن البشري يعلم الآخرين ما عليهم فعله، غير أنه لا يمارس ذلك، الأمر مختلف بالنسبة للقدوس الواحد الممجد، مهما فعل فإنه يأمر إسرائيل بالتنفيذ) [3]. فانظر إليهم حتى في تأويلاتهم لا يستطيعون التخلص من مفاهيم تجسيد الإله، وتشبيهه بمخلوقاته.

د– إساءة اليهود لإلههم بعبادة آلهة غيره

إن الناظر في تاريخ اليهود الطويل وأسفارهم وكتبهم المقدسة ليجد أسماء آلهة كثيرة عبدها اليهود، وكأن تلك العلاقة المتمثلة ببنوتهم لله تعالى حسب تصورهم كان يصيبها نوع من الفتور أو الجفوة ما بين فترة وأخرى، فنجدهم ينفصلون عن ذلك الأب، وينضوون تحت آلهة أخرى، وينتسبون لها، وقد عبر عبد المجيد همو عن هذه العلاقة بقوله:(طالما كان شعب بني إسرائيل مزدهرا وظافرا في الحروب فإن يهوه كان دائما معترفا به ومعبودا، ولكن في أوقات البأساء كانوا يتخلون عنه، ويعبدون اله أمة أخرى أو أكثر ازدهارا، ويعبدون الصنم الذي يمثل

---

[1] – كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم، ط1، مكتبة النافذة، القاهرة 2006م، ص(88).

[2] – عبد المجيد همو، الله أم يهوه؟ أيهما إله اليهود؟ مراجعة إسماعيل الكردي، ط1، دار الأوائل، دمشق 2003م، ص(82 وما بعدها)

[3] – كوهين، التلمود، ص(55).

ذلك الإله ويرمز إليه)[1]. وأرى أن الذي كان يدفعهم إلى ذلك معرفتهم الأكيدة أن ذلك الإله لا يستطيع التخلي عنهم، مثلما لا يستطيع الأب التخلي عن بنيه، وقد صوروا ذلك بصورة بشعة جدا يأنف المرء من ذكرها.

وتعدد الآلهة عند اليهود شيء ملاحظ في أسفارهم، وباعتراف علمائهم قبل غيرهم، يقول إسرائيل شاحاك:(هناك في كثير إن لم نقل في كل أسفار العهد القديم حضور وسلطة لأرباب آخرين معترف بهم صراحة، لكن يهوه أقوى الأرباب .... ولا يظهر إلا في نهاية التوراة فقط لدى بعض الأنبياء المتأخرين إنكار لوجود جميع الأرباب ما عدا يهوه)[2].

وثمة من يعلل ذلك بأن اليهود يعود أصلهم إلى الحابيرو، وهم صنف من الناس يعادل الغجر في زماننا هذا، وهذا الصنف كان مكونا من عشائر ليس لها على الصعيد العملي شيء مشترك، وبالتالي كانوا يعبدون إله المنطقة التي يحلون فيها، وبقي الأمر على ذلك الحال حتى اهتدوا جميعا إلى عبادة ذلك الإله الغيور لاحقا[3].

وقد نتج عن عقيدة البنوة، تصور خاطئ للذات الإلهية أدى فيما بعد إلى الخلط بين مقام الألوهية، ومقام الملائكة، ومقام الشياطين، ومن هنا ظهر عبر التاريخ اليهودي صور لعبادة الملائكة والشياطين،كما هو الحال في تلك الصلوات والأعمال المخصصة لتضليل الملائكة، أو لاستعطاف الشيطان، فثمة أوقات تنطق فيها بعض الآيات باللغة الآرامية وليس بالعبرية المألوفة، ويفترض بها أن تكون وسيلة لخداع الملائكة الذين يشغلون الأبواب التي تعبرها الصلوات إلى السماء، وبمقدورهم منع صلوات الأتقياء من المرور، ولكن لما كانت الملائكة تفهم اللغة العبرية فقط، فإن الآرامية تثير حيرتها، وحيث إنها غبية نوعا ما– حسب التصورات اليهودية– تقوم بفتح الأبواب في لحظة حيرتها، فتدخل كل الصلوات من الأبواب. وقد يقول قائل كيف يمكن اعتبار الملائكة آلهة وغبية في وقت معا؟ والجواب: أنها كما يقول إسرائيل شاحاك تتمتع بقدر من الاستقلالية[4]، فمبقدورهم منع صلوات اليهود من المرور.

---

[1] – همو، الله أم يهوه، ص(35).

[2] – شاحاك، الديانة اليهودية، ص(50). وانظر ذلك في : همو، الله أم يهوه حيث تتبع في كتابه هذا الآلهة التي عبدها اليهود.

[3] – البيرتو دانزول، اليهودية والغيرية غير اليهود في منظار اليهود، ترجمة ماري شهرستان، ط1، دار الأوائل، دمـــشق 2004م، ص(41).

[4] – شاحاك، الديانة اليهودية، ص(53، 54)

وأما الشيطان فيبدو في كثير من نصوص هذه الديانة يتمتع باستقلالية كبيرة في أحداث هذا الكون، مما يدفعهم إلى التوجه إليه بالعبادة مع إلههم جنبا إلى جنب، حيث يقومون بتقديم أضحيتين، يقوم كاهنهم بإجراء القرعة بينهما، فإحداهما لإلههم، والأخرى للشيطان عزازيل[1].

والسؤال الذي يفرض نفسه بشدة في هذا المقام: إن أشد الأديان وثنية قد تسمو بنفسها عن مثل هذا التصور السقيم للإله، فكيف يقول به قوم يدعون التوحيد الخالص لأنفسهم؟ والجواب الذي نجد فيه حل هذا الإشكال، والله أعلم، يكمن في سفر التكوين[وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ: «هُوَ ذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَالآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضًا وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الأَبَدِ»][2]، فهذا النص يشعر بأن الإله الذي خلق آدم، وأسكنه الجنة، وأخرجه منها فيما بعد، حسب التصور اليهودي، هو إله من آلهة كثيرة، والعلة في ألوهيتها أكلها من شجرتي" معرفة الخير والشر" و" الحياة"، وما كان ينقص آدم ليصبح واحدا من هذه الآلهة هو الأكل من شجرة الحياة، وهذا ما سارع إله اليهود إلى منعه بإخراج آدم من الجنة.

ويعتبر ابن حزم من أوائل من تنبه إلى هذا الأمر من العلماء المسلمين، حيث يقول:(ولقد أدى هذا القول الخبيث المفترى كثيرا من خواص اليهود إلى الاعتقاد أن الذي خلق آدم لم يكن إلا خلقا خلقه الله تعالى قبل آدم. وأكل من الشجرة التي أكل منها آدم معرفة الخير والشر. ثم أكل من شجرة الحياة فصار إلها من جملة الآلهة. نعوذ بالله من هذا الكفر الأحمق ونحمده إذ هدانا للملة الزاهرة الواضحة التي تشهد سلامتها من كل دخل بأنها من عند الله تعالى)[3].

---

[1] – انظر ما جاء في سفر اللاويين[ويأخذ التيسين ويوقفهما أمام الرب لدى باب خيمة الاجتماع. ويلقي هرون على التيسين قرعتين قرعة للرب وقرعة لعزازيل] لا[16: 7، 8]. وانظر التلمود، سدر المقدسات، فصل البـــدل 6ب، ص(24)، 22أ، ص(102).

[2] – تك[3: 22].

[3] – ابن حزم، الفصل(1/ 145)

وأعتقد أن خواص اليهود الذين يذكرهم ابن حزم هم الغنوصيون من اليهود، الذين يرون أن الإله الذي خلق هذا الكون ليس هو الإله الحقيقي، وإنما هو إله من مرتبة أدنى، وهو إله التوراة" يهوه" الذي يطابقون بينه وبين" انجرامانيو"[1] شيطان الزرادشتية[2]، ويدعونه أمير الظلام، وحاكم العالم المادي[3].

هـــ- حرمة التلفظ باسم الإله عند اليهود

إن من أعقد القضايا وأكثرها إشكالية في الديانة اليهودية قضية الاسم الإلهي، وذلك من حيث تعدد هذا الاسم، وكتابته والنطق به، والدور الكبير الذي يلعبه هذا الاسم في حياة اليهود. وقد تعددت الأسماء التي تطلقها نصوصهم المقدسة على إلههم، وكما أسلفت فقد عبد اليهود آلهة متعددة عبر تاريخهم، ولكن مع مرور الزمن أصبح يهوه هو الإله الوحيد المعترف به عند اليهود، وقد صنف الدكتور المسيري الأسماء التي أطلقها اليهود على إلههم ما بين أسماء لها دلالات تصنيفية، وأسماء أعلام، وأشهر الأسماء من الصنف الأول تسمية إلههم بالسلام، والكمال المطلق، والملك والراعي، ومقدس إسرائيل، والرحمن[4]، ونلاحظ أن من بين هذه الأسماء بعض الأسماء الصحيحة لله تعالى والثابتة في القرآن والسنة الشريفة، وذلك مثل " السلام" و" الرحمن" و" الملك"وما ذلك إلا شاهد على الأصل السماوي للديانة اليهودية وبقايا الوحي فيها.

وأما أسماء الأعلام فمن أهمها" إيل"[5] و" شداي"[1] و" إلوهيم"[2] وأكثر الأسماء شيوعا وأكثرها قداسة على

---

[1] – انجرامانيو أو انجرامي نيوش: اسم للشيطان في الديانة الزرادشتية. انظر أحمد الشفيع الماحي، زرادشت والزرادشتية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية الحادية والعشرون، الرسالة(**160**) مجلس النشر العلمي/ جامعة الكويت، ص(**38**)

[2] – الزرادشتية: هي الديانة التي جاء بها زرادشت، وأغلب الباحثين يعتبرها من باب الديانات الثنوية التي تقول بوجود إلهين، ولكن ثمة رأي يختلف مع هذا الرأي ويقول إن الزرادشتية ديانة توحيدية. انظر محمد حسن مهدي، الفلسفة الإسلامية بين الأصالة والتقليد، ط**1**، مطبعة دار السلام الحديثة، د. م. ن، **1418**هـــ- **1997**م، ص(**143**). وقد عدهم الشهرستاني ممن لهم شبهة كتاب. الشهرستاني، الملل والنحل(**1**/ **281**). وانظر جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة إمام عبد الفتاح، سلسلة عالم المعرفة، العدد(**173**)،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص(**90** وما بعدها).

[3] – السواح، الرحمن والشيطان، ص(**204**).

[4]– المسيري، موسوعة اليهود واليهودية(**5**/ **68**)

[5] – الاسم السامي للإله، و" إيل" مفرد كلمة" إيليم" الكنعانية، والكلمة في الاكادية تعني الإله على وجه العموم. المسيري، موسوعة اليهود واليهودية(**5**/ **69**) وهو اسم من أسماء الإله في العبرية، وثمة اضطراب في استخدامه في العهد القديم، فغالبا ما تستخدم بشكل مفرد للدلالة على الإله الواحد الحقيقي، ولكنها تستخدم أيضا للدلالة على اله من الآلهة الوثنية. قاموس

الإطلاق اسم" يهوه"[3]. وهذا الاسم الأخير هو المشكلة الحقيقة لكل من الباحثين واليهود على حد سواء، أما بالنسبة للباحثين فلا يكادون يتفقون على أصل هذا الإله، وإذا ما رجعنا إلى العهد القديم نتلمس ذلك فسنجده متناقضا، حيث يظهر هذا الإله لأول مرة في سفر التكوين، وذلك في أعقاب قصة الذبيح[فَدَعَا إِبْرَاهِيمُ اسْمَ ذلِكَ الْمَوْضِعِ «يَهْوَهْ يِرْأَهْ». حَتَّى إِنَّهُ يُقَالُ الْيَوْمَ: «فِي جَبَلِ الرَّبِّ يُرَى»][4]، ولكن هذا النص متناقض تماما مع ما جاء في سفر الخروج، في كلام الله لموسى عليه السلام [وَأَنَا ظَهَرْتُ لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ بِأَنِّي الإِلهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. وَأَمَّا بِاسْمِي «يَهْوَهْ» فَلَمْ أُعْرَفْ عِنْدَهُمْ][5]، فنص سفر التكوين يدل على أن هذا الاسم كان معروفا لإبراهيم عليه السلام، ونص سفر الخروج مصرح بعدم معرفته بهذا الاسم، حيث هذا الإله لم يظهر بهذا الاسم لأحد قبل موسى عليه السلام، وهذا ما دفع بعض الباحثين إلى استنتاج مفاده أن اليهود قاموا بإقحام هذا الاسم في التوراة، وحاولوا جعله بديلا لإيل، ولكنَّهم لم ينجحوا بدليل بقاء الأسماء الإيلية سائدة حتى في العصور التي ظهر فيها يهوه، وهذا ما أدى إلى بقاء الإلهين معا في

الكتاب المقدس، مادة" إيل" ص(142) ومن الملاحظ تواجد هذا الاسم عند جميع الأمم القديمة، واقتران الكثير من الأسماء به، وهذا ما دفع عبد المجيد همو إلى أن هذه اللفظ مواز للفظ الجلالة" الله" . همو، الله أم يهوه، ص(26).

[1] – هذا الاسم هو الأحرف الأولى من الكلمات العبرية(شومير دلاتوت يسرائيل) ومعناها حراس باب إسرائيل حيث إنه من أصل أكادي" شدر" وكان يستخدم في الأصل للإشارة إلى القوى الشريرة، التي تأتي من الجبال" شديم" أي الجن والشياطين. المسيري، موسوعة اليهود واليهودية(5/ 71). قلت: يبدو أن اليهود قاموا بتحوير هذا الاسم ليناسب احتياجاتهم، كما يبدو أن هذا الاسم كان في البداية صفة يوصف بها الإله، كما في" إيل شداي" أي الله القوي، ثم انتقلت هذه الكلمة عند اليهود من صفة يوصف بها الإله إلى اسم علم يطلق عليه.

[2] – كلمة من أصل كنعاني، وهي صيغة الجمع من كلمة" إيلوه" أو" إله" أو" إيل" وهو ما يدل على أن اليهود كانوا يؤمنون بتعدد الآلهة. المسيري، موسوعة اليهود واليهودية(5/ 70) ويستخدم هذا الاسم للدلالة على الله الخالق العظيم، وعلى علاقته بجميع شعوب العالم، على العكس من يهوه المحتكر من قبل اليهود. قاموس الكتاب المقدس، مادة" الله" ص(107). ولا يفوتنا في هذا المقام التذكير بما يكاد يكون متفقا عليه بين الكثير من الباحثين، وهو تعدد المصادر التي كتبت منها التوراة الحالية، ومن ضمنها المصدر الإلوهيمي، الذي كان تتردد فيه كلمة" إلوهيم" اسما للإله في هذا المصدر. حول هذه المصادر انظر بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص(33 وما بعدها).

[3] – المسيري، موسوعة اليهود واليهودية(5/ 68)

[4] – تك[22: 14].

[5] – خر[6: 3].

العهد القديم[1].

وأما أصل الاسم فيذهب ديورانت في قصة الحضارة إلى أن اليهود قد أخذوه من الكنعانيين، حيث كان عندهم إله اسمه" ياه" أو" ياهو" ومنه اشتق اليهود اسم يهوه[2]، بينما يذهب بعض الباحثين ومنهم العقاد إلى أن هذا الاسم لا يعرف اشتقاقه على التحقيق، فيصح أنه من مادة الحياة، ويصح أنه نداء لضمير الغائب، وثمة رأي ثالث مفاده أن هذا الإله أصله فارسي، بدليل أنه لم يظهر في الكتاب المقدس إلا في زمن الأسر البابلي، وهناك من يفسر ذلك بأن اليهود قد أخذوا هذا الإله من إلهين فارسيين، وهما" أهورامزدا" و" ياهي" وهي إلهة فارسية مؤنثة، فصاغوا من الإلهين إلها واحدا، ومن هنا قالوا إن إلههم كان ثنائي الجنس[3]، بينما يذهب المسيري إلى أن يهوه كان في بداية الأمر رب الصحراء[4].

والذي يعنينا في هذا المقام أن الإله الذي يعتقد اليهود أنهم أبناؤه هو هذا الإله" يهوه"، وهو الإله الذي احتكره اليهود لأنفسهم، وحرموه من أن يكون إلها لغيرهم من الشعوب، وقد تقدم في الصفحات السابقة كيف أن اليهود انطلاقا من أنهم أبناء يهوه قاموا بإضفاء صفاتهم عليه، فلم يعد يختلف عنهم في شيء إلا في كبر حجمه.

وقد نتج عن هذه العقيدة" عقيدة البنوة" أن القوم قد انتهى بهم الأمر إلى أنه لا يجوز التلفظ باسم هذا الإله، فكما أن من العقوق أن ينادي الابن أباه باسمه، فكذلك اليهود يرون أن من أكبر الكبائر التلفظ باسم هذا الإله[5].ومن هنا فقد استعاضوا عن ذكر اسمه بمصطلحات تتردد كثيرا في كتبهم وخاصة التلمود، ومن هذه المصطلحات:" الاسم"،" أدناي" والتي تعني السيد،" الذي لا يمكن التفوه باسمه"،" القدوس الواحد الممجد" و" التتراجراماتون"[6]، والمصطلحان الأخيران هما الأكثر استعمالا.

---

[1] – همو، الله أم يهوه، ص(27– 30)، والمسيري، موسوعة اليهود واليهودية(5/ 70).

[2] – ديورانت، قصة الحضارة، المجلد الأول، الجزء الثاني، ترجمة محمد بدران، دار الجيل بيروت 1408هـ– 1988م، ص(340، 341).

[3] – همو، الله أم يهوه، ص(75– 80).

[4] – المسيري، موسوعة اليهود واليهودية(5/ 70).

[5] – التلمود، سدر الأضرار، فصل سنهدرين 60أ، ص(269)

[6] – كلمة إغريقية تعني" مكون من أربعة أحرف" أو" رباعي" وتستخدم للإشارة إلى اسم يهوه المكون من أربعة أحرف. انظر المسيري، موسوعة اليهود واليهودي(5/ 70) وانظر دائرة المعارف اليهودية الالكترونية على الرابط التالي:
http://www.jewishencyclopedia.com/view.jsp?artid=165&letter=T&search=Tetrag

ولكن عدم التلفظ باسم الإله لم يتقرر دفعة واحدة، وإنما جاء ذلك على مراحل متعددة، ففي بداية الأمر كان هذا الاسم مكونا من اثني عشر حرفا، أعطيت للجميع، ولكن مع تزايد الرجال الجامحين عهد بهذا الاسم إلى الكهنة، الذين ابتلعوه وأصبحوا لا ينطقون به إلا وسط ضجيج الكهنة الآخرين، وثمة من يرتفع بعدد حروف هذا الاسم إلى اثنين وأربعين حرفا في الأصل[1]، والبعض يزيدها إلى اثنين وسبعين حرفا[2].

وعلى الرغم من جواز كتابة هذا الاسم، إلا أن يهوه منعهم من التلفظ به، فقد جاء في التلمود:(يقول الواحد المقدس: إنه لا ينبغي أن يدعى باسمه كما هو مكتوب، أنا مكتوب يودهي[3] ولكني الألف والدال[4])[5].

وعلى الرغم مما سبق إلا أن هنالك مواضع يجوز فيها ذكر الاسم الإلهي صراحة، ومن هذه المواضع داخل المعبد اليهودي[6]، ولكن بعد أن تم تدميره فقد ذهب اليهود إلى أنه يكفي هذا العالم أن يستخدم حرفين فقط من الحروف الأربعة[7]، كما أن هذا الاسم يجب أن يذكر عند إلقاء التحية[8]، ولكن هذا الأخير كان إما لمقاومة التعليم الهليني[9] الذي كان يرى أن الإله لا اسم له[10]، أو لتمييز اليهودي عن السامري الذي لا يقول الله الرحيم، أو لتمييز اليهودي الحاخامي عن اليهودي المسيحي[11].

بقي أن نشير إلى أن هذا الاسم قد يعطي من يتلفظ به قدرات فائقة جدا، وقد مر معنا سابقا كيف يقوم الملك صندلفون بالتلفظ باسم الإله على ذلك التاج الهائل، مما يجعل ذلك التاج يتحرك من مكانه ويستقر على رأس ذلك الإله، ومر معنا كيف ينظر المتصوفة اليهود إلى كل جزء من أجزاء إلههم، والنتيجة التي تنتج عن ذلك.

---

[1]– التلمود، سدر النساء، فصل التكريس 71أ، ص(234).

[2] – التلمود، سدر الأضرار، فصل سنهدرين 60أ، ص(269).

[3] – اختصار لاسم يهوه حيث يبدأ بحرف يود العبري وينتهي بالهي.

[4] – اختصار لأحد المصطلحات البديلة للاسم الإلهي وهو أدناي، وهذا الاسم يبدأ بالألف العبرية وينتهي باليود.

[5] – التلمود، سدر النساء، فصل التكريس 71أ، ص(234).

[6] – التلمود، سدر النساء، فصل الخائنة 40أ، ص(126)

[7] – التلمود، سدر الأعياد، فصل المقادير 18ب، ص(85).

[8] – التلمود، سدر الزروع، فصل البركات 54أ، ص(201).

[9] – نسبة إلى هيلين وهو الاسم العرقي الذي كان يطلقه اليونان على أنفسهم.

[10] – التلمود، سدر الزروع، فصل البركات 54أ، ص(202).

[11] – كوهين، التلمود، ص(74).

وقد تقدم قبل قليل ما جاء في التلمود من أن هذا الاسم كان مكونا إما من اثني عشر حرفا، أو من اثنين وأربعين، أو من اثنين وسبعين على اختلاف بين أحبار اليهود، ويبدو أن المتصوفة اليهود قد اعتمدوا على هذه الفكرة ليقولوا إن بعض حروف اسم الإله قد انتزعت أو سقطت، وبالتالي أصبح هذا الاسم ناقصا، وبالتالي فإن الإله نفسه أصبح ناقصا، مما أدى إلى حدوث خلل كوني، وهكذا لن يتم إصلاح هذا الخلل إلا إذا قدمت المساعدة لهذا الإله، ليستعيد ما فقد من اسمه، ويسترد توازنه[1]، ومن الطبيعي أن اليهود هم خير من يقدم المساعدة لهذا الإله، فهم أبناؤه، وهم شعبه، وهذا ما يجعل اليهود يقومون بدور محوري في نظر أنفسهم، فليس الكون وحده محتاجا إليهم، بل خالق الكون في حاجة إليهم، وهذه التضخيم للذات اليهودية هو ما دفع شخصا مثل فنحاص لأن يعتقد أن الله محتاج لليهود، وهم غير محتاجين له، وأنهم أغنياء عنه، وهو فقير إليهم، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

[1] – المسيري، موسوعة اليهود واليهودية(5/ 69).

المطلب الثاني: آثار عقيدة البنوة على اليهود وعلى الديانة اليهودية

مثلما كان لعقيدة البنوة عند اليهود تلك الآثار في تصورهم للذات الإلهية، فقد أثرت هذه العقيدة كذلك في نظرة اليهود لأنفسهم، وكذلك في الديانة اليهودية، أما بالنسبة لليهود أنفسهم فبما أنهم أبناء الله تعالى فقد رأوا أنفسهم آلهة، وبالتالي فهم سادة هذا الكون، فلا تجوز معاندتهم في أمر من الأمور، فضلا عن الاعتداء عليهم، ومن هنا فقد جاء في التلمود في سدر الأضرار فصل سنهدرين: إن من ضرب يهوديا على وجهه فكأنما ضرب الحضرة الإلهية[1]، ومن مسهم بسوء كان كمن مس بؤبؤ عين إلههم نفسه[2].

ولم يتوقف هذا التعالي والتطاول على البشر فحسب، بل تعدى ذلك إلى مقام الألوهية، فأصبحوا يرون أنفسهم عنصرا أساسيا لكل من الإله والكون، فهذا الإله قد أصابه الخلل، وامتد هذا الخلل ليصيب الكون، واليهود هم الوحيدون دون سواهم القادرون على إصلاح هذا الخلل، ولما كان الآباء يتلقون المساعدة من أبنائهم، فالإله محتاج إلى هؤلاء الأبناء ليساعدوه في محنته تلك، على أنه ينبغي التنبيه إلى أن بعض اليهود يرون أن سبب الخلل الكوني هو تلك الخطيئة التي ارتكبها آدم عليه السلام حسب زعمهم، فخلق ذلك الإله الشعب اليهودي لإصلاح ذلك الخلل[3].

وستبدو لنا آثار هذه العقيدة على اليهود أشد وضوحا عند الحديث عن آثارها على غير اليهود، كيف لا وقد قيل: وبضدها تتبين الأشياء[4].

وأما بالنسبة للديانة اليهودية فإنها لما كانت ديانة لأبناء الله فقد توجب أن لا يدخلها غيرهم، فهم شعب مقدس لذلك الإله، وبالتالي فإن مجرد دخول غيرهم في وسطهم يعتبر تدنيسا لذلك الشعب، فكيف إذا دخل

---

[1] – التلمود، سدر الأضرار، فصل سنهدرين، 58ب، ص(261) والنص باللغة الإنجليزية هو:

He who smites an Israelite on the jaw, is as though he had thus assaulted the Divine Presence.

[2] – التلمود، سدر النساء، فصل الطلاق" جطين" 57أ، ص(157) والنص باللغة الإنجليزية هو:

Whoever touches them touches the apple of his eye.

[3] – انظر سابقا مطلب الشخيناه والابن المبارك. ص(90).

[4] – هذا هو الشطر الثاني من البيت الذي يقول فيه المتنبي: ونذيمهم وبهم عرفنا فضله   وبضدها تتبين الأشياء

غيرهم في ديانتهم؟ فلربما يكون ذلك تدنيسا للإله نفسه! ولعل هذه الفكرة ترجع إلى تصور الإله اليهودي يقيم وسط اليهود، وبالتالي فإذا ما سمح لغير اليهود بدخول ديانتهم، والاختلاط بهم، فقد تنتقل النجاسة بالعدوى إلى اليهود، الذين قد ينقلونها بدورهم لهذا الإله نفسه[1].

ولكن ألا يسمح لغير اليهود باعتناق الديانة اليهودية؟ تتضارب النصوص اليهودية في هذا المقام، فثمة نصوص تجعل الباب مفتوحا أمام الجميع للدخول في اليهودية، ومنها على سبيل المثال: ما جاء في إشعيا[افْتَحُوا الأَبْوَابَ لِتَدْخُلَ الأُمَّةُ الْبَارَّةُ الْحَافِظَةُ الأَمَانَةَ **][2]، وما جاء في المزامير[**أَحْسِنْ يَا رَبُّ إِلَى الصَّالِحِينَ وَإِلَى الْمُسْتَقِيمِي الْقُلُوبِ **][3]، حيث يقولون إن هذا الخطاب يشمل جميع البشر، وليس موجها إلى الكهنة أو اللاويين أو بني إسرائيل[4]. ولكن وعلى فرض التسليم بما سبق فثمة نصوص على النقيض من تلك النصوص السابقة، ومنها على سبيل المثال ما جاء في إشعيا[**وَيَقِفُ الأَجَانِبُ وَيَرْعَوْنَ غَنَمَكُمْ، وَيَكُونُ بَنُو الْغَرِيبِ حَرَّاثِيكُمْ وَكَرَّامِيكُمْ. أَمَّا أَنْتُمْ فَتُدْعَوْنَ كَهَنَةَ الرَّبِّ، تُسَمَّوْنَ خُدَّامَ إِلهِنَا. تَأْكُلُونَ ثَرْوَةَ الأُمَمِ، وَعَلَى مَجْدِهِمْ تَتَأَمَّرُونَ**][5]، وما جاء في ميخا[**قُومِي وَدُوسِي يَا بِنْتَ صِهْيَوْنَ، لأَنِّي أَجْعَلُ قَرْنَكِ حَدِيدًا، وَأَظْلاَفَكِ أَجْعَلُهَا نُحَاسًا، فَتَسْحَقِينَ شُعُوبًا كَثِيرِينَ، وَأُحَرِّمُ غَنِيمَتَهُمْ لِلرَّبِّ، وَثَرْوَتَهُمْ لِسَيِّدِ كُلِّ الأَرْضِ **][6] .**

ومهما يكن حال هذه النصوص، فإن الأمر على غير ما يظن الكثير من الباحثين، حيث يفترض أكثرهم أن الديانة اليهودية ديانة توراتية، ولكن الصواب أن تفسير التوراة هو الذي يشكل حقيقة هذه الديانة، فكثير من

---

[1] – دانزول، اليهودية والغيرية، ص(58).

[2] – إش[26: 2].

[3] – مز[125: 4].

[4] – كوهن، التلمود، ص(117).

[5] – إش[61: 5– 6].

[6] – مي[4: 12].

مقاطع العهد القديم يفهمها اليهود فهما يختلف بل ويتناقض في كثير من الأحيان مع المعنى الحرفي الظاهر الذي يفهمه القارىء من غير اليهود[1]. إذا فعلى الباحث أن يتوجه لتفسير العهد القديم لعل ذلك يسعفه في معرفة الحقيقة، ولعل أفضل تفسير يعبر عن وجهة النظر اليهودية هو التلمود.

إن المتتبع لموقف التلمود من غير اليهود، وإمكانية دخولهم في اليهودية ليجد في بداية الأمر نظرتين تسيران جنبا إلى جنب؛ نظرة قومية ضيقة، ونظرة إنسانية جامعة، وتكمن المشكلة الحقيقية في تقابل هاتين النظرتين[2]. ففي فصل سنهدرين يعتبر الوثني الذي يقوم بدراسة التوراة مجرما يستحق الموت، وذلك استنادا إلى ما جاء في سفر الخروج[3]، من أن موسى أمرهم بالناموس كميراث لبني إسرائيل، وليست ميراثا لغيرهم[4]، وتأتي بعدها وجهة النظر الثانية، والتي تجعل الوثني الذي يدرس التوراة مساويا للكاهن الأعظم، وذلك استنادا إلى ما جاء سفر اللاويين[5]، من أن الإنسان إذا حفظ فرائض الله وأحكامه وفعلها فإنه سيحيى بها، ومستند وجهة النظر الثانية أن هذه الفقرة لم تقل الكهنة، ولم تقل اللاويين، ولم تقل كذلك الإسرائيليين وإنما قالت الإنسان[6]. فأيهما هي النظرة الحقيقية في هذا المقام؟

أقول إن النظرة الأولى هي النظرة التي تمثل حقيقة الموقف اليهودي تجاه دخول غير اليهود في اليهودية، وذلك أنها جاءت متقدمة في التلمود على وجهة النظر الأخرى، كما أن وجهة النظر الثانية لم تقدم ابتداء، وإنما قدمت كاعتراض على وجهة النظر الأولى[7]، ثم إن المستند التي استندت عليه وجهة النظر الثانية مستند ضعيف في

---

[1] – شاحاك، الديانة اليهودية وعلاقتها بغير اليهود، ص(58).

[2] – التلمود، سدر الأضرار، فصل سنهدرين 56أ، ص(252) هامش(34) وانظر زروق، التلمود والصهيونية، ص(247).

[3] – خر[31: 4].

[4] – التلمود، سدر الأضرار، فصل سنهدرين 59أ، ص(263) وانظر النص في الهامش رقم(3)

[5] – لا[18: 5].

[6] – المصدر نفسه، وانظر النص في الهامش رقم(3)

[7] – وهذا نص الفقرة كاملا

R. Johanan said: A heathen who studies the Torah <u>deserves death</u>, for it is written, Moses commanded us a law for an inheritance; it is our inheritance, not theirs. Then why is this not included in the Noachian laws? — On the reading morasha [an inheritance] he steals it; on the reading me'orasah [betrothed], he is guilty as one who violates a betrothed maiden, who is stoned. <u>An objection is raised</u>: R. Meir used to say. Whence do we know that even a heathen who studies the Torah is as a High Priest? From the verse, [Ye shall

ضوء الفهم اليهودي الصحيح للعهد القديم، حيث إن تفسير الإنسان من وجهة نظر اليهودية التقليدية هو اليهودي، ويشهد لذلك ما يمثل به شاحاك في هذا المجال، حيث يقول:(إن الجملة الشهيرة[أحب رفيقك كما تحب نفسك] لا[19: 18] فهمتها اليهودية الكلاسيكية كأمر بحب الرفيق اليهودي، وليس أي رفيق إنسان آخر)[1]، وهذا ما أشار إليه المسيري بقوله:(وقد تم تضييق النطاق الدلالي لبعض كلمات، مثل" أخيك" و" رجل" التي تشير إلى البشر ككل بحيث أصبحت تشير إلى اليهود وحسب، وتستبعد الآخرين، فإن كان هناك نهي عن سرقة" أخيك" فإن معنى ذلك يكون في الواقع" أخيك اليهودي")[2]ثم إن واقع الديانة اليهودية، وقلة عدد اليهود في العالم على اختلاف مراحل التاريخ يدلان على أن وجهة النظر الأولى هي التي كانت سائدة ومطبقة على مر الأيام. كما يدل على ذلك موقف أحبار اليهود ممن يدخل اليهودية من غير اليهود، وخير شاهد على ذلك أن موسى بن ميمون الذي يعد بمثابة موسى الثاني– حسب ما يراه اليهود– يرى أن كل امرأة من الأغيار غير نقية من الحيض، وعبدة، وMومس، ولكنَّها إذا تحولت إلى اليهودية فإنها لا تعود غير نقية من الحيض وعبدة ومن الأغيار، إلا أنها تظل مومسا طوال حياتها؛ لمجرد أنها ولدت من أم غير يهودية[3].

ويندرج تحت آثار عقيدة البنوة على كل من اليهود والديانة اليهودية آثارها على نصوصهم المقدسة، فلم تكن النصوص اليهودية المقدسة بمنأى عن آثار تلك العقيدة التي ابتدعها اليهود، وأرى أن تلك الآثار جاءت على صعيدي اللفظ والمعنى، أما لفظا فإني أستبعد كل البعد أن ينزل الله كتابا من السماء ينسب الولد إليه بأي طريقة وبأي معنى كان، فهذا أمر مرفوض كليا من خلال الوحي، وسنتناول هذا الأمر بشيء من التفصيل عند الحديث عن موقف الإسلام من نسبة الأبناء إلى الله تعالى، وبالتالي فتلك النصوص التي تنص على أن اليهود أبناء الله، أو تجعل كائنا من كان ابنا لله تعالى فهي من وضع اليهود، وليست من الوحي في شيء.

---

therefore keep my statutes, and my judgments[: which, if man do, he shall live in them. Priests, Levites, and Israelites are not mentioned, but men
hence thou mayest learn that even a heathen who studies the Torah is as a High Priest! — That refers to their own seven law.

[1] – شاحاك، التاريخ اليهودي، ص(60).

[2] – المسيري، موسوعة اليهود واليهودية(5/ 240).

[3] – شاحاك، الديانة اليهودية، ص(168).

وأما على صعيد المعنى فقد حاول اليهود التلاعب بالنصوص، ولي أعناقها؛ لتحقق لهم مطمعا، وهو تميزهم عن غيرهم من البشر، انطلاقا من أنهم أبناء الله، أو الشعب المقدس، أو الشعب المختار وكلها كما أسلفت صيغ مختلفة لعقيدة واحدة، وكما يقول كوهن صاحب كتاب التلمود: إسرائيل هي الشعب المختار عقيدة رئيسية إنها بالطبع عقيدة توراتية. غير أن الحاخامات قاموا بتضخيمها إلى درجة كبيرة جدا، وهذا ما جعل التلمود يشدد في كل مكان على القرابة الثابتة والفريدة الكائنة بين الله وشعبه[1]، ومن هنا فقد لجأ الحاخامات إلى مجال التفسير لإثبات مبتغاهم، فانظر إليهم كيف حاولوا أن يجعلوا هذه العقيدة استجابة لمطلب قدمه موسى عليه السلام إلى ربهم، وكيف استجاب ذلك الرب لذلك المطلب، وذلك استنادا إلى ما جاء في سفر الخروج [فانه بماذا يعلم أني وجدت نعمة في عينيك أنا وشعبك.أليس بمسيرك معنا.فنمتاز أنا وشعبك عن جميع الشعوب الذين على وجه الأرض] حر[33: 16] حيث فسروا النص، وحملوه على المحمل الذي يريدون، وهذا هو التحريف المعنوي بعينه، وما فعله اليهود في هذا المقام جعلهم مجالا للسخرية حتى من أبناء جلدتهم، فاستمع إلى قول اسبينوزا في هذا المقام:(ومن هنا أرادوا أن يستنتجوا أن موسى قد طلب من الله أن يكون حاضرا أمام اليهود، وأن يكشف عن نفسه لهم بتنبؤات وألا يعطي هذا الفضل بعد ذلك أي شعب آخر. وإنه لمن المضحك حقا أن يكون موسى قد حسد الأمم الأخرى على حضور الله أمامهم أو يتجرأ على أن يطلب من الله شيئا من هذا القبيل) [2].

إذاً فقد جعلت عقيدة البنوة الديانة اليهودية ديانة عنصرية، حكرا على بني إسرائيل دون سواهم من البشر، فهم أبناء الله على ما يدعون، وهذا هو الدين الذي ارتضاه لهم، وجعله ميراثا لهم دون غيرهم من الأمم، فما ينبغي لأحد أن يشاركهم فيه، وما حالهم في هذا الأمر إلا كحال طفل يرفض كل محاولة لأخذ أبيه منه، بل ويرفض أن يشاركه أحد في هذا الأب، حتى وإن كان من إخوانه أبناء أبيه، وذلك اعتقادا منه أن هذا الأب أب له دون سواه من الناس.

---

[1] – كوهن، التلمود، ص(113).

[2] – اسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص(177).

المطلب الثالث: آثار عقيدة البنوة على تعامل اليهود مع غيرهم

لقد كان لعقيدة البنوة آثار بارزة وملموسة على علاقة اليهود بغيرهم من الناس، ومع أن مستويات هذه العلاقة تتفاوت ما بين مكان وآخر، وزمان وآخر، وصنف وآخر من الناس، إلا أن تطاول اليهود واستعلاءهم على غيرهم من الموجودات يظل السمة المميزة لهذه العلاقة.

ويبدو أن التمييز ما بين اليهود وغيرهم قائم على أساس طاهر ونجس، ومقدس ومدنس، فقد جاء في سفر اللاويين[وَقُلْتُ لَكُمْ: تَرِثُونَ أَنْتُمْ أَرْضَهُمْ، وَأَنَا أُعْطِيكُمْ إِيَّاهَا لِتَرِثُوهَا، أَرْضًا تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً. أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمُ الَّذِي مَيَّزَكُمْ مِنَ الشُّعُوبِ. فَتُمَيِّزُونَ بَيْنَ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ وَالنَّجِسَةِ، وَبَيْنَ الطُّيُورِ النَّجِسَةِ وَالطَّاهِرَةِ. فَلاَ تُدَنِّسُوا نُفُوسَكُمْ بِالْبَهَائِمِ وَالطُّيُورِ، وَلاَ بِكُلِّ مَا يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ مِمَّا مَيَّزْتُهُ لَكُمْ لِيَكُونَ نَجِسًا. وَتَكُونُونَ لِي قِدِّيسِينَ لأَنِّي قُدُّوسٌ أَنَا الرَّبُّ، وَقَدْ مَيَّزْتُكُمْ مِنَ الشُّعُوبِ لِتَكُونُوا لِي**][1].**

وعلى الرغم من إقرار العهد القديم بالتنوع البشري، ومن سخافة المستند الذي استند إليه كاتب سفر التكوين[2]، وعلى الرغم مما يقوله" أندريه نيهير" أحد كبار المفكرين المعاصرين في اليهودية من أن تقسيم البشرية إلى شعوب نوعية هو أحد المبادئ الأساسية لنظرة اليهود للعالم، إلا أن هذا التقسيم ليس حياديا، وإنما هو تقسيم

---

[1] – لا[20: 24– 26].

[2] – يبني كاتب سفر التكوين تقسيم الإله الناس إلى شعوب مختلفة على أساس خوف هذا الإله من اجتماع الناس[وَقَالَ الرَّبُّ: «هُوَذَا شَعْبٌ وَاحِدٌ وَلِسَانٌ وَاحِدٌ لِجَمِيعِهِمْ، وَهذَا ابْتِدَاؤُهُمْ بِالْعَمَلِ. وَالآنَ لاَ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ كُلُّ مَا يَنْوُونَ أَنْ يَعْمَلُوهُ. هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ بَعْضُهُمْ لِسَانَ بَعْضٍ» فَبَدَّدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ، فَكَفُّوا عَنْ بُنْيَانِ الْمَدِينَةِ] تك[11: 6– 8] فكأن الهدف أن يبقى الناس مشتتين متباعدين، وأين هذا من النظرة القرآنية التي جعلت التقاء الشعوب وتعارفها هو الغاية التي من أجلها جعل الناس شعوبا وقبائل، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) ﴾ الحجرات: ١٣

تسلسلي يجعل اليهود في قمة الهرم الإنساني[1].

وبناء على ذلك التقسيم فإن المرء ليجد مجمل الديانة اليهودية قائما على التميز عن الآخرين والانفصال عنهم، ولولا حاجة اليهود لغيرهم لما سمحوا لأحد إطلاقا بالاقتراب منهم، أو العيش في وسطهم، كيف لا ومعبودهم يعيش في وسطهم، فيخشون عليه أن يتدنس باختلاطهم بغيرهم.

وعلى الرغم من أن اجتماع الإنسان بغيره من الناس واختلاطه بهم مطلب إنساني، وحاجة لا غنى عنها، ومن أن ذلك واقع لا بد أن يعاش، إلا أننا نجد اليهود ومن خلال نصوصهم يسارعون إلى منع ذلك الاختلاط، وكل ذلك تحت شعار الإخلاص لله، فانظر إلى سفر الخروج[اِحْتَرِزْ مِنْ أَنْ تَقْطَعَ عَهْدًا مَعَ سُكَّانِ الأَرْضِ، فَيَزْنُونَ وَرَاءَ آلِهَتِهِمْ وَيَذْبَحُونَ لآلِهَتِهِمْ، فَتُدْعَى وَتَأْكُلُ مِنْ ذَبِيحَتِهِمْ، وَتَأْخُذُ مِنْ بَنَاتِهِمْ لِبَنِيكَ، فَتَزْنِي بَنَاتُهُمْ وَرَاءَ آلِهَتِهِنَّ، وَيَجْعَلْنَ بَنِيكَ يَزْنُونَ وَرَاءَ آلِهَتِهِنَّ][2] كيف يحرم على العبرانيين إبرام عقود مع الكنعانيين خوفا من أن يتزوجوا من بناتهم، وبذلك يكون اليهود من خلال العهد القديم هم المسؤولون عن ظهور أول قانون " وهم" مرض الاختلاط لأول مرة في التاريخ[3].

تبدأ نظرة اليهود الاستعلائية إلى غيرهم من البشر منذ بداية خلقهم، بل قبل ذلك، فنطف غير اليهود كنطف الحيوانات، فقد جاء في العهد القديم[وَعَشِقَتْ مَعْشُوقِيهِمِ الَّذِينَ لَحْمُهُمْ كَلَحْمِ الْحَمِيرِ وَمَنِيُّهُمْ كَمَنِيِّ الْخَيْلِ][4]، وبالتالي فإن نسلهم لا يعتبر إنسانيا، بل هو أقرب إلى الحيوانية من الإنسانية[5].

ثم تنتقل هذه النجاسة إلى الأطفال غير اليهود، ونجد حاخامات اليهود يجهدون أنفسهم في مناقشة متى يصبح الطفل غير اليهودي نجسا؟ فيقول أحدهم منذ أن يكون عمره يوم واحد، ويقول آخر منذ أن يصبح عمره

---

[1] – دانزول، اليهودية والغيرية، ص(40).

[2] – خر[34: 15– 16].

[3] – دانزول، اليهودية والغيرية، ص(50).

[4] – حز[23: 20].

[5] – شاحاك، الديانة اليهودية وعلاقتها بغير اليهود، ص(156). وانظر منى، تلفيق صورة الآخر في التلمود، ص(209).

تسع سنوات ويوما واحدا، أما الطفلة غير اليهودية فتصبح نجسة اعتبارا من عمر ثلاث سنين ويوم واحد[1]. وبعد ذلك نجدهم حريصين كل الحرص على عدم اقتراب أطفال اليهود من الأطفال غير اليهود، وذلك خوفا عليهم من الدنس[2]!. أقول إن المرء ليعجب من هؤلاء القوم وقدرتهم على هذه العجائب، فكيف يخشون على أطفالهم من شيء هم أربابه، بل يتواقحون فينسبون ذلك إلى غيرهم.

ونجد هذا الموقف واضحا جليا عند المتصوفة اليهود، فقد جاء في كتاب" حاتانيا"[3] إن كل غير اليهود مخلوقات شيطانية، ليس بداخلها أي شيء جيد على الإطلاق، حتى الجنين غير اليهودي يختلف نوعيا عن الجنين اليهودي، كما أن وجود غير اليهود مسألة غير جوهرية في الكون، فقد نشأ كل الخلق من أجل اليهود فقط[4].

ولما كان الحديث قد يطول بالباحث حول موقف اليهود من غيرهم، فسأبين في هذا المقام أهم ملامح الموقف اليهودي من الآخرين، وسأكتفي بالإشارة إلى مجموعة من البحوث التي تناولت هذا الجانب، وقدمت فيه ما يغني عن الإعادة[5]، لأنتقل إلى أهم ما فيه، وأعني بذلك موقف اليهود من العرب والمسلمين، وموقفهم من المسيح عليه السلام ومن النصارى.

أهم ملامح الموقف اليهودي من الآخرين

أولا: غالبا ما يتم التعامل مع غير اليهود تحت مسميات مثل الأميين، الوثنيين، الجوييم، الأمميين،

---

[1] – التلمود، سدر الأضرار، فصل عبدة الأوثان 36ب، 37أ، ص(111– 112)

[2] – المصدر نفسه، 36ب، ص(112).

[3] – هذا الكتاب كتاب أصولي لحركة " حباد" وهي فرع من فروع الحسيدية، والتي بدورها تمثل استمرارا وصورة منحطة للصوفية اليهودية. انظر شاحاك، الديانة اليهودية وعلاقتها بغير اليهود، ص(40)

[4] – شاحاك، الديانة اليهودية وعلاقتها بغير اليهود، ص(40)

[5] – انظر البحوث التالية:

أ– شاحاك، إسرائيل، الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، حيث ألحق المؤلف به جزءا مهما بعنوان: شـرائع تلموديـة وحاخامية ضد الأغيار. وكذلك كتابه: التاريخ اليهودي. الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة.

ب– منى، زياد، تلفيق صورة الآخر في التلمود

ت– مسعد، همجية التعاليم الصهيونية

ث– أسعد زروق التلمود والصهيونية

ج– همو، عبد المجيد، مفاهيم تلمودية

الأجانب، الغرباء، الغيرييم[1]، إلى غير ذلك من المسميات التي تدل على غير اليهود، وبالتالي يلاحظ على هذه المسميات أنها تجعل اليهود هم المركز، أو الجانب المعياري ، الذي تقاس عليه الأشياء، وتصنف بالنسبة إليه.

ثانيا: إذا كان اليهود عنصرا إلهيا حسب ما يدعون، فإن غيرهم مخلوقات شيطانية، لم تعط صورة البشر إلا مراعاة لحاجات اليهود ومصالحهم.

ثالثا: غير اليهود أنجاس يجب الانعزال عنهم، وعدم التعامل معهم إلا في أضيق الحدود، وضمن أقصى درجات الحيطة والحذر.

رابعا: يميز اليهود ما بين أبناء نوح والإسرائيليين، ويتحدث التلمود عن الوصايا السبعة التي أعطيت لأبناء نوح[2]، ويرى بعض أحبار اليهود أن خلاص البشر متوقف على الالتزام بهذه الوصايا، ولكن هذا الموقف يتغير سريعا، فتجد التلمود يتحدث عن أبناء نوح والوثنيين بنغمة واحدة[3].

خامسا: غير اليهود يتميزون بسوء الأخلاق: كالسرقة والزنا.

سادسا: الازدواجية في التعامل مع غير اليهود، فكل ما هو محرم في تعامل اليهود مع بعضهم مباح في تعاملهم مع غيرهم؛ فالغش والسرقة وحتى التلاعب بالأيمان ذلك وغيره ينتقل من دائرة الحرمة إلى دائرة الإباحة، إن لم يكن الوجوب عند تعامل اليهودي مع غير اليهودي.

سابعا: لا نصيب لغير اليهود في العالم القادم، وإنما سيعودون إلى عالم الأموات، ولا يندفع ذلك بتصريح بعض الحاخامات أن غير اليهودي إذا التزم بالتوراة يكون مثل الكاهن الأكبر، وذلك أنهم ينظرون إلى التوراة على أنها ميراث لبني إسرائيل دون سواهم من الخلق.

ثامنا: تتنوع الأساليب اليهودية لإضفاء صورة إنسانية مشرقة على اليهود، ولإخفاء تلك التشريعات القبيحة تجاه غير اليهود، وذلك على الرغم من أنها مطبقة في جميع أماكن وجود اليهود من اليمن حتى نيويورك

---

[1] – عابد توفيق الهاشمي، فضيحة التلمود، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت 2000م– 1420هـ، ص(75).

[2] – التلمود، سدر الأضرار، فصل سنهدرين 56أ، ص(251) وهذه الوصايا هي: 1– الشرائع الاجتماعية. 2– الامتناع عن الكفر. 3– الامتناع عن عبادة الأوثان. 4– الامتناع عن الزنا. 5– الامتناع عن القتل. 6– الامتناع عن السرقة. 7– الامتناع عن أكل اللحم المقطوع من حيوان على قيد الحياة.

[3] – زروق، التلمود والصهيونية، ص(248).

على حد تعبير إسرائيل شاحاك[1].

وقد أجمل لنا القرآن الكريم موقفهم هذا بقوله تعالى: ﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[2].

أولا: موقف اليهود من العرب والمسلمين

بداية لا بد من التنبيه إلى أن التراث اليهودي غالبا ما يتعامل مع العرب والمسلمين تحت اسمي العرب والإسماعيليين، أو بني إسماعيل، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن جميع التشريعات والأحكام التي وضعها أحبار اليهود ضد الأغيار يمكن حملها وتطبيقها على العرب والمسلمين، فالذي يحكم اليهود في جميع تصرفاتهم ليس هو النص بحد ذاته، وإنما التفسير المعطى لذلك النص، سيما وأن تفسير النصوص هو من صلاحيات الحاخامات دون غيرهم.

يبدأ تاريخ العرب في التوراة منذ أبيهم إسماعيل عليه السلام، فهو ابن الجارية، وأمه خادمة لسارة، تهرب ويجبرها رب اليهود على العودة لسيدتها، ثم يطردها إبراهيم وابنها إلى برية فاران، ولأنه ابن جارية فلن يكون له نصيب في ميراث أبيه[3]. يضاف إلى ذلك ظهور خاتم الأنبياء، وسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم من العرب في وقت كان اليهود ينتظرون نبيا منهم، وهذا النبي قام بالانتصار عليهم، وطردهم في أكثر من موقعة، ليس هذا

---

[1] – شاحاك، الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، ص(32) ومن هذه الأساليب:

أ- الرشوة

ب- الاستخفاف الزائف مع إذعان خارجي

ت- الخداع كأن يكتب شيء باللغة العبرية، وحذفه في الترجمة المرفقة إلى لغة أخرى.

ث- نشر نسخ تلك الكتب التي تحتوي على فضائح تعامل اليهود مع غيرهم في طبعات غالية الثمن، لا يستطيع الوصول إليها إلا قلة من الناس.

ج- التلاعب بالألفاظ، كأن تتحول التعبيرات المعادية للنصارى في دولة نصرانية إلى تعبيرات مثل عربي، أو هندي، أو غير ذلك.

[2] – آل عمران: 75.

[3] – انظر سفر التكوين الاصحاحات16- 21.

فحسب بل إن دعوة هذا النبي جاءت للتوحيد الخالص، ذلك الشرف الذي طالما ادعاه اليهود، ونسبوه زورا لأنفسهم، بل جاء الكتاب الذي نزل على ذلك النبي يفضح اليهود، ويكشف سوء طويتهم، كل هذه العوامل جعلت موقف اليهود من العرب والمسلمين ينطوي على جانب كبير من العداوة والحقد والاستهزاء في كثير من الأحيان.

فالعرب في نظر حاخامات اليهود أمة منحطة، ففي أحد الأيام يخرج أحد الحاخامات من القدس راكبا حماره، وخلفه تلاميذه، ويرى امرأة يهودية تلتقط حبات الشعير من روث دواب العرب، فيقول: عندما تقوم إسرائيل بعمل لا يرضي يهوه، فإنه يسلمها إلى أمة منحطة، لا ليس إلى أمة منحطة فحسب، بل إلى دواب الأمة المنحطة[1].

ودائما يحاول اليهود وضع العرب في مرتبة أدنى من غيرهم، فأحد الحاخامات يطلب من آخر أن يصف له الفرس، فيقول: إنهم كجيوش بيت داود. ثم يطلب منه وصف عبدة النار المتعصبين، فيقول: إنهم كالملائكة المدمرين. وبعدها يطلب منه وصف الإسماعيليين، فيقول: إنهم كالشياطين[2]. وطبعا لا ننسى التذكير بأن الإسماعيليين اسم من الأسماء التي يطلقها التلمود على العرب.

وفي سدر النساء سفر التكريس تقسم الأشياء التي أعطيت لهذا العالم إلى أعشار، فيكون نصيب أمة من الأمم تسعة أعشار ذلك الشيء، ويأخذ العالم العشر الأخير منه، ومن ضمن هذه الأشياء العهر، حيث يترل إلى هذا العالم على عشرة مقاييس، فيكون نصيب العرب تسعة أعشاره، ويوزع العشر الأخير على ما تبقى من الأمم[3]، وكذا السحر يترل على عشرة مقاييس، ويكون نصيب مصر تسعة أعشاره[4]. قلت: إن دل ذلك على

---

[1] – منى، تلفيق صورة الآخر في التلمود، ص(**234**).

[2] – التلمود، سدر النساء، فصل التكريس **72**أ، ص(**238**، **239**) وهذا هو النص:

'Shew me the persians.' — 'They are like the armies of the House of David'،
he replied. 'Shew me the Guebers. — 'They are like the destroying angels.'
'Shew me the Ishmaelites.' — 'They are like the demons of the privy..

[3] – المصدر السابق، **49**ب، ص(**162**)

Ten kabs of immorality descended to the world: nine were taken by Arabia.

[4] – المصدر نفسه

Ten kabs of witchcraft descended to the world: nine were taken by Egypt.

شيء فإنما يدل على صفاقة اليهود، وقلة حيائهم، فالعالم كله شاهد على أن العهر صناعة يهودية، وهو وسيلتهم في تحقيق مآربهم، وهو جزء لا يتجزأ من ثقافتهم، كما أنهم لم يتوانوا يوما عن إلصاقه في كثير من كتبهم بمقام الألوهية، فأين هذا مما ينسبونه للعرب؟

كما ينسب التلمود للعرب ممارسة السحر والشعوذة، فثمة عربي يقطع شرايين جمله بسكينه، ولا يمنع ذلك الجمل عن الشهيق[1]، وآخر يضرب جمله بسيفه فيقتله، ثم يدندن بجرس في يده فيقوم ذلك الجمل حيا من جديد، ثم يقول ذلك العربي هل كان ثمة دم أو روث[2]، إلى غير ذلك من العجائب والغرائب.

والعرب قوم وثنيون يعبدون الغبار الذي على نعالهم[3]، لا يجوز لهم ممارسة الختان[4]، والعرب يمارسون الغش[5]، إلى غير ذلك من الأخلاق الذميمة التي يحاول اليهود إلصاقها بالعرب، مع أن تاريخ العرب شاهد على أنهم كانوا يأنفون من مثل هذه الأخلاق في جاهليتهم، فكيف بهم وقد جاء إليهم نبي بعث ليتمم مكارم الأخلاق!

ولا ينسى أولئك الذين يدعون أنهم أبناء الله تضخيم أنفسهم في مقابل الحط من قدر العرب، فهذا أحد حاخاماتهم يريد أن يعبر نهرا من الأنهار، فيطلب من ذلك النهر أن يحبس ماءه حتى يعبره، ولكن النهر يجيب قائلا: أنت تفعل الذي يأمرك به خالقك، وأنا أفعل الذي يأمرني، ولكن بعد مفاوضات وتهديد ووعيد يرضخ النهر لأمر ذلك الحاخام، ثم يطلب منه ذلك ليعبر منه رجل يحمل قمحا لعيد الفصح[6]، ثم يأتي عربي ليعبر فيفسح له المجال، حتى لا يقول هكذا تفعلون برفيق السفر[7]!، وثمة حاخام يرى عربيا يركب جمله، وفي يده حربة، ولكنَّه يبدو في عين ذلك الحاخام أصغر من دودة الكتان.[8]

---

[1] – التلمود، سدر النساء، زواج اللاويين 120ب، ص(585).

[2] – التلمود، سدر الأضرار، فصل سنهدرين 67ب، ص(300).

[3] – المصدر السابق، الباب الأوسط 86ب، ص(307).

[4] – التلمود، سدر الأضرار، فصل عبدة الأوثان27أ، ص(86).

[5] – التلمود، سدر المقدسات، فصل الأبكار 44أ، ص(171).

[6] – عيد الفصح: أحد أعياد اليهود، يذكرهم بعبورهم من مصر إلى فلسطين، يبدأ في 25 نيسان ويستمر لسبعة أيـــام. المـــسيري، موسوعة اليهود واليهودية(5/ 268).

[7] – نفس المصدر، فصل الدنيويات 7أ، ص(17).

[8] – التلمود، سدر الأعياد، فصل الصوم 22ب، ص(70).

على أنه ينبغي التنبيه إلى أن التلمود ينسب للعرب بعض المهارات في الطب كوصفه لعلاج مرض الإسقربوط[1]، وأمراض المعدة[2]، ومعرفة الطرق، ومواطن المياه في الصحراء[3]، ولكن يذكر ذلك عرضا، دون التنويه بأية فضيلة للعرب، بل قد يشعر المرء بالإساءة تنطوي عليها تلك السطور التي تذكر تلك الأمور؛ فالعربي الذي كان يستطيع أن يعرف مواطن الماء في الصحراء، ويحدد المسافة بينها وبين القافلة التي كان يسير فيها، كان يعتمد حاسة الشم في كل مرة، وكأني بذلك النص يشبهه بالكلب.

ويأبى أبناء الله على ما يدعون إلا أن ينسبوا لإلههم وأبيهم صفات النقص، فهو يندم على أربعة أشياء:السبي، الكلدانيون، الإسماعيليون ونزعة الشر[4]. وقريبا من هذا نظرة" الزوهار" إلى سيدنا إسماعيل ونسله من بعده، حيث يستند مؤلف ذلك الكتاب إلى ما جاء في سفر التكوين[وَرَأَتْ سَارَةُ ابْنَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةِ الَّذِي وَلَدَتْهُ لإِبْرَاهِيمَ يَمْزَحُ، فَقَالَتْ لإِبْرَاهِيمَ: «اطْرُدْ هذِهِ الْجَارِيَةَ وَابْنَهَا، لأَنَّ ابْنَ هذِهِ الْجَارِيَةِ لاَ يَرِثُ مَعَ ابْنِي إِسْحَاقَ»][5]، فيقول: منذ ولادة إسحاق لم يذكر إسماعيل باسمه، ولم يقل إسماعيل، حيث لا يجوز ذكر التفاهة في مكان يكثر فيه الذهب، لذلك قيل عنه: ابن هاجر المصرية[6]. ولكن كيف يرضخ إبراهيم عليه السلام لهذا المطلب الغريب؟ فإسماعيل ابنه كما هو إسحاق؟ فضلا عن أنه نبي معصوم؟ ويأتي الجواب من أرباب تفسير التوراة، حيث يقولون: إن سارة رأت إسماعيل يلعب بآلهة غريبة تعلمها من أمه، وبالتالي فهو وثني، يجب أن يطرد، وأن لا يكون له نصيب في ميراث أبيه، لا في هذا العالم، ولا في العالم

---

[1]– الإسقربوط: مرض ضعف الشعيرات الدموية، من أعراضه نزيف في اللثة، وتورم المفاصل، وضعف عام في الجسم.

[2] – التلمود، سدر الأعياد، فصل اليوم 84أ، ص(254). وسدر الأضرار، فصل عبدة الأوثان 29أ، ص(90).

[3] – التلمود، سدر الأضرار، الباب الثالث 73ب، ص(185).

[4] – التلمود، سدر الأعياد، فصل الصوم 52ب، ص(170).

There are four things of which the Holy One, blessed be He, <u>repents</u> that He had created them, and they are the following: Exile, the Chaldeans, <u>the Ishmaelites</u> and Evil Inclination.

[5] – تك[21: 9، 10].

[6] – الزوهار 1: 118ب، نقلا عن

RONALD. C. KIENER. THE IMAGE OF THE ISLAM IN THE ZOHAR

القادم[1].قلت: حاشا لمن قال عنه القرآن الكريم: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا (٥٤) وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا (٥٥) ﴾[2] أن يوصف بالوثنية، ولكن الوثنية حجة زائفة يتعلق بها حاخامات اليهود كلما حاولوا الإساءة إلى غيرهم، ولكنهم من أشد الناس وثنية، وكتبهم مليئة بمظاهره.

هكذا تصدر التوراة وشراحها حكما أبديا على إسماعيل عليه السلام بقطع كل صلة له بأبيه إبراهيم عليه السلام، وبالتالي قطع صلته ونسله من بعده بالدين القويم، وهذا ما جاءت آيات القرآن الكريم لتفنيده، وإثبات الصواب فيه، فإبراهيم عليه السلام لم يكن يوما يهوديا، ولا نصرانيا، ولكن كان حنيفا مسلما، وما كان من المشركين: ﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ (٦٧) ﴾[3]، وأولى الناس به هم النبي محمد صلى الله عليه وسلم والمسلمون[4]: ﴿ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (٦٨) ﴾[5].

كما يحاول أحبار اليهود الإساءة للعرب من خلال الإساءة إلى أبيهم إسماعيل عليه السلام، وذلك من خلال التركيز على جنسية والدته، فهي مصرية، ومصر في كتاب الزوهار رمز لكل ما هو شيطاني وشرير[6].

وقد يقول قائل: إن ما ذكرته من نصوص تدل على موقف اليهود من العرب، ويمكن حملها على عرب الجاهلية، دون غيرهم من العرب؟ والجواب عن ذلك: أن موقف اليهود تجاه العرب والمسلمين تم تكوينه، وتحديد ملامحه من خلال موقفهم من إسماعيل عليه السلام وذريته من بعده، دون النظر إلى فترة زمنية محددة، ثم إن ما نسبه اليهود إلى العرب أكثره كذب، ولا يصدق على العرب بحال من الأحوال، وإنما هو إلى واقع اليهود أقرب،

---

1 – المرجع السابق، ص(64)
2 – مريم: 54– 55.
3 – آل عمران: 67.
4 – انظر لاحقا، حاجة البشرية للقرآن
5 – آل عمران: 68.
6 – صورة الإسلام في الزوهار، ص(64)

والأهم من هذا وذاك، أن اليهود معروفون بإساءتهم إلى الأديان الأخرى عموما، والإسلام منها على وجه الخصوص، حيث إنه قد انتزع منهم مقام التوحيد الذي كانوا وما زالوا ينسبونه إلى أنفسهم زورا وبهتانا، وما الإساءة إلى شخص نبينا الكريم ﷺ ، والتي تظهر ما بين يوم وآخر، إلا ثمرة من ثمار اليهود الخبيثة، فها هو كتاب" الزوهار" ذلك الكتاب الذي امتلك على اليهود عقولهم، وقلوبهم، وأصبح المصدر الثالث بعد التوراة والتلمود للوحي والهداية والإرشاد[1]، ها هو يحاول الإساءة إلى مقام النبوة من خلال الإساءة إلى كل من النبيين محمد ﷺ عليه السلام بصورة تقشعر منها الأبدان، وتمثل السيرة العطرة لكل من النبيين الكريم يدفعنا إلى الإعراض عن ذكرها، والاكتفاء بالإشارة إلى موطنها[2]. على أن خداع اليهود لا يتوقف أبدا فثمة موقع الكتروني يهودي مخصص لكتاب الزوهار، بقيت فيه تلك الإساءة على حالها مع حذف اسم النبيين الكريمين[3]. ظنا من اليهود قبحهم الله أنهم قادرون على إخفاء سوءاتهم ومعايبهم، ولكن هيهات هيهات.

وأختم هذا المطلب بأن ما تقدم هو نهج ينتهجه اليهود مع العرب والمسلمين بغض النظر عن الزمان والمكان، وما القتل والتعذيب بصنوفه المختلفة، ومحاولات التهجير، والاعتداءات المتكررة على المساجد ودور العبادة، إلى غيرها من الممارسات اليهودية في فلسطين ما هي إلا آثار لتلك العقيدة الفاسدة، التي جعلت اليهود يتصورون أنفسهم آلهة، ويتصورون غيرهم مخلوقات لا قيمة لها، ولليهود الحق في أن يسلكوا جميع السبل للتخلص منهم، والإساءة إليهم.

---

[1] – همو، مفاهيم تلمودية، ص(**198**).

[2] – الزوهار(**3**، **282**أ) نقلا عن:

DR. GUSTAF DALMAN, JESUS CHRIST IN THE TALMUD, THE MIDRASH, ZOHAR AND LITRUGY OF THE SYNAGOGUE. CAMBRIDGE. DEIGHTON, BELL, AND CO. LONDON AND NEW YORK. GEORGE BELL& SONS 1983. P(40).

وانظر: همو، مفاهيم تلمودية، ص(**160**).

[3] – انظر موقع الزوهار على الانترنت على الرابط التالي:

https://www2.kabbalah.com/k/index.php/p=zohar/zohar&vol=49&sec=1719#15660

ثانيا: موقف اليهود من المسيح عليه السلام ومن النصارى

لقد واجه السيد المسيح عليه السلام عداء شديدا من اليهود أثناء حياته، وبعد موته، وهذا العداء ما زالت تتردد أصداؤه حتى يومنا هذا، بل ما زال يتجدد بين فترة وأخرى، بل أصبح هذا العداء في كثير من الأحيان يوجه إلى المسيح عليه السلام ومحمد ﷺ جنبا إلى جنب، كما مر معنا في الصفحة السابقة من إساءة كتاب الزوهار إلى هذين الرسولين الكريمين. ولعل السبب في ذلك أن هذين الرسولين كان لهما دور كبير في كشف حقيقة اليهود، وبيان بعدهم عن التوحيد الخالص، وقد تكلمت في الصفحات الماضية عن موقف اليهود من العرب والمسلمين بما فيهم النبي ﷺ ، وأنتقل الآن إلى الحديث عن موقفهم من المسيح عليه السلام ومن النصارى من بعده.

لقد أثبت القرآن الكريم إساءة اليهود لعنهم الله إلى كل من المسيح وأمه عليهما السلام: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ ﴾[1]، وبالتالي فما على المرء إلا أن يفتش في كتب القوم حتى يكشف عن تلك الإساءات، هذا ويمكن تتبع الإساءات في كل من التلمود، الزوهار، وكتاب توليدوت يشوع. وسأكتفي في هذا المقام بإشارات سريعة ومجملة حيث إن المرء ليأنف من ترديد ما يقوله اليهود في كتبهم.

ونبدأ بالتلمود حيث يتلخص موقفه في اتهام مريم عليه السلام بالزنا[2]، والمقصود من ذلك الإساءة إلى

---

1 – النساء: 156، 157.

2 – التلمود، سدر الأضرار، فصل سنهدرين 67أ، ص(298، 299) وانظر التلمود، سدر الأعياد، فصل السبت 104ب، ص(323). يشير الباحث في هذا المقام إلى تلك الفراغات التي يجدها القارئ في التلمود عند الحديث عن المسيح عليه السـلام، وربما تكون هذه الفراغات إساءات صريحة للمسيح عليه السلام، ومثل هذه الفراغات وضعت بقرار اتخذ بالإجماع في المجمع اليهودي المنعقد في بولونيا1631م، حيث قرروا أن العبارات التي تهين الأغيار يجب حذفها، والاستعاضة عنها بدوائر هندسية، أو تركها بيضاء... وأن مثل تلك التعاليم لا يصح نشرها إلا شفويا. انظر: مسعد، همجية التعاليم الصهيونية، ص(25– 2)

كل من الأم والابن معا، وقد عرض القرآن الكريم في سورة مريم لافتراءات اليهود، وتبرئة مريم عليها السلام منها بأن جعل عيسى عليه السلام ينطق وهو ما يزال في المهد صبيا، يقول تعالى: ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾[1].

وثمة نصوص يصف اليهود قبحهم الله تعالى فيها المسيح عليه السلام بالآثم، ويتهمونه كذلك بممارسة السحر[2]، ولم يتوقف الأمر في افتراءاهم عند هذا القدر من الإساءة بل زعموا كاذبين أنه يعاقب في الآخرة أشد أنواع العقاب، وذلك أنهم وضعوه ضمن تلك الأمم التي وصفوها ب(عَبَدة الأوثان) في مقابل اليهود الذين يزعمون كذبا أنهم أهل التوحيد[3].

وهناك رواية في التلمود تتحدث عن المسيح عليه السلام على أنه مجدف على اسم الرب، وأنه قام بإغواء الشعب لعبادة الأوثان، وأنه كان يمارس السحر، وكلها جرائم توجب عقوبة الرجم بالحجارة[4]، وعليه فثمة رواية تقول: إنه في عشية الفصح علق يشو[5]، ولكن قبل تنفيذ الحكم بأربعين يوما[6] بعث شخص لينادي في الناس: إنه سيرجم؛ لأنه يمارس السحر، وأغرى إسرائيل بالردة، فأي شخص يمكنه قول أي شيء لتبرئته، فليأت، وليرافع

---

1 – مريم: 27– 33

2 – انظر التلمود، سدر الأعياد، فصل السبت ، 106أ، ص(471).

3 – التلمود، سدر النساء، فصل الطلاق 56ب، 57أ، ص(156، 157).

4 – التلمود، المشنا، القسم الرابع(الأضرار) ص(170).

5 – هناك حاشية تقول: في نسخة أخرى من التلمود يرد هـذا الاسـم بـصيغة يـشو الناصـري [Ms. M. adds the Nasarean'.]

6 – الأصل أن الفترة التي تعطى للمتهم لإثبات براءته أو الإتيان بالشهود هي ثلاثين يوما حسب مشنا التلمود، وعلى كـل فهـذا يذكر بعادة صيام أربعين يوما قبل عيد الفصح والتي كانت متبعة عند النصارى استذكارا لفترة ما قبل صلب المسيح على ما يعتقدون. انظر: DALMAN, JESUS CHRIST IN THE TALMUD,......., P(149).

عنه، وحيث إنه لم يأت أحد، فقد علق يشو عشية عيد الفصح[1]. وقد تكون هذه الرواية من المداخل التي سربت منها عقيدة الصلب المزعومة إلى كل من اليهود والنصارى.

وقبل أن أنتقل إلى الكتاب الثاني ، الذي يبين موقف اليهود من المسيح عليه السلام، أحب أن أنوه إلى أن اليهود وانطلاقا من أنهم يرون أنفسهم أبناء الله تعالى، فإنهم يرفضون أن يكون لغيرهم صلة بهذا الإله، وبالتالي فإنك تجدهم في النصوص السابقة يسيرون في اتجاهين؛ أولهما: الإساءة إلى غير اليهود، والتقليل من قيمتهم، ونفي كل صلة لهم بالدين الصحيح، وثانيهما: الرفع من مكانة اليهود، ومحاولة إقناع الآخرين بأنهم خاصة الله في أرضه، وبالتالي فدينهم هو الصحيح، وباطل كل ما عداه، وهنا يكمن السر في عداء اليهود لكل من يحاول إيصال الدين الصحيح للبشر.

ما تقدم من نصوص كان من التلمود، ولكن ثمة كتاب آخر ربما ظن البعض أنه من التلمود، وربما ينقل البعض تصوراته عن المسيح عليه السلام وأمه ناسبا تلك التصورات للتلمود، وهذا الكتاب هو" توليدوت يشوع" أي حياة يسوع، وقد تم نشر هذا الكتاب في فرنسا **1984**م تحت عنوان" إنجيل الجيتو" ويقدم المؤلف فيه مخطوطات يهودية بقيت سرية لثمانية عشر قرنا، فلم يكن يطلع عليها إلا الخاصة من اليهود، وهذه المخطوطات تتناول ولادة المسيح، حياته، معجزاته، ووفاته، وببساطة هي الإنجيل، ولكن وفق تصورات اليهود المعادين له، يشار إلى أن هذا الكتاب بعد أن نشر في فرنسا تم سحبه من السوق خلال يوم واحد، وذلك تحت ضغط الجماعات اليهودية، وقد قام صهيب الرومي بترجمة هذا الكتاب ونشره، وذلك ضمن كتابه" المسيح بين التلمود والقرآن".

وينطوي هذا الكتاب على سخافات متراكمة، افتراها اليهود على المسيح عليه السلام وأمه الطاهرة، وهذه التصورات ليست كما هي في التلمود مبعثرة، وبشكل رمزي في كثير من الأحيان، وإنما تقدم تصورا شاملا من

[1] – التلمود، سدر الأضرار، فصل سنهدرين **43**أ، ص(**187**) وهذا هو النص

On the eve of the Passover Yeshu was hanged. For forty days before the execution took place, a herald went forth and cried He is going forth to be stoned because he has practised sorcery and enticed Israel to apostacy. Any one who can say anything in his favour, let him come forward and plead on his behalf.' But since nothing was brought forward in his favour he was hanged on the eve of the Passover.

وجهة نظر يهودية لحياة المسيح، منذ ولادته وحتى وفاته، ويبدو أن كاتب هذا الكتاب كان على معرفة تامة بالأناجيل، حيث نجده يحاول نسف استدلال النصارى بتلك النبوءات الواردة في العهد القديم بشأن المسيح، فنجد هذا الكاتب يصور شخص المسيح مستغلا لهذا البشارات، للخروج من المآزق التي كان اليهود يوقعونه فيها. ولما كان الإنسان يأنف من ذكر ما قاله اليهود في ذلك الكتاب، فسأكتفي بالإشارة إلى ذلك بشكل موجز[1]:

أولا: يتهم ذلك الكتاب الطاهرة مريم عليها السلام بالزنا، والمقصود من ذلك الإساءة إلى كل من الأم والابن معا، وقد عرض القرآن الكريم في سورة مريم لافتراءات اليهود، وتبرئة مريم عليها السلام منها بأن جعل عيسى عليه السلام ينطق وهو ما يزال في المهد صبيا.

ثانيا: اتهموا المسيح عليه السلام باستغلال حروف الاسم الإلهي لتحقيق غاياته[2]، بعد أن حصل على حروف ذلك الاسم، ولما أفقدوه القدرة على ذلك[3]، اتهموه بالذهاب إلى مصر لتعلم السحر.

ثالثا: يزعم ذلك الكتاب أن اليهود قاموا بصلب المسيح عليه السلام، بعد أن استطاعوا إقناع السلطة الحاكمة في ذلك الزمان بتسليمه لهم، وبالتالي فالصلب افتراء جاء به اليهود، وصدقهم به النصارى، وهو ما نفاه

---

[1] – انظر هذه الإساءات في: صهيب الرومي، المسيح بين التلمود والقرآن، ط**1**، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت **2005**م، ص(**29- 72**).

2 – سبقت الإشارة إلى أن النطق بحروف الاسم الإلهي يعتبر من أكبر الذنوب في عقيدة اليهود، والإشارة كذلك إلى أن من يتعلم حروف ذلك الاسم، وينطق بها يصبح قادرا على الإتيان بالخوارق.

3 – يزعم هذا الكتاب أن اليهود تمكنوا من ذلك بتكليف أحد الحاخامات بتعلم حروف ذلك الاسم، والنطق بها؛ للإتيان بالخوارق، مقابل تحملهم لنتائج ذلك الذنب الذي ارتكبه. قلت: أي عقيدة هذه التي تبيح للإنسان ارتكاب الذنوب، بل كبائر الذنوب، إذا تكفل غيره بتحمل الوزر؟ وأي إله ذلك الذي يقبل مثل هذا المبدأ؟ اللهم إلا إن كان أولئك المذنبون يتصورونه أبا لهم، يقبل منهم ما لا يقبله من سواهم. وأين ذلك كله من المبدأ القرآني العادل، الذي نسف تصور اليهود من أساسه: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ العنكبوت: ١٢، والذي جعل كل إنسان مسؤولا عن أعماله ومحاسبا عليها دون غيره من الناس: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ فاطر: ١٨.

القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ ﴾[1].

وأخيرا قد يتساءل المرء هل يصلح هذا الكتاب للاستدلال به على مواقف اليهود؟ والجواب: لم لا وهذا الكتاب لا يختلف عن بقية كتبهم في شيء! بل هو موافق لها في كثير من القضايا الجوهرية، كالإساءة للذات الإلهية، والإساءة إلى شخص المسيح عليه السلام وأمه الطاهرة، بل فيه من الاستخفاف بالعقل والحقائق العلمية مثل ما فيها، وهذا ما يدل على أن الكتاب قد كتب لغرض واحد، وهو الإساءة إلى شخص المسيح عليه السلام وأمه الطاهرة بأي طريقة كانت، وبالتالي الإساءة إلى كل من يفكر في كشف حقيقة اليهود، أو الخروج عن منهجهم[2].

وننتقل الآن إلى الكتاب الثالث من الكتب اليهودية التي تكشف حقيقة تصور اليهود أنفسهم أبناء لله تعالى، وما تبع ذلك من الإساءة إلى غيرهم من البشر، وفي مقدمتهم كل داع إلى الخير، وهذا الكتاب هو كتاب" الزوهار" أو" الضياء" وليته كان كاسمه، ولكنَّه كتاب ليس فيه إلا الظلم والظلمات، وقد تعرضنا له سابقا عند الحديث عن موقف اليهود من العرب والمسلمين، ورأينا كيف يجمع بين الإساءة إلى كل من نبينا محمد ﷺ والمسيح عليه السلام، ورأينا تلك الصورة البشعة التي يصورهما فيها.

ولم تقتصر هذه الصورة البشعة على محمد والمسيح عليهما الصلاة والسلام، بل تعدتهما لتشمل جميع أتباعهما، كما أن الدائرة قد وسعت كذلك لتشمل جميع أبناء إسماعيل، وأبناء عيسو كذلك، ذلك الأخ التوأم ليعقوب عليه السلام، والذي قالوا إن يعقوب قد سرق البركة" النبوة" منه، بطريقة خبيثة اجتمعت فيها كل من الإساءة إلى الأب والأخ معا، قلت: وليس ذلك من خُلُق الأنبياء في شيء، وإنما هي أخلاق اليهود، حاولوا ويحاولون إسقاطها على كل شيء في الوجود، حتى إلههم الذي يدعون بنوتهم له لم يسلم من هذه الأخلاق

---

[1] – النساء: ١٥٧.

[2] – من القضايا الجوهرية في هذا الكتاب الإشارة إلى أثر بولس اليهودي في النصرانية، حيث قام حاخامات اليهود بإقناع التلاميذ بالتخلي عن الشريعة التي يرون أنها ميراث لهم من دون غيرهم، وذلك من خلال إقناع بولس بتعلم الاسم الإلهي، والتلفظ به على أن يتحمل القوم عنه ذلك الوزر، ليقوم بعمل العجائب فيتبعه النصارى، ولا يعودون يلتزمون بالتوراة، بل يتوقفون عن عداء اليهود، وهذه قضية ينبغي تناولها ببحث معمق لما قد يبنى عليها من النتائج.

والطباع السيئة، فقبحهم الله من قوم ما أجرأهم على الباطل، وما أقدرهم على تشويه العقيدة.

ونعود إلى موضوع موقف اليهود من المسيح لنسأل: أيهما ذلك المسيح الذي وقف اليهود منه ذلك الموقف السيء، أهو المسيح رسول الله ﷺ ، والذي قدمه القرآن على حقيقته؟ أم هو المسيح ابن الله الذي تصوره النصارى؟ والجواب أن كلا من التصورين، وعلى الرغم من تناقضهما الشديد، يشكل أمرا مرفوضا من قبل اليهود، فالمسيح الرسول عليه السلام قد شكل تهديدا لحاخامات اليهود، فكشف زيغهم وضلالهم، وبين انحرافهم عن منهج التوحيد الخالص، وبين من خلال معجزاته التي أجراها الله جل وعلا على يده صدق دعوته الرسالة، وكذب اليهود فيما نسبوه له ولأمه من قبله، مما دفعهم إلى مهاجمته ومحاولة الإساءة إليه ما أمكن.

وأما المسيح" ابن الله" فهذه صورة لم تتشكل إلا بعد المسيح الحقيقي عليه السلام بزمان طويل، وعلى الرغم من ذلك فقد شكلت هذه الصورة أيضا أمرا مرفوضا من قبل اليهود، وذلك أن موقف المسيح عليه السلام من حاخامات اليهود وانحرافهم قد تم سحبه وإسقاطه على المسيح الذي تصوره النصارى، هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد شكل تعميم دعوة المسيح، ونقلها من دعوة إلى بني إسرائيل إلى دعوة لجميع الأمم أمرا مرفوضا، حرص اليهود على مقاومته منذ بداياتهم، فالقوم يتصورون أنفسهم أبناء الله تعالى، فيجب أن يظلوا منعزلين عن غيرهم من الأمم؛ حتى لا يتدنسوا بدنسها على ما يدعون، والتوراة ميراث لهم دون غيرهم من البشر، وما ينبغي لغريب أن يشاركهم في ذلك الميراث. وبناء عليه فكلا التصورين كان محلا لهجوم اليهود وإساءتهم، إذا فاليهود في مواقفهم لا يصدرون عن مبدأ التمييز بين الحق والباطل، وإنما هم في جميع مواقفهم تبع لهواهم وما تشتهيه أنفسهم سواء أكان حقا أم باطلا.

وقبل أن أنهي هذا المبحث لا بد أن أشير إشارة سريعة إلى موقف اليهود من النصارى، فاليهود يتصورون النصارى من أشد الناس وثنية على الإطلاق، وجميع تلك المظاهر التي جاء بها المسيح الذي يتصوره النصارى هي مظاهر وثنية، يجب مقاومتها، ومقاومة من يدعو إليها، وأما بالنسبة لكتب النصارى، فإن اليهود قد استخدموا فنا من فنونهم في الإساءة، وهو التلاعب بالألفاظ، حيث أطلق أحد حاخاماتهم على الإنجيل اسما آخر وهو" أفين جلايون" والمعنى هو الأوراق الزائفة الفارغة، وأطلق عليه حاخام آخر اسم" أفون جلايون" بمعنى الكتابات

الأثيمة، أو كتابات الخطيئة[1]. ويذكر المسيري أن اليهود أطلقوا على الإنجيل بين القرنين الثالث والخامس " جليون هامينيم" أي" لفيفة المهرطقين"[2].

أما بالنسبة لتعامل اليهود مع الأناجيل فقد ألحقوها بحكم بعض المسافات الفارغة التي تكون في لفيفة التوراة، والتي لا تتمتع بالقداسة، وبالتالي فيجب عدم إنقاذها من الاحتراق بالنار، بل زاد حاخامات اليهود إن الأناجيل يجب أن تحرق، بل حتى الاسم الإلهي الذي فيها ذهب بعض حاخاماتهم إلى وجوب حرقه معها[3]، ويذكر إسرائيل شاحاك أن إحراق الأناجيل في نظر اليهود يجب أن يكون بصورة علنية إذا أمكن، وقد تم ذلك بالفعل في 23/ 3/ 1983م[4].

إذا فعقيدة البنوة عند اليهود تنعكس واضحة في مواقفهم تجاه كل ما في الوجود، تنعكس على تصورهم للألوهية، فتجعل الإله واحدا من اليهود لا يتميز عنهم إلا بضخامته، وتجعل ذلك الإله حكرا على اليهود دون غيرهم من الأمم، وذلك الشعب شعبا له دون غيرهم من الشعوب، وشريعة السماء ميراث لهم، لا ينبغي أن يشاركهم فيها أحد، وهم شعب مقدس يسكن إلههم أو أبوهم في وسطهم، فما ينبغي لهم الاختلاط بغيرهم؛ حتى لا يتدنسوا فينتقل الدنس إلى ذلك الأب، وهم فوق هذا وذاك قد نصبوا أنفسهم أعداء لكل داع إلى الحق والفضيلة، كيف لا وهم أهل الرذيلة ومنبعها، وأنى للمعوج أن تهدأ نفسه برؤية غيره على سبيل الاستقامة؟

---

[1] – التلمود، سدر الأعياد، فصل السبت 116أ، ص(364) وانظر:
DALMAN, JESUS CHRIST IN THE TALMUD,.......,. P(30)
وكذلك مني، تلفيق صورة الآخر في التلمود، ص(91)

[2] – المسيري، موسوعة اليهود واليهودية(5/ 89).

[3] – التلمود، سدر الأعياد، فصل السبت 116أ، ص(362).

[4] – شاحاك، الديانة اليهودية وعلاقتها بغير اليهود، ص(28). والزاوي، كتابات من الجحيم، ص(504).

الفصل الرابع: عقيدة البنوة عند النصارى

المبحث الأول: عقيدة البنوة عند النصارى جذورها وآثارها

المطلب الأول: وصف المسيح بأنه ابن الله تعالى، واعتماد النصارى على ذلك في القول بألوهيته

المطلب الثاني: تصور النصارى للذات الإلهية" الأقانيم"

المطلب الثالث: أقنوم الابن أسماءه وظائفه وعلاقته بغيره من الأقانيم

المطلب الرابع: الجذور الوثنية لعقيدة البنوة عند النصارى

المبحث الثاني: آثار عقيدة البنوة عند النصارى

المطلب الأول: آثار عقيدة البنوة على تصور النصارى للذات الإلهية.

المطلب الثاني: آثار عقيدة البنوة على الديانة النصرانية.

المطلب الثالث: آثار عقيدة البنوة على علاقة النصارى بالآخر.

المبحث الأول: عقيدة البنوة عند النصارى

المطلب الأول: وصف المسيح بأنه ابن الله تعالى، واعتماد النصارى على ذلك في القول بألوهيته

المطلب الثاني: تصور النصارى للذات الإلهية" الأقانيم"

المطلب الثالث: أقنوم الابن أسماءه وظائفه وعلاقته بغيره من الأقانيم

المطلب الأول: وصف المسيح بأنه ابن الله تعالى، واعتماد النصارى على ذلك في القول بألوهيته

اشرنا في فصل سابق إلى أن العهد الجديد قد أطلق تعبير" ابن الله" أو" أبناء الله" على كل من آدم عليه السلام، والمؤمنين والأبرار، والمسيح عيسى عليه السلام، وأشرت كذلك إلى أن هذه البنوة لم ترتفع بأحد ممن أطلقت عليهم من مقام البشرية إلى مقام الألوهية إلا بالمسيح عليه السلام، حيث نقله النصارى بناء على هذه البنوة من مقام البشرية إلى مقام الألوهية، وجعلوه إلها، وبرروا ذلك بقولهم إنه ثمة اختلاف في بنوة المسيح وبنوة غيره لله تعالى، فقالوا إن بنوة غيره مكتسبة، وبنوته أزلية غير مكتسبة، واستندوا في ذلك إلى مجموعة من الأقيسة والنصوص ظنا منهم أنها تقوم مقام الأدلة على مذهبهم.

على أن تأليه المسيح بناء على بنوته لم يأت دفعة واحدة، وإنما كان مجموعة من التغيرات والتحولات التي طرأت على الديانة النصرانية عبر مدة طويلة من الزمن، وتحت ضغط الديانات الوثنية التي كانت سائدة في ذلك الوقت، ومع تشكل هذه العقيدة وتبين معالمها نجد النصارى يعولون على أحد أمرين في إثبات بنوة المسيح، وبالتالي ألوهيته، وأول هذين الأمرين: الاعتماد على معجزات المسيح، وتجاهل غيرها من المعجزات التي ثبتت لغيره، بل ربما فاقت معجزات المسيح نفسه، وثانيهما تقليد الفلاسفة في مسألة العاقل والمعقول، فقالوا إن الابن هو عقل الله الناطق أو نطق الله العاقل[1]. ونجد هذا الأمر واضحا جليا في مؤلفات النصارى، ومنها على سبيل المثال كتاب" لاهوت المسيح"[2].

وعليه فقد بدأ التصور النصراني للذات الإلهية باعتبار بنوة المسيح لله تعالى بنوة مختلفة عن غيره من أبناء الله الذين ذكروا في الكتاب المقدس، ثم تطور هذا التصور إلى قضية التثليث والقول بالأقانيم[3]، وقد كان لمجمع

---

[1] – تنبه علماء مقارنة الأديان إلى هذين الاتجاهين، وفي مقدمتهم الإمام الغزالي في" الرد الجميل" وقد تناول الباحث هذه القضية بالتفصيل في بحثه" موقف الإمام الغزالي من عقائد النصارى من خلال كتابه الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل" كما أشار لويس ماسينيون إلى أن الإمام الغزالي عرف في المسيحية قسمين؛ أولهما: الذين ينتمون إلى الفلسفة اليونانية، ويقلدون الفلاسفة، وثانيهما: الذين يقدمون معجزات المسيح كدليل على ألوهيته. انظر: لويس ماسينيون، المسيح في الأناجيل تبعا للغزالي، مجلة الدراسات الإسلامية، باريس1932، ص(523– 536).

[2] – شنودة الثالث، لاهوت المسيح، ط9،د. ن، د. م. ن، 2003م، ص(11 وما بعدها).

[3] – انظر تطور العقيدة النصرانية في:جنيبر، المسيحية نشأتها وتطورها، ص(121 وما بعدها). وأندريه نايتون، إدغار ويند وكارل غوستاف يونغ، الأصول الوثنية للمسيحية، ترجمة سميرة عزمي، د.ط، المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، د.م. ن، د، ت، ن.

نيقية دور كبير في تقرير هذا المعتقد، ومع أنني قد تطرقت لبنوة المسيح في الكتاب المقدس سابقا عند حديثي عن نسبة الأبناء إلى الله تعالى في العهد الجديد إلا أنه لا بد من العودة إلى هذا الموضوع للحديث عن تمييز النصارى ما بين بنوة المسيح وبنوة غيره لله تعالى، حيث إن هذه القضية تمثل إشكالا في وجه النصارى، وبعبارة أخرى:إذا كانت نسبة الأبناء إلى الله تعالى غير مقتصرة على المسيح عليه السلام، بل تعدته إلى غيره، فما بال النصارى يؤلهونه دون غيره ممن وصفوا بأنهم أبناء لله تعالى؟

بداية لا بد من الإشارة إلى ندرة هذه العبارة على لسان المسيح في الأناجيل على حسب ما لاحظه أندريه نايتون حيث يقول:(غير أننا نذهل فعلا من ندرة هذه العبارة على لسان المسيح، فهي لا ترد مثلا إلا في مقطع من إنجيل يوحنا حين يقول على لسان المسيح لليهود الذين يريدون رجمه" لأني قلت إني ابن الله")[1] أما شارل جنيبر فيذهب إلى أن المسيح لم يقل يوما عن نفسه إنه ابن الله تعالى، وذلك تعبير لم يكن في الواقع ليمثل بالنسبة لليهود سوى خطأ لغوي فاحش، وضرب من ضروب السفه في الدين. كذلك لا يسمح لنا أي نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير ابن الله على عيسى، فتلك لغة لم يبدأ باستخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية، والدليل الذي يقدمه على ذلك أن اليهود كانوا ينتظرون مسيحا من نسل داود، فلو أراد المسيح أن يتخذ لقبا لكان ذلك اللقب هو ابن داود[2].

قلت وهذا الكلام منه ما هو صواب ومنه غير ذلك، فمصطلح" ابن الله" من المصطلحات الشائعة عند اليهود، ولكن كيف ينسجم هذا الكلام مع النصوص الموجودة في الأناجيل الحالية، والتي تطلق على المسيح مصطلح" ابن الله"؟ لعل الجواب هو تلك الكيفية التي دخل بها هذا المعتقد الوثني إلى الديانة النصرانية، حسب ما يراه شارل جنيبر، حيث يرى أن اليهود كانوا يطلقون لقب خادم يهوه على كل من يظنون أن لديه إلهاما، والترجمة اليونانية للعهد القديم غالبا ما تترجم هذا اللفظ بخادم أو طفل، ولما كانت كلمة خادم أو طفل في اللغة اليونانية قريبة في الرسم من كلمة ابن فقد كان من السهل حدوث هذا التطور[3]، ويذهب دانييل باسوك في كتابه"

---

[1] – أندريه نايتون، الأصول الوثنية للمسيحية، ص(37).

[2] – جنيبر، المسيحية، ص(39).

[3] – نفس المرجع، ص(106).

المسيحية وأساطير التجسد" إلى أن المسيح عليه السلام لم يصف نفسه بأنه ابن لله، مستندا في ذلك إلى أن المسيح شخص يهودي موحد، وبالتالي فمن الصعب جدا أن يصف نفسه بأنه يهوه، في حين أن الراجح جداً والذي يمكن تصديقه هو أنه كان يرى نفسه أداةً للّه أو خادماً للّه[1].

وعلى الرغم مما تقدم يصر النصارى على رفع المسيح من مقام البشرية إلى مقام الألوهية بناء على التعبير عنه بمصطلح" ابن الله"، وإذا ما اعترض عليهم معترض فقال: بما أن المسيح قد اشترك بهذا الاسم مع غيره فلماذا اختص بالألوهية دونهم كما تزعمون؟ خرجوا من ذلك بأجوبة ظنوا أنها تحقق مطلبهم، وهذه الأجوبة هي:

أولا: قالوا إن بنوة المسيح أصيلة، وبنوة غيره مكتسبة[2]؟ أو قالوا: إن بنوة المسيح هي من نفس جوهر الله، وإنها ليست بنوة عادية كبنوة غيره من الناس[3].وهنا نتوجه إليهم بالسؤال: ما دليلكم على ما تقولون؟ استدلوا على ذلك بتلك النصوص التي تطلق على المسيح" ابن الله"، واستدلوا كذلك بما أجراه الله على يده من المعجزات، كما فعل البابا شنودة في كتابه" لاهوت المسيح". قلت وهذا لا يصلح دليلا حيث هو استدلال على الشيء بنفسه، وهذا ما لا يقبله من له مسكة من عقل، ومما لا يجعل هذه النصوص مقبولة كدليل على مذهبهم أنها متعارضة مع نصوص أخرى في كتابهم المقدس تشهد ببشرية المسيح عليه السلام ورسالته، وهذه النصوص دلالتها قطعية على بشرية المسيح، في حين أن تلك النصوص التي يستدلون بها ليست كذلك، بل هي متعارضة مع صحيح النقل وصريح العقل فوجب صرفها عن ظاهرها، وتأويلها بما ينسجم مع العقل السليم، ولو لم يكن من هذه النصوص إلا ذلك النص الذي جاء في سفر أعمال الرسل، لكان كافيا في الدلالة على عكس مذهب القوم [أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ اسْمَعُوا هذِهِ الأَقْوَالَ: يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرْهَنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللهِ بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبَ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا اللهُ بِيَدِهِ فِي وَسْطِكُمْ، كَمَا أَنْتُمْ أَيْضًا تَعْلَمُونَ

[1] – دانييل باسوك، المسيحية وأساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم ، ترجمة سعد رستم، ط2، صفحات للدراسات والنـــشر، دمشق2007م،ص(56، 57).

[2] – منيس عبد النور، ألقاب المسيح، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1990م، ص(17).

[3] – شنودة الثالث، لاهوت المسيح، ط9، ص(13).

]‏[1] ، فقد جاء هذا النص على لسان بطرس الذي قرر المسيح وبنص أناجيلهم صحة ما يقوله، حيث جاء في إنجيل متى[وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا. وَأُعْطِيكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، فَكُلُّ مَا تَرْبِطُهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاوَاتِ][2]، كما أن الأدلة شاهدة على عكس ما يقولون، حيث أشرت عند الحديث عن نسبة الأبناء إلى الله تعالى إلى الاعتبارات التي أطلق من أجلها ذلك التعبير، وهي تنطبق على المسيح وعلى غيره، وأما معجزاته فكتبهم شاهدة على أن الله قد أجرى من المعجزات الكثير على يد غيره من الأنبياء، وعليه فإن كان ظهور هذه المعجزات على يد المسيح دليل على بنوته لله تعالى، فهذا ينطبق على كل من أجرى الله على يده معجزة من المعجزات، وهذا ما ألزمهم به الإمام الغزالي في كتابه" الرد الجميل" حيث قال: إن كان عيسى عليه السلام قد أحيا الميت، فإن موسى عليه السلام قد قلب العصا ثعبانا، وجعل ما لم يتصف بحياة قط– عصا موسى– حيا أدل على القدرة من إعادة الحياة إلى الميت[3].

ثانيا: يقولون: إن جميع من أطلق عليهم هذا التعبير أطلق عليهم بصيغة الجميع باستثناء المسيح، فقد أطلق عليه بصيغة المفرد[4]. وهذا لا يسعفهم كذلك حيث ينطبق الشيء نفسه على آدم عليه السلام.

ثالثا: يقولون إن المسيح قد وصف في كتابهم المقدس بأنه" الابن الوحيد" مما يدل على ألوهيته[5]. وجميع النصوص التي تصف المسيح بالابن الوحيد موجودة في تلك المؤلفات المنسوبة ليوحنا، وهي نصوص كنت قد أشرت سابقا إلى أنها قد كتبت للتدليل على عقيدة قد صيغت مسبقا، ومن هذه النصوص ما جاء في إنجيل

---

1 – أع[2: 22].

2 – مت[16: 18، 19].

3 – أبو حامد الغزالي، الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، تحقيق محمد الشرقاوي، ط3، دار الجيل، بـيروت 1410هـــ– 1990م، ص(95).

4 – جيمس أَنس، علم اللاهوت النظامي، ص(180).

5 – البابا شنودة، لاهوت المسيح، ص(22) .

يوحنا[اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ][1]، ومنها كذلك ما جاء في رسالة يوحنا الأولى[بِهذَا أُظْهِرَتْ مَحَبَّةُ اللهِ فِينَا: أَنَّ اللهَ قَدْ أَرْسَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلَى الْعَالَمِ لِكَيْ نَحْيَا بِهِ][2]، والجواب عن ذلك أن تعبير الابن الوحيد لا يعني نفي وجود أبناء غيره، وذلك بشهادة كتابهم المقدس نفسه، ففي سفر التكوين[وَحَدَثَ بَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ أَنَّ اللهَ امْتَحَنَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لَهُ: «يَا إِبْرَاهِيمُ!». فَقَالَ: «هأَنَذَا» فَقَالَ: «خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ، وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا، وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ»][3].

ولما كان النصارى واليهود من قبلهم يعتقدون أن الذبيح هو إسحاق عليه السلام، فقد عبرت عنه التوراة بالابن الوحيد، مع أنهم مقرون بولادة إسماعيل عليه السلام قبل ولادة إسحاق، حيث جاء في سفر التكوين أن عمر إبراهيم عليه السلام عند ولادة إسماعيل كان ستا وثمانين سنة[4]، في حين أن عمره كان عند ولادة إسحاق حسب ما جاء في السفر نفسه مائة سنة[5]، وعليه فالتعبير عن إسحاق بالابن الوحيد لم ينف وجود إسماعيل، وبالتالي فالنصارى أمام أمرين لا ثالث لهما، أولهما: البقاء على أن الذبيح هو إسحاق، وأن تعبير الابن الوحيد لا يفيد الانفراد ونفي وجود الغير، والثاني: الاعتراف بما يعتقده المسلمون من أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، وأن إبراهيم عندما أمر بذبحه لم يكن إسحاق قد ولد بعد.

وبناء على ما تقدم فلا الأدلة العقلية، ولا النقلية كذلك تسعف النصارى فيما ذهبوا إليه، ولكنّهم على

---

[1] – يو[1: 18].

[2] – 1يو[4: 9]

[3] – تك[22: 1، 2].

[4] – تك[16: 16].

[5] – تك[17: 17].

الرغم من ذلك يصرون على معتقدهم، بل إنهم قد زادوه تعقيدا وغموضا من خلال قولهم بالأقانيم، ذلك المعتقد الذي لا يستقيم مع العقل بحال من الأحوال، لذلك نجدهم يتحججون بأن هذا المعتقد جاءهم من عند الله فليس عليهم إلا الإيمان والتصديق، حتى إن كان ذلك على حساب تعطيل العقل، تلك النعمة العظيمة التي أنعم الله بها على الإنسان.

ولم يكن النصارى في إيمانهم ببنوة المسيح على صعيد واحد، فثمة مذاهب تقترب في هذه البنوة حينا، وتتباين أحيانا أخرى، وكنت قد أشرت إلى ذلك عند حديثي عن المجامع النصرانية، وعند حديثي عن فرق النصارى، وأعود هنا فأذكر بأهم الاختلافات حول هذه القضية، فعامة النصارى ذهبوا إلى القول ببنوة المسيح لله تعالى بنوة رفعته من مقام البشرية إلى مقام الألوهية، وأشهر الذين اختلفوا معهم في هذه البنوة الآريوسيون، ويعرض صاحب علم اللاهوت النظامي مذهبهم في هذا المقام، فيقول:(قال الآريوسيون إن المسيح دعي ابن الله لأنه مخلوق على صورة الله أكثر من كل الخلائق سواه، ولأنه أولها زمانا)[1].

وقد أشرت فيما مضى عند حديثي عن مذهب آريوس إلى صعوبة معرفة مذهبه بدقة، وإلى محاولة تشويه أفكاره من قبل معارضيه الذين قاموا بنقلها.

ومن الذين اختلفوا مع غيرهم من النصارى في هذه البنوة بولس السميساطي وأتباعه، الذين كانوا يقولون: إن المسيح مخلوق صالح حمل في ذاته روح الله، فأصبح ابن الله بالتبني فقط، لا بالطبيعة والجوهر، وعليه فهو ليس بإله[2]. ومنهم كذلك السوسينيون[3] الذين يقولون إن المسيح دعي ابن الله لمجرد أنه ولد ولادة بشرية بواسطة الروح القدس بطريقة فائقة الطبيعة[4].

والحقيقة أن هذه الحركة تعتبر إحياء لما ذهب إليه كل من آريوس وبولس السميساطي من قبل، وهو ما اعتبرته الكنيسة هرطقة يجب القضاء عليها، وربما يكون للتصور الإسلامي للوحدانية أثر في أفكار هذه الفرقة،

---

[1] – جيمس انس، علم اللاهوت النظامي،ص(**181**)

[2] – انظر سابقا ما جاء في مبحث الفرق النصرانية قبل مجمع نيقية، عند حديث الباحث عن بولس السميساطي وأتباعه.ص(**107**)

[3] – نسبة إلى فوستوس سوسينوس، إيطالي الأصل، توفي في بولندا **1604**م. انظر علم اللاهوت النظامي، ص(**181**) وكذلك سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية، ص(**169**)

[4] – جيمس انس، علم اللاهوت النظامي،ص(**181**)

فبداية هذه الفرقة كانت في حقيقة الأمر على يد الطبيب واللاهوتي الأسباني ميخائيل سرفيتوس[1] وذلك من خلال كتابيه" حول أخطاء التثليث" و" إعادة المسيحية إلى حقيقتها الأصلية" حيث أعلن بطلان عقيدة التثليث، وكان يسمي الثالوث ب" الوحش الشيطاني ذي الرؤوس الثلاثة"، وقد انتقلت أفكار هذا اللاهوتي إلى القاضي الإيطالي ليلو سوسيني(**1526**م- **1562**م) والذي تعلم اليونانية والعبرية والعربية، ومن ثم انتقلت أفكاره إلى ابن أخيه فوستوس سوسيني، الذي قام بتأليف مجموعة من الرسائل رد فيها العقائد الأساسية للنصرانية كالتثليث والتجسد، وجمعت هذه الرسائل في كتاب ونشر في مدينة راكوف الهولندية، وعرف ب" العقيدة الراكوفية"[2]. ومن الفرق التي تختلف مع عموم النصارى في بنوة المسيح" شهود يهوه"[3] فهذه الفرقة على الرغم من اعترافها بالثالوث المسيحي إلا أنها تعطي الآب مكانة عالية تفوق مكانة الابن، وهم يعتبرون الابن أول مخلوقات الله، ويعتبرون أن يسوع صار ابنا لله أثناء قبوله العماد على يد يوحنا المعمدان، وبالتالي فبنوته ليست أزلية[4]. ولكن جميع هذه التوجهات اعتبرتها الكنيسة منذ البداية بدعا وهرطقات يجب مقاومتها، ومعاقبة أصحابها، وهو ما حدث في أغلب الأحيان.

---

[1] – ميخائيل سرفيتوس طبيب ولاهوتي أسباني، ولد في أسبانيا **1511**م وتوفي في سويسرا **1553**م، وكانت وفاته بعد أن حكمت عليه الكنيسة بالهرطقة وأصدرت حكما بإعدامه حرقا. انظر البستاني، دائرة المعارف(**9/ 577**).

[2] – عطاء الرحيم، عيسى والتوحيد، ص(**144**). ورستم، الفرق والمذاهب المسيحية، ص(**169** وما بعدها)

[3] – جماعة دينية مسيحية بروتستانتية يؤمن أتباعها بعدد من الأفكار الصهيونية حول المسيح المنتظر، ويعود اسم الجماعة إلى إيمانها أن اسم الإله الحقيقي هو يهوه، وأن الاسم الحقيقي للمسيحيين هو شهود، وقد نشأت هذه الحركة بداية في الولايات المتحدة الأمريكية **1872**م على يد رجل أعمال شاب يدعى تشارلز راسل(**1852**م- **1916**م) انظر المسيري، موسوعة اليهود واليهودية(**6/ 150**).

[4] – المسيري، موسوعة اليهود واليهودية(**6/ 150**) ورستم، الفرق والمذاهب المسيحية، ص(**231**)

المطلب الثاني: تصور النصارى للذات الإلهية" الأقانيم"

كان التوحيد وما زال هو المعتقد الصحيح الذي نزل من السماء، كما أنه هو المعتقد الذي يتماشى مع مقتضيات العقل الصحيح والفطرة السليمة، وقد رأينا كيف كان اليهود ومازالوا يحاولون نسبة هذا الشرف لأنفسهم، وذلك على الرغم مما هم فيه من التجسيد، ووصف الذات الإلهية بأوصاف تأنف منها أشد الأديان وثنية على وجه الأرض، وليس أمر النصارى ببعيد عن أمر اليهود، فأصل النصرانية هو التوحيد الخالص، ولكن القوم لم يحافظوا على هذا الأصل، وانجرفوا مع تيارات الوثنيات المختلفة، فانتزعت منهم أنفس ما لديهم، وأبدلتهم به مذهبا فاسدا، ومعتقدا لا تقبله فطرة سليمة، ولا عقل صحيح، وعلى الرغم من ذلك ظل في نفوس القوم ميل نحو التوحيد، فخلطوا بين هذا وذاك، وخرجوا بتثليث مدعين أنه وحدانية، وقالوا بثلاثة أقانيم، وزعموا أنها إله واحد، وعلى الرغم من غموض هذا المعتقد إلا أنني سأحاول تحديد أهم معالمه من خلال كتابات النصارى أنفسهم.

يعتقد النصارى أن إلههم ذات واحدة في ثلاثة أقانيم[1]، وهذا الاعتقاد هو المعروف عندهم بالتثليث، وقد عرف قانون إيمانهم هذه العقيدة على النحو التالي:(نؤمن بإله واحد الآب والابن والروح القدس إله واحد وجوهر واحد متساوين في القدرة والمجد) أي إنه في طبيعة إلههم الواحد تظهر ثلاث خواص أزلية، يعلنها كتابهم المقدس– على ما يدعون– في صورة شخصيات" أقانيم" متساوية، وهذه الشخصية المثلثة الأقانيم ليست إلا حقا سماويا، ويرون أن كتابهم المقدس قد أعلنها في العهد القديم بصورة غير واضحة، ولكنَّه قدمها واضحة في العهد الجديد[2].

قلت وقضية إعلان الأقانيم واضحة في العهد الجديد بعيدة عن الصواب كل البعد، فلو كانت واضحة

---

[1] – الأقانيم جمع أقنوم وهي كلمة يونانية معناها الأصل، وعند أفلوطين هي أحد مبادئ العالم الثلاثة، وهي الواحد والعقل والـــنفس الكلية. انظر المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، تحرير إبراهيم مدكور، القاهرة 1403هـــ– 1983م، ص(19). ولهـــا معان أخرى منها أساس أو حامل، كما تعني جوهرا فردا باعتباره حقيقة كينونية، وقد كان أفلوطين والكتبة المـــسيحيون في عصره قد أدخلوا هذه الكلمة بنحو خاص في اللغة التقنية الفلسفية، وكانوا يطلقونها على الأقانيم الإلهية الثلاثـــة باعتبارهـــا متمايزة جوهريا، وقد احتفظت في اللغة اللاتينية بمعنى فرد بوجه خاص، وبمعنى شخص معنوي. انظر أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الثاني، ترجمة خليل احمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1966م، ص(574).

[2] – نخبة من الأساتذة، قاموس الكتاب المقدس، ص(232).

كما يدعون لما احتاجت إلى ما يزيد على ثلاثة قرون حتى تعتمد في مجمع نيقية325م، ولو كانت واضحة لما احتاجت إلى تدخل السلطة السياسية لتقريرها رغما عن أنوف المعارضين الذين كانوا يشكلون الأكثرية عند انعقاد ذلك المجمع، ولو كانت واضحة لما احتاجت من رجال الكنيسة إلى اعتماد الأناجيل الأربعة، ومحاولة طمس كل ما سواها، على أن هذه الأناجيل لا تسعفهم في معتقدهم إلا بتأويل متعسف، وإذا كان هذا حال الأناجيل التي اعتمدوها، فما بال تلك التي قاموا بإحراقها، وإخفائها؛ خوفا من وصول الناس إليها؟!

ويستند النصارى في تقرير معتقدهم هذا إلى مجموعة من نصوص العهد الجديد، ومن أهمها ما جاء في إنجيل متى[فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ][1]، ومستندهم في هذه العبارة أن التعبير جاء ب" اسم" ولم يأت ب" أسماء" وبالتالي فقد ظن القوم أن الآب والابن والروح القدس شيء واحد. والرد على ذلك من وجوه:

أولها: أن في كلام الناس العادي مثل هذه العبارة، فقد يقول قائل: يجب أن نقاتل اليهود باسم العروبة والإسلام والمستضعفين في الأرض، ولا يوجد من يدعي أن التعبير ب" اسم" فيه خطأ، كما لا يوجد من يدعي أن العروبة والإسلام والمستضعفين في الأرض شيء واحد.

ثانيها: أنه ورد في كتابهم المقدس مثل هذا الاستخدام- أي استخدام كلمة اسم بصيغة المفرد مع أشياء متعددة- ومن ذلك على سبيل المثال ما جاء في سفر التثنية[وَأَمَّا النَّبِيُّ الَّذِي يُطْغِي، فَيَتَكَلَّمُ بِاسْمِي كَلاَمًا لَمْ أُوصِهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، أو الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِاسْمِ آلِهَةٍ أُخْرَى، فَيَمُوتُ ذلِكَ النَّبِيُّ][2] فنلاحظ أنه استخدم اسم بصيغة المفرد مع آلهة بصيغة الجمع، وليس من القوم من يقول إن هذه الآلهة إله واحد. وكذلك ما جاء في سفر الملوك الأول[ثُمَّ تَدْعُونَ بِاسْمِ آلِهَتِكُمْ وَأَنَا أَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ. وَالإِلهُ

---

[1] - مت[28: 19].

[2]- تث[18: 20]. ولا يقتصر ذلك على الترجمة العربية فقط، وإنما هو في اللغة الإنجليزية كذلك، انظر نفس الفقـــرة في نـــسخة الملك جيمس والأهم من هذا أن النصارى يحتجون بهذا النص على عقيدتهم كما هو في النسخ التي بين أيدينا.

الَّذِي يُجِيبُ بِنَارٍ فَهُو اللهُ». فَأَجَابَ جَمِيعُ الشَّعْبِ وَقَالُوا: «الْكَلاَمُ حَسَنٌ»][1] حيث إن النص لم يقل بأسماء آلهتكم، وإنما قال باسم آلهتكم.

ثالثها: مضمون عملية التعميد[2]، حيث إنها عملية رمزية تشير إلى تطهير المعتمد من الخطايا، وانتسابه إلى الجماعة النصرانية، وذلك من خلال الإيمان بالمسيح مخلصا[3]، فمدار هذه العبارة على الإيمان برسالة المسيح، ويشهد لذلك ما جاء في إنجيل مرقس بعد حديثه عن هذا الطقس[مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يُدَنْ][4]، وليس على الإيمان بالثالوث كما يدعون.

رابعها: ورود هذه العملية بأكثر من صيغة في نصوصهم، فهي في متى[فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ][5]، وفي مرقس[وَقَالَ لَهُمُ:«اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرِزُوا بِالإنجيل لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا.][6]، وفي لوقا[وَأَنْ يُكْرَزَ بِاسْمِهِ بِالتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الأُمَمِ، مُبْتَدَأً مِنْ أُورُشَلِيمَ][7]، وفي أعمال الرسل[فَقَالَ لَهُمْ بُطْرُسُ :«تُوبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِغُفْرَانِ الْخَطَايَا، فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ.][8]، وتكاد كل من مرقس ولوقا وأعمال الرسل أن تتفق على أن المقصود هو التبشير

---

[1] – 1مل[18: 24].

[2] – التعميد أحد الطقوس النصرانية، يقوم على رش المعتمد بالماء، أو تغطيسه فيه، على اختلاف بين النصارى. نخبة من الأساتذة، قاموس الكتاب المقدس، ص(637). وجيمس انس، علم اللاهوت النظامي، ص(603 وما بعدها).

[3] – نفس الهامش السابق.

[4] – مر[16: 16].

[5] – مت[28: 19].

[6] – مر[16: 15].

[7] – لو[24: 47].

[8] – أع[2: 38].

برسالة السيد المسيح، وعليه يجب حمل عبارة متى[1].

خامسها: من المعروف أن إنجيل يوحنا قد كتب لإثبات ألوهية المسيح على ما يزعمون، ولو كان في هذه العبارة دليل على ذلك لتضمنها، سيما وأنه آخر الأناجيل كتابة[2].

سادسها: ثمة تعارض واضح ما بين هذه الفقرة وما جاء في نفس الإنجيل[لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ][3].

سابعها: مدى أصالة هذه الفقرة في إنجيل متى، وهو ما سأترك الحديث عنه إلى مبحث آثار عقيدة البنوة على النصوص النصرانية المقدسة.

ومن النصوص التي يستشهدون بها على هذه العقيدة ما جاء في رسائل بولس[نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَمَحَبَّةُ اللهِ، وَشَرِكَةُ الرُّوحِ الْقُدُسِ مَعَ جَمِيعِكُمْ. آمِينَ][4] ، والجواب عن ذلك في غاية البساطة، حيث إن هذا النص وعلى الرغم من ذكره لثلاثة أشياء، إلا أنه لم يذكر أنها واحد.

وأهم هذه النصوص على الإطلاق ما جاء في رسالة يوحنا الأولى[فَإِنَّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السَّمَاءِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الآبُ، وَالْكَلِمَةُ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ. وَهؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ وَاحِدٌ. وَالَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي الأَرْضِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الرُّوحُ، وَالْمَاءُ، وَالدَّمُ. وَالثَّلاَثَةُ هُمْ فِي الْوَاحِدِ][5] حيث صرح بأن الثلاثة هم واحد، وهذا هو عين معتقدهم، والرد على ذلك من وجهين:

أولهما: ما مدى أصالة هذه الفقرة في رسالة يوحنا الأولى، وسأترك الحديث عن ذلك إلى مبحث آثار عقيدة البنوة على النصوص النصرانية المقدسة.

---

[1] – انظر محمد الملكاوي، بشرية المسيح ونبوة محمد، ط1، مطابع الفرزدق، الرياض 1413هـ– 1993م،ص(70).

[2] – نفس المرجع ونفس الصفحة.

[3] – مت[15: 24].

[4] – 2كو[13: 14].

[5] – 1يو[5: 7– 8].

ثانيهما: من المعروف أن رسالة يوحنا الأولى قد كتبت بعد فترة طويلة من رفع السيد المسيح عليه السلام، وبعد كتابة الأناجيل الأربعة، فما الذي دفع كاتب هذه الرسالة للسكوت عن أهم أدلتهم على الإطلاق على ما اعتقدوه من القول بالأقانيم.

ويعتقد النصارى في إلههم أنه متصل في الجوهر، مباين في الأقانيم، وجوهره هو أقانيمه، وأقانيمه هي جوهره[1]، ويتميز كل من هذه الأقانيم بأنه أقنوم كامل، أما ما يميز هذه الأقانيم عن بعضها فإنها تتميز بخواصها واختصاصاتها، فكل ما كان للابن والروح كان لهما من الآب، حتى الوجود نفسه، ولو لم يكن الآب لما كان الابن، ولا كان الروح، ويبقى المميز الأهم هو اختصاص الأب بالأبوة، والابن بالبنوة، وروح القدس بالانبثاق، مع الإشارة إلى أن كلا من الأبوة والبنوة والانبثاق غير مدرك الكيفية[2].

وتتمايز هذه الأقانيم بوظائفها؛ فالآب خلق العالم بواسطة الابن، وفوض إليه عمل الفداء، وقلده السلطان المطلق ليحكم، ثم ليدين العالم، وكما أرسل الابن لعمل الفداء، وخصه بالتجسد، أرسل الروح القدس أيضا؛ ليجدد قلوب البشر، وينيرها، ويقدسها[3].

ويحاول يوحنا الدمشقي تقريب ذلك للعقل فيقول:(إن اللاهوت لا يمكن أن يقسم إلى أقسام، وهو على نحو ما يصير ثلاث شموس متواجدة في بعضها البعض، وهي لا تنفصل، فيكون مزيج النور واحدا، والإضاءة واحدة، إذاً عندما ننظر إلى اللاهوت على أنه العلة الأولى، الرئاسة الواحدة، فالذي يتصور في ذهننا هو الواحد، أما عندما ننظر إلى من فيهم اللاهوت– أو بعبارة أدق– إلى من هم اللاهوت، لا سيما إلى الصادرين من العلة الأولى بلا زمن، والمساوين لها في المجد، وعدم الانفصال– وأعني الابن والروح– فالمسجود لهم ثلاثة؛ الآب آب واحد، وهو لا مبدأ له– أي لا علة له– لأنه ليس من أحد، والابن ابن واحد، وهو ليس بلا مبدأ– أي ليس بلا علة– وهو من الآب....، والروح القدس، روح واحد صادر من الآب[4]، ليس بالولادة بل بالانبثاق)[1]. والحقيقة

---

[1] – بولس البوشي، مقالة في التثليث والتجسد وصحة المسيحية، تحقيق سمير خليل، د. ط، المطبعة البولسية، لبنان 1983م، ص(75).

[2] – يوحنا الدمشقي، المئة مقالة في الإيمان الأرثوذوكسي، ص(69، 70) وجيمس انس، علم اللاهوت النظامي، ص(181)

[3] – جيمس انس، علم اللاهوت النظامي، ص(178).

[4] – يبدو أن يوحنا الدمشقي كان على مذهب الكنيسة الشرقية، والتي تقول إن انبثاق الروح القدس كان من الآب فقط، بينما

أن مثل هذه التشبيهات لا تفيدهم، بل هي حجة عليهم لا لهم.

وخلاصة تعليم كنيستهم في هذا أن الله واحد في اللاهوت، ثلاثة أقانيم، وهم الآب والابن والروح القدس، أي جوهر واحد وثلاثة أقانيم، غير أن الجوهر غير منقسم، فليس لكل واحد من الأقانيم جزء خاص منه، بل لكل أقنوم كمال الجوهر، الواحد نظير الآخر، وأن ما بينهم من النسبة سر لا يقدر العقل البشري أن يصل إليه، وخلاصة العلاقة بين الأقانيم يعبر عنها بثلاثة ألفاظ هي المساواة والامتياز والشركة، فهم متساوون في الجوهر، فليس أحدهم أعظم من الآخر، ومتمايزون داخليا، بأن الابن مولود، والروح منبثق، إما من الآب حسب الكنيسة الشرقية، أو من الآب والابن معا حسب الكنيسة الغربية، ومتمايزون خارجيا، كما هو الحال في الأعمال، ومشتركون في الجوهر الإلهي الواحد– حسب تعبير النصارى– وفي كل صفاته[2].

وفي نهاية عرض هذا المعتقد الذي ارتضاه النصارى نلاحظ ما يلي:

أولا: أن كلمة أقنوم أو أقانيم لم ترد في الكتاب المقدس إطلاقا، وهذا ما حدا بتوما الإكويني صاحب كتاب" الخلاصة اللاهوتية" إلى التساؤل عن صحة إطلاق هذا اللفظ على الله تعالى، ونقل في ذلك مذهبين؛ أولهما: ما نقله عن ديونيسيوس[3] في كتابه" الأسماء الإلهية" حيث ينقل عنه قوله:(واسم الأقنوم لم يعلن لنا في الكتاب المقدس، لا في العهد الجديد، ولا في العهد العتيق، فإذا ليس ينبغي استعماله في الله[4]. وثانيهما: وهو جواز استخدام هذا الاسم في الله، ومستند ذلك ما قاله أثناسيوس[5] في قانونه:(أقنوم الآب غير، وأقنوم الابن غير،

ذهبت الكنيسة الغربية إلى أن انبثاقه كان من الآب والابن معا.

[1] – الدمشقي، المئة مقالة، ص(72).

[2] – جيمس انس، علم اللاهوت النظامي، ص(178).

[3] – هو ديونيسيوس تلميذ بولس المذكور في أعمال الرسل[17: 34] وهناك أربعة مؤلفات تنسب له، ومن ضمنها كتاب" الأسماء الإلهية" ولكن هذه المؤلفات توحي بأنها كتبت بعد ذلك بكثير في القرن الخامس الميلادي، ولا يوجد شيء محدد عن هذه الشخصية. انظر بسترس، تاريخ الفكر المسيحي، ص(646 وما بعدها).

[4] – توما الإكويني، الخلاصة اللاهوتية، ترجمة بولس عواد، د. ط، المطبعة الأدبية، بيروت 1887م، ص(372)

[5] – أثناسيوس ولد حوالي 295 م وتسلم أسقفية الإسكندرية 328م وقد لعب دورا كبيرا في مقاومة المذهب الاريوسي، وينسب له قانون إيمان كذلك الذي قرره مجمع نيقية. انظر الخضري، تاريخ الفكر المسيحي،(1/ 642 وما بعدها) وبسترس، تاريخ الفكر المسيحي، ص(453 وما بعدها). وجيمس انس، علم اللاهوت النظامي، ص(99، 100)

وأقنوم الروح القدس غير)[1].

وهذا الذي يقوله الإكويني يدفعنا للوقوف من جديد مع مصطلح" أقنوم" والحقيقة أن هذه الكلمة سريانية، وهي الكلمة المقابلة للكلمة اليونانية" هيبوستاسيس" وهي كلمة مكونة من مقطعين" هيبو" وتعني تحت، و" ستاسيس" وتعني قائم أو واقف، فالكلمة في الأصل تعني ما هو تحت القائم، وبعبارة أخرى ما يقوم به الشيء، ثم استخدمت لاهوتيا للتعبير عن الأشخاص الثلاثة في إله النصارى الواحد على ما يدعون، والحقيقة أن اللجوء إلى هذه الكلمة كان في مجمع نيقية325م للخروج من مأزق عدم دلالة نصوص الكتاب المقدس على هذه العقيدة، حيث إن أتباع آريوس كانوا وبكل سهولة يوظفون نصوص الكتاب المقدس لدعم موقفهم، الأمر الذي كان صعبا، إن لم يكن مستحيلا على القائلين بلاهوت المسيح والأقانيم، مما دفعهم إلى البحث عن صيغة لا تحتمل الخلط ما بين أفراد ثالوثهم، فكان أن اعتمدوا هذه الكلمة اليونانية[2]، ولكن ما الكلمة العربية التي يمكن أن تقابل تلك الكلمة اليونانية، إنها كلمة شخص، أو فرد، واستخدام المقابل العربي قد يعيد النصارى إلى ذلك الإشكال الذي حاولوا عبثا الخروج منه، ومن هنا يكمن السر في الإبقاء على كلمة سريانية في المؤلفات النصرانية العربية.

ثانيا: أن هذا المعتقد، وعلى الرغم من زعم أصحابه أنه موجود في كتبهم، إنما قرر في فترات زمنية متباعدة، حيث قرروا ألوهية الابن في مجمع نيقية 325م، ثم قرروا ألوهية الروح القدس في مجمع القسطنطينية الأول 381م.

ثالثا: أن أصحاب هذا المعتقد مجمعون على أنه شيء يفوق العقل، وبالتالي يجب الإيمان والتسليم به دون أي مداخلات عقلية[3]، وحجتهم في ذلك أن هذا المعتقد قد جاءهم من الله، ولم يذهب منهم إلى الله، وكما يقول يوحنا الدمشقي:(إن اسم الأبوة والبنوة والانبثاق لم ينتقل من عندنا إلى اللاهوت السعيد، بل العكس، فهو قد

---

[1] – الإكويني، الخلاصة اللاهوتية، ص(373)

[2] – انظر مباحثات مجمع نيقية حول هذه القضية والدور الذي قام به أثناسيوس في: بسترس، تاريخ الفكر المسيحي، ص(448 وما بعدها). والإكويني، الخلاصة اللاهوتية، ص(457). والخضري، تاريخ الفكر المسيحي،(1/ 629 وما بعدها) وكساب، مجموع الشرع الكنسي، ص(44، 45)

[3] – نخبة من الأساتذة، قاموس الكتاب المقدس، ص(233)، والدمشقي، المئة مقالة، ص(67)، وفايز فارس، حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، ط2، دار الثقافة، القاهرة، د. ت. ن، ص(53).

انتقل إلينا من هناك)[1]. قلت وينبغي على من يتعرض للرد على النصارى التنبه لهذه النقطة المنهجية، فإذا ما كان الكلام موجها إلى غير النصارى فلا ضير في إبطال الأقانيم بالأدلة العقلية، ولكن إن كان الكلام موجها إلى النصارى فينبغي التركيز على أمرين:

الأول: أما قولهم إن الأقانيم شيء يفوق العقل، فلا أحد ينكر أنه يوجد في كل عقيدة أشياء من الأسلم للعقل التوقف عندها، والتسليم بها كما جاءت في النصوص الصحيحة، ومن هذه الأشياء معرفة الذات الإلهية، فإدراكها من الأمور التي تفوق العقل البشري، ومن أجل ذلك قال المصطفى ﷺ :(تفكروا في خلق الله، ولا تتفكروا في ذاته)[2]، وعليه فكيفية الذات الإلهية لا يجوز أن تكون موضوعا لأي بحث عقلي، ولكن ما الذي عمله النصارى؟ إنهم لم يراعوا ذلك بداية، وإنما يتكلمون في الذات الإلهية، ويكيفونها بكيفيات تصادم العقل، ثم يقولون: إن هذه الكيفيات قد أخبرنا بها الكتاب المقدس، هذا من جانب، ومن جانب آخر فثمة فرق كبير بين ما يستحيله العقل، وبين ما يعجز العقل عن إدراكه، والقول بالأقانيم مما يستحيله العقل، وليس مما يعجز العقل عن إدراكه.

الأمر الثاني: مناقشة النصارى في المرتكزات التي ارتكزوا إليها في قولهم بالأقانيم، وليس لهم في ذلك إلا نصوص يتمحكون في تأويلها لتحقق غرضهم، فيجب على من تصدى لهم معارضة هذه النصوص بنصوص أقوى وأوضح في دلالتها على غير مراد النصارى، كما يجب عليه بيان حقيقة تلك النصوص التي يعتمدون عليها أمام ما يوجه إليها من النقد على لسان النصارى أنفسهم، قبل أن يكون على لسان غيرهم.

---

[1] – يوحنا الدمشقي، المئة مقالة، ص(68)

[2] – أخرجه ابن أبي شيبة عن ابن عباس موقوفا، وأبو نعيم في الحلية مرفوعا بلفظ(تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في الله" وأخرجه الطبراني في الأوسط، والبيهقي في الشعب مرفوعا، وقال السخاوي أسانيدها كلها ضعيفة، ولكن اجتماعها يكسبها قوة. جلال الدين السيوطي، الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، تحقيق محمد عبد القادر، د. ط، دار الاعتصام، القاهرة، د. ت. ن، ص(167، 168).

المطلب الثالث: أقنوم الابن، أسماؤه، وظائفه وعلاقته بغيره من الأقانيم

يرى النصارى أن أقانيم إلههم متمايزة في الأقنومية متساوية في الجوهر، وعلى الرغم من ذلك إلا أن الناظر في معتقد القوم يجد أقنوم الابن قد أخذ مرتبة الصدارة على الأقنومين الآخرين، فنجده يسمى بأسماء متعددة، وتلقى على عاتقه جميع تلك المهمات التي يتوقف عليها خلاص المؤمنين به من تلك الخطيئة التي ورثوها عن أبيهم آدم على ما يدعيه النصارى.

وحتى يتسنى لنا الدخول إلى الحديث عن أقنوم الابن، فلا بد لنا من عرض مجمل العقيدة النصرانية بشكل موجز، تلك العقيدة التي صيغت عبر قرون من الزمن على شكل منظومة عقائدية مترابطة ومتراتبة مع بعضها البعض.

وتقوم العقيدة النصرانية على أن آدم عليه السلام قد عصى الله بأكله من الشجرة التي نهاه عن الأكل منها، ولما كان الله متصفا بالعدل، قالوا: إنه لا بد من معاقبة المسيء، فكان عقاب آدم القضاء عليه بالموت، وطرده من الجنة[1]، وبذلك كان آدم عليه السلام رأس الخليقة الخاطئة على حد قولهم[2].

وحيث آدم هو أبو البشر فقد أصبح نسله من بعده يتوارثون تلك الخطيئة وما ترتب عليها من جزاء، ولما كان إلههم قد صنع لآدم وزوجته أقمصة من جلد، وألبسهما إياها[3]، فقد بنى النصارى على ذلك أن ذلك الإله قد فدى آدم وزوجته بإراقة دم ثور أو خروف مثلا، وزعموا أن البشر صاروا يتقربون إلى الله عن طريق القرابين التي يذبحونها، ولكن هذه القرابين لم تكن كافية لخلاص البشر، وإنما هي مجرد رمز للخلاص، حيث الثور أو الخروف المذبوح– والشك منهم– قد أريق دمه دون أن يرتكب خطيئة[4].

---

[1] – تك[2: 17] ورو[6: 23]

[2] – إبراهيم صبري، المسيحية بلا رتوش، د. ط، د. ن، د. م. ن، د. ت. ن، ص(21).

[3] – تك[3: 21]

[4] – صبري، المسيحية بلا رتوش، ص(24). وأرى أن هذا تفسير عقيم للأضحية، والصواب أن الناظر في تاريخ الأديان يكاد يجد الأضحية أمرا مشتركا بين جميع الأمم، والتفسير الصحيح لهذا هو ما قدمه القرآن الكريم من أن الأنعام نعمة من الله تعالى، وينبغي شكره على تلك النعمة، ولذلك فقد جعل الله تعالى لكل أمة منسكا، أو شريعة معينة لشكره تعالى، يقول تعالى:﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ

ولكن الله متصف بالرحمة كما هو متصف بالعدل، ولما كان قد طبق جانب عدله، فلا بد من تطبيق جانب رحمته أيضا، ولما كان الذي أخطأ إنسانا، وكان الذي يريد الفداء إلها فقد وجب أن يكون الذي يقوم بذلك العمل إنسانا وإلها معا، وذلك كي تكون له القدرة على الاشتراك مع الذين أخطأوا في طبيعتهم من جانب، ولكي يكون له سلطان فائق يغلب به الخطيئة، ويغفرها من جانب آخر[1].

وهكذا يصلون إلى القول بالتجسد، وإن المسيح هو الذبيحة الكاملة، حيث هو الله الذي اتحد بجسد إنسان، وعاش كإنسان، إلا أنه لم يرتكب خطيئة قط طول حياته، وكان ذلك قياسا منهم على ذلك الثور أو الخروف الذي ذبحه إلههم من قبل؛ فداء لآدم، حيث هذا الثور أو الخروف لم يرتكب خطيئة قط، وبهذا يكون إلههم هذا قد كفر عن جميع خطايا البشر[2].

ولكن ماذا بشأن أولئك الذين جاءوا قبل المسيح، وماتوا قبله؟ يقولون: إنهم نزلوا إلى مكان يسمى الجحيم أو الهاوية، وهو مكان تنزل إليه أرواح الجميع للقصاص[3]، ويطلق على هذا المكان اسم" لمبوس" حيث نزلت نفوس الأنبياء والأتقياء قبل المسيح، وانتظرت مجيئه[4].

وبعد أن صلب المسيح– على زعمهم– ودفن وقام نزل إلى ذلك المكان، وأخرج أرواح قديسي العهد القديم منه، معتمدين في ذلك على ما جاء في رسالة بطرس الأولى[فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ، مُمَاتًا فِي الْجَسَدِ وَلكِنْ مُحْيىً فِي الرُّوحِ، الَّذِي فِيهِ أَيْضًا ذَهَبَ فَكَرَزَ لِلأَرْوَاحِ الَّتِي فِي السِّجْنِ، إِذْ عَصَتْ

أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الحج: ٣٤

[1] – جيمس أنس، علم اللاهوت النظامي، ص(454 وما بعدها) وصبري، المسيحية بلا رتوش، ص(53).

[2] – صبري، المسيحية بلا رتوش، ص(43– 46) ونخبة من الأساتذة، قاموس الكتاب المقدس، ص(672).

[3] – نخبة من الأساتذة، قاموس الكتاب المقدس، ص(250)

[4] – جيمس انس، علم اللاهوت النظامي، ص(646) وهذا هو مذهب الكنيسة الكاثوليكية، وهو أمر غير مجمع عليه عند النصارى. انظر تفصيل ذلك في: الخضري، تاريخ الفكر المسيحي(1/ 365 وما بعدها).

قَدِيمًا...][1].

قلت ومدار عقيدة النصارى على توارث الخطيئة، وانتقالها من آدم إلى ذريته، وهذا كلام يمجه العقل، ولا يقبله، فالخطيئة ليست من الأشياء التي تتوارث من الآباء إلى الأبناء، فكم من أب عاص جاءت ذريته صالحة؟ وكم من أب طائع جاءت ذريته عاصية؟ ثم إذا كانت الخطيئة مما يمكن توارثه؟ فكيف يقوم مجمعهم المسكوني الحادي والعشرون" الفاتيكاني الثاني" **1962– 1965**م بتبرئة اليهود المعاصرين من تهمة دم المسيح، بحجة أنه لا ذنب لهم فيما فعله أسلافهم اليهود الذين قاموا بصلب المسيح على ما يزعمه النصارى، فإذا كان يهود اليوم لا ذنب لهم بما فعله أسلافهم؟ فإنه لا ذنب للبشرية جمعاء بما فعله آدم عندما أكل من الشجرة.

ثم إنهم قد جعلوا الموت عقوبة لتلك الخطيئة التي ارتكبها آدم، وجاء المسيح وخلصهم من هذه الخطيئة، فما بال الموت ما زال يصيبهم، شأنهم في ذلك شأن غيرهم من الناس؟

كما أن القوم جعلوا عقوبة الخطيئة مبنية على عدل الله تعالى، والسؤال الذي نطرحه على القوم هنا: أين كان عدل الله تعالى عندما حاسب البشر جميعا على خطأ لم يقترفوه؟

والرواية التي استند إليها القوم في نسبة الخطيئة لآدم عليه السلام، وأعني بها رواية سفر التكوين الأصحاح الثالث، رواية لا يصح الاعتماد عليها لمخالفتها لأبسط حقائق الحس والعقل[2]، كما أن هذه الرواية لم تنسب الخطيئة لآدم ابتداء، وإنما نسبتها لكل من الحية وحواء، كما أنها جعلت عقوبة آدم لعن الأرض، وأن تكون حياته تعبا وشقاء، ولم تذكر الرواية عقوبة الموت، وهنا نتساءل مرة ثانية: أين هو عدل الله الذي بنى عليه النصارى عقيدتهم؟ فالذي أخطأ آدم، فما بال الأرض هي التي تلعن؟ أم أن إلههم تبعا لهواهم، يصفونه بالعدل أحيانا، وينفونه عنه أحيانا أخرى؟

هذا عدا نصوص كثيرة في كتابهم المقدس تؤكد على مسؤولية الإنسان عن أعماله، وتنفي كل إمكانية

---

[1] – **1**بط[**3**: **18**– **20**].

[2] – من ذلك على سبيل المثال الحديث عن الحية، حيث تظهرها الرواية وعلى الرغم من حيوانيتها مخلوقا مكلفا بدليل ما أوقعه الله عليها من عقوبة نتيجة إغوائها لحواء، وتلك العقوبة بجعل أكلها من التراب مخالفة لما هو محسوس ومشاهد من اعتماد الحية في غذائها على الكائنات الحية كالطيور والفئران، وليس على التراب. فضلا عن نسبتها صفات النقص لله تعالى كجهله بمكان اختباء آدم وزوجته.

لتوارث الخطيئة، ومن ذلك ما جاء في حزقيال[اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ. اَلابْنُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ، وَالأَبُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الابْنِ. بِرُّ الْبَارِّ عَلَيْهِ يَكُونُ، وَشَرُّ الشِّرِّيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ. فَإِذَا رَجَعَ الشِّرِّيرُ عَنْ جَمِيعِ خَطَايَاهُ الَّتِي فَعَلَهَا وَحَفِظَ كُلَّ فَرَائِضِي وَفَعَلَ حَقًّا وَعَدْلاً فَحَيَاةً يَحْيَا. لاَ يَمُوتُ.][1]، فهذا النص فضلا عن نفيه لميراث الخطيئة، وتأكيده على مبدأ المسؤولية الفردية نجده يبين الطريق الصحيح للخلاص، ألا وهو التوبة والرجوع عن الذنب والالتزام بأحكام الله تعالى.

ومن تلك النصوص ما جاء في سفر التثنية[لاَ يُقْتَلُ الآبَاءُ عَنِ الأَوْلاَدِ، وَلاَ يُقْتَلُ الأَوْلاَدُ عَنِ الآبَاءِ. كُلُّ إِنْسَانٍ بِخَطِيَّتِهِ يُقْتَلُ.][2]. وهذا هو ما يقبله العقل الصحيح، والفطرة السليمة، وهو عين ما قرره القرآن الكريم في كثير من آياته[3].

ثم انظر إليهم كيف أضلهم الله تعالى حتى شبهوا ربهم بثور أو بخروف من جهة عدم ارتكاب الخطيئة، ولو لم يرتكبوا من الحماقات إلا هذه لكانت كافية في نقض عقيدتهم من أساسها.

والذي وقع عليه هذا العبء الثقيل هو أقنوم الابن، فهو الذي قام بتنفيذ عملية الفداء التي يزعمها النصارى، لذلك نجدهم يحتفون به أيما احتفاء، فله أسماء متعددة، ومميزات امتاز بها عن الأقنومين الآخرين، ووظائف ومهمات أنيطت به دونهم، وبعد ذلك يدعون أن إلههم إله واحد.

---

[1] – حز[18: 20، 21].

[2] – تث[24: 16].

[3] – انظر على سبيل المثال: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ الإسراء: ١٥. و﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ النجم: ٣٨ – ٤١

أسماء أقنوم الابن

تطلق على المسيح بوصفه الأقنوم الثاني من أقانيم النصارى أسماء متعددة، وقد أطلق النصارى هذه الأسماء في محاولة منهم إلى تأليه المسيح عليه السلام، وأشهر هذه الأسماء على الإطلاق" الابن" أو" ابن الله" و" الكلمة" و" صورة الله" وبالرغم من الألقاب الكثيرة التي يطلقها النصارى على المسيح[1]، إلا أنني آثرت الوقوف مع الثلاثة السابقة لأنها تتعلق بالأقنوم تحديدا، وقد تناولها الإكويني في خلاصته اللاهوتية من هذا المنطلق.

أما" الابن" أو" ابن الله" فقد تناولته في صفحات سابقة، وفي أكثر من موضع من هذا البحث، ولننتقل إلى أكثر الأسماء أهمية، والذي يوازي أو يكاد الاسم الرئيسي" ابن الله" وهذا الاسم هو" الكلمة" فيقال عند النصارى" أقنوم الابن" ويقال كذلك أقنوم الكلمة، وقد عد توما الإكويني الكلمة اسما أقنوميا لإلههم[2].

ويعتبر مطلع إنجيل يوحنا المستند الأساسي للنصارى في هذا الاسم، وهو ما يدفعنا للوقوف مع إنجيل يوحنا في هذه القضية تحديدا، فمن المعروف أن إنجيل يوحنا قد كتب لإثبات لاهوت المسيح، وكنت قد أشرت سابقا إلى أن النصوص التي تطلق على المسيح ابن الله، أو تلك التي يستند إليها النصارى في القول بلاهوت المسيح في إنجيل يوحنا على وجه الخصوص تشعر أن هذه النصوص قد كتبت كدليل على عقيدة تمت صياغتها مسبقا، ومن هنا يبدو أن كاتب إنجيل يوحنا قد حاول استغلال مفهوم" الكلمة" في مصدرين من المصادر التي تناولتها، ألا وهما العهد القديم والفلسفة.

أما في العهد القديم فللكلمة معان متعددة، ومن أهم المعاني التي استخدم هذا اللفظ للتعبير عنها كلمة الأمر أو التكوين، أي الخلق بواسطة قول الله تعالى للشيء كن، كما هو في مطلع سفر التكوين، حيث التعبير عن خلق المخلوقات المختلفة ب" وقال الله..."[3] ويبدو هذا المعنى واضحا جليا في أكثر من موضع في المزامير، ومن

---

[1] – حول أسماء المسيح وألقابه انظر متى المسكين، الإيمان بالمسيح، ط3، مطبعة القديس أنبا مقـــار، د. م. ن 1993م، ص(80-188) وهي ألقاب كثيرة تندرج تحت محاولات النصارى حشد الأدلة على لاهوت المسيح كيفما اتفق.

[2] – الإكويني، الخلاصة اللاهوتية، ص(424)

[3] – انظر على سبيل المثال تك[1: 14]

ذلك[بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ، وَبِنَسَمَةِ فِيهِ كُلُّ جُنُودِهَا][1]، و[سَبِّحِيهِ يَا سَمَاءَ السَّمَاوَاتِ، وَيَا أَيَّتُهَا الْمِيَاهُ الَّتِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ. تُسَبِّحِ اسْمَ الرَّبِّ لأَنَّهُ أَمَرَ فَخُلِقَتْ][2]، ومن معانيها كذلك الوحي[3]، وثمة إشارات للتوراة على أنها" ابن الله" أو" بنت الله"[4]، ليس هذا فحسب، بل إنها أي التوراة تحتل مكانا مركزيا في الوجدان الديني اليهودي، فهي أقدم من هذا العالم، بها ولها خلق الإله الدنيا[5]، وبالتالي فقد كان كاتب إنجيل يوحنا يعي تماما ما يفعله، ويبدو تأثره بالعهد القديم واضحا من خلال مطلع إنجيله، والذي جاء شبيها بمطلع سفر التكوين، فلما كان هذا الوجود مخلوقا بكلمة الله تعالى فقد حاول كاتب هذا الإنجيل إسقاطه على المسيح نفسه، ليكون ذلك دليلا على ألوهيته.

ويبدو أن كاتب هذا الإنجيل قد أخذ تلك الأوصاف التي وصفت بها" الحكمة" في سفر الأمثال وأسقطها على كلمته التي اعتبرها النصارى فيما بعد أقنوم الابن، الأقنوم الثاني من أقانيمهم، فانظر إلى أوصاف الحكمة كما جاءت في ذلك السفر[أَنَا الْحِكْمَةُ أَسْكُنُ الذَّكَاءَ، وَأَجِدُ مَعْرِفَةَ التَّدَابِيرِ.... اَلرَّبُّ قَنَانِي أَوَّلَ طَرِيقِهِ، مِنْ قَبْلِ أَعْمَالِهِ، مُنْذُ الْقِدَمِ مُنْذُ الأَزَلِ مُسِحْتُ، مُنْذُ الْبَدْءِ، مُنْذُ أَوَائِلِ الأَرْضِ .إِذْ لَمْ يَكُنْ غَمْرٌ أُبْدِئْتُ. إِذْ لَمْ تَكُنْ يَنَابِيعُ كَثِيرَةُ الْمِيَاهِ..... إِذْ لَمْ يَكُنْ قَدْ صَنَعَ الأَرْضَ بَعْدُ وَلاَ الْبَرَارِيَّ وَلاَ أَوَّلَ أَعْفَارِ الْمَسْكُونَةِ لَمَّا ثَبَّتَ السَّمَاوَاتِ كُنْتُ هُنَاكَ أَنَا. لَمَّا رَسَمَ دَائِرَةً عَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ. كُنْتُ عِنْدَهُ صَانِعًا، وَكُنْتُ كُلَّ يَوْمٍ لَذَّتَهُ، فَرِحَةً دَائِمًا قُدَّامَهُ.... فَالآنَ أَيُّهَا الْبَنُونَ اسْمَعُوا لِي. فَطُوبَى لِلَّذِينَ يَحْفَظُونَ

---

[1] – مز[33: 6].

[2] – مز[148: 4، 5].

[3] – انظر على سبيل المثال: ملا[1: 1، 2] وزك[1: 1– 3]

[4] – المسيري، موسوعة اليهود واليهودية(5/ 87) والمسكين، الإيمان بالمسيح، ص(170).

[5] – نفس الهامش السابق.

طُرُقِي..... لأَنَّهُ مَنْ يَجِدُنِي يَجِدُ الْحَيَاةَ، وَيَنَالُ رِضًى مِنَ الرَّبِّ، وَمَنْ يُخْطِئُ عَنِّي يَضُرُّ نَفْسَهُ. كُلُّ مُبْغِضِيَّ يُحِبُّونَ الْمَوْتَ][1].

أما في الفلسفة فإن الكلمة" اللوغوس" مصطلح يوناني معناه منطق، كلام، كلمة، قانون، عقل، خطاب متماسك[2]، والمعنى الأصلي لهذه الكلمة في الفلسفة هو القانون الكلي، أو أساس العالم، وقد تحدث هيراقليطس[3] عن الكلمة بهذا المعنى عندما قال: إن كل شيء يسير وفق اللوغوس، الذي هو أبدي ومطلق وجوهري، وعند الرواقيين[4] فإن هذا المصطلح يدل على قانون العالمين المادي والروحي، وقد طور فيلون الاسكندري[5] مذهب اللوغوس على أنه جماع الأفكار الأفلاطونية، وعلى أنه قوة خلاقة تعمل كوسيط بين الله والعالم المخلوق، وكان ذلك محاولة منه للتوفيق ما بين شريعة موسى عليه السلام والفلسفة الأفلاطونية[6].

ولما جاء كاتب إنجيل يوحنا حاول تطبيق فكرة اللوغوس على شخص المسيح عليه السلام، وقد أشار شارل جنيبر إلى ذلك بقوله:(وتتبع أحد الآسيويين المجهولين خطى فيلون الاسكندري في محاولته للتوفيق بين شريعة موسى وفلسفة أفلاطون، ففرض في مقدمة الإنجيل الرابع أن عيسى المسيح ظهر على الأرض ممثلا اللوغوس، أي كلمة الله، ومبدأ الفعل حسب مدرسة الإسكندرية، وأنه يشارك الله في خلوده)[7].

قلت: يبدو أن كاتب الإنجيل مثلما كان مهتما بتقديم المسيح لليهود، فقد كان مهتما كذلك بتقديمه

---

[1] – أم[8: 12– 36].

[2] – خليل أحمد، معجم المصطلحات الفلسفية، ط1، دار الفكر، بيروت 1995م، ص(163).

[3] – هيراقليطس(535 ق. م– 475 ق. م) كان إنسانا متعاليا ينظر إلى الشعب باحتقار، وكان يقول بمبدأ الصيرورة؛ أي أن أصل العالم من النار، ومنها تكونت بقية العناصر، واللوغوس هو الذي يسير العالم. انظر فيصل عباس، موسوعة الفلاسفة، ط1، دار الفكر العربي، بيروت 1996م، ص(20، 21).

[4] – نسبة إلى المدرسة الرواقية وهي مدرسة فلسفية يونانية انتشرت في القرن الرابع الميلادي، وتركز على الحياة ضمن الطبيعة. انظر روزنتال، ويودين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، ط6، دار الطليعة بيروت 1997م، ص(230).

[5] – فيلون الاسكندري: فيلسوف يهودي(20 ق. م– 40 أو45 م) درس الفلسفة اليونانية القديمة، وكان معاصرا للمسيح، ولم يتعرف عليه، حاول التوفيق ما بين شريعة موسى عليه السلام وفلسفة أفلاطون. انظر معن زيادة، الموسوعة الفلسفية العربية، ط1، معهد الإنماء العربي، بيروت 1997م(3/ 495).

[6] – روزنتال، يودين، الموسوعة الفلسفية، ص(414).

[7] – جنيبر، المسيحية، ص(113).

لليونانيين بصورة تتناسب وموروثهم العقائدي، شأنه في ذلك شان بولس من قبل، ومن الإشارات التي تؤيد ذلك أن هيراقليطس480ق. م الذي يعتبر من أوائل من تحدثوا عن الكلمة أو اللوغوس كان يعيش في نفس المدينة التي يظن بعض النصارى أن إنجيل يوحنا قد كتب فيها، وهي مدينة أفسس، فنجده يوظف الكلمة أو اللوغوس لاستمالة قلوب وأفكار اليونانيين، فلا يشعرون بالانسلاخ من ثقافتهم.

ولم يتوقف استغلال كاتب إنجيل يوحنا لمعاني الكلمة في كل من العهد القديم والفلسفة اليونانية، بل تعدى ذلك واعتمد على ما هو مبثوث في رسائل بولس، وليس ذلك بمستغرب؛ حيث إنه من الثابت أن كتابة رسائل بولس كانت متقدمة على كتابة الأناجيل، وأن تلك النصوص الإنجيلية التي توهم ألوهية المسيح إنما هي بتأثير من رسائل بولس، ومن تلك النصوص ما جاء في الرسالة إلى العبرانيين[اَللهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُق كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ، الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ **][1].

وبناء على ما جاء في إنجيل يوحنا قال النصارى إن المسيح هو الله الذي ظهر متكلما معلنا نفسه، وهو الله المتجسد، وهو شخص دخل التاريخ، وعاش وعمل وصلب ومات ودفن وقام في حقبة معينة[2]، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، ومما استندوا إليه في ذلك ما جاء في إنجيل يوحنا[فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ. هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ**][3] حيث ربطوا ذلك مع ما جاء في المزامير[**بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ

---

[1] – عب[**1**: **1**– **2**].

[2] – نخبة من الأساتذة، قاموس الكتاب المقدس، ص(**785**). والمسكين، الإيمان بالمسيح، ص(**74**). ومنيس عبد النور، ألقاب المسيح، ص(**119**).

[3] – يو[**1**: **1**– **3**].

السَّمَاوَاتُ، وَبِنَسَمَةِ فِيهِ كُلُّ جُنُودِهَا][1]، ليقولوا إن المقصود بالكلمة هو المسيح[2].

ولا بد لنا في هذا المقام من وقفة مع استدلال النصارى بإطلاق اسم الكلمة على أقنوم الابن، والقول بألوهية المسيح، وذلك من خلال العودة إلى معنى الكلمة في العهد القديم عموما، وفي المزامير على وجه الخصوص، حيث إنهم يربطون بين الكلمة في إنجيل يوحنا مع الكلمة التي سبقت الإشارة إليها في المزامير[33:6]، وتأبى الحقيقة إلا أن تظهر من حيث أرادوا إخفاءها، فالكلمة التي جاءت في المزامير[33: 6] جاءت بصيغة[بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ....] وجاء المزمور الثامن والأربعون بعد المائة بمثابة الشارح والموضح لهذه الكلمة فقال:[سَبِّحِيهِ يَا سَمَاءَ السَّمَاوَاتِ، وَيَا أَيَّتُهَا الْمِيَاهُ الَّتِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ. تُسَبِّحِ اسْمَ الرَّبِّ لأَنَّهُ أَمَرَ فَخُلِقَتْ وَثَبَّتَهَا إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ، وَضَعَ لَهَا حَدًّا فَلَنْ تَتَعَدَّاهُ][3] مز[148: 4– 6] فالمقصود بالكلمة أمر من الله سبحانه وتعالى، وهي كلمة التكوين" كن" الواردة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾[4]، وبالتالي فإن ما ذهبوا إليه انتقض من حيث أرادوا إثباته.

ولا بد لنا كذلك من الوقوف عند وجه استدلال النصارى بما هو في إنجيل يوحنا، حيث قالوا: إن هذا الإنجيل استعمل الكلمة بصيغة المذكر للدلالة على يسوع المسيح[5]، فما مدى صحة هذا الاستدلال؟ أقول إن عبارة يوحنا غير متفق عليها عند النصارى، فعبارة يوحنا[وكان الكلمة الله] قد ظهرت في بعض الترجمات بصيغة[والكلمة هو الله] والحقيقة أن الفرق دقيق ما بين الصيغتين، ولكن ما يبنى عليه شيء عظيم، فالمعروف عند النصارى أن الكلمة تطلق دائما على أقنوم الابن، وبناء على الصيغة الأخيرة يمكن القول: وابن الله هو الله، وهذا

---

1 – مز[33: 6].

2 – المسكين، الإيمان بالمسيح، ص(170 وما بعدها).

3 – مز[148: 4– 6].

4 – يس: 82.

5 – نخبة من الأساتذة، قاموس الكتاب المقدس، ص(785).

يصادم نصوصا كثيرة تحدث فيها مسيحهم عن اثنين هما الله والمسيح[1]، أو الآب والابن، ويلغي التمايز بين الأقانيم، وهو الأمر الذي يجمعون على رفضه[2].

وكذلك ظهرت إحدى الترجمات الإنجليزية التي تعامل الكلمة معاملة الشيء غير العاقل، وتعبر عنها بالضمير(It) الذي يستخدم لضمير المفرد الغائب من غير العقلاء، وتظهر هذه الترجمة مقدمة إنجيل يوحنا على شكل ترنيمة، حيث يقرأ شخص المقاطع الفردية، ويجيب عليه آخر بقراءة المقاطع الزوجية، وعلى هذا فالكلمة لفظة إلهية يتم بها الخلق والإيجاد[3].

وأخيرا ظهرت بعض الترجمات بصيغة جديدة وهي[وكان الكلمة مثل الله] وعندما يكون شيء مثل الآخر فهذا يقتضي وجود شيئين لا واحدا[4]، وبناء عليه فقد تحصل لدينا أربع صيغ لهذه الفقرة؛ [وكان الكلمة الله]، [والكلمة هو الله]، وثالثة تعامل الكلمة معاملة المفرد غير العاقل، ورابعة[وكان الكلمة مثل الله] وعلى الرغم من تقارب ألفاظ هذه الصيغ إلا أنه ثمة فرق شاسع بين ما يبنى عليها من معان، وكلها صيغ معتمدة لديهم، وكل حزب بما لديهم فرحون.!

ولم يتوقف ضلال القوم عند كتبهم، بل تجدهم يزعمون أن الكلمة أينما وردت فالمقصود بها هو المسيح عليه السلام، وقد عد الإمام الغزالي ذلك من الشبه اللفظية التي يتعلق بها النصارى لإثبات ما ذهبوا إليه من القول بألوهية المسيح، فها هو ذا يقول:- (وإنما مرد ذلك وهم عظيم، وعماية خيلت إليهم أن هذا الاصطلاح الذي ذهبوا إليه يجب أن يكون مرادا لأهل كل شريعة، فلذلك استدلوا على ألوهية عيسى بقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ

---

[1] – أحمد عبد الوهاب، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، ط2، مكتبة وهبة، القاهرة 1408هـ– 1988م، ص(42، 43)

[2] – انظر سابقا مطلب الأقانيم ص(274)، ولاحقا علاقة أقنوم الابن بغيره من الأقانيم.ص(295).

[3] – عبد الوهاب، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، ص(44).

[4] – المرجع نفسه، ص(46).

وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ ﴾[1]، وقد كشف الغزالي هذه الشبهة، وكان ملخص ما ذهب إليه أن لكل شيء سببين؛ أحدهما قريب، والآخر بعيد، والسبب القريب في حال تكون الجنين هو التقاء ماء الرجل بماء المرأة ضمن شروط وظروف مناسبة، وهو السبب العادي لكل مولود، والسبب البعيد هو إرادة الله سبحانه وتعالى، والمشهور بين الناس إضافة الأشياء إلى أسبابها القريبة الظاهرة، حيث يقال عند رؤية الرياض الخضر: انظر إلى صنع المطر، والله هو الصانع الحقيقي، أما لو رؤي نبات نضر على صخرة في ظروف لا تصلح لذلك فيقال: انظر إلى صنع الله، فيصرح بالسبب الحقيقي لفوات السبب العادي[2].

وعليه فلما دل الدليل على عدم وقوع السبب القريب في حق عيسى عليه السلام، أضيف تكوينه إلى السبب البعيد، وهو الكلمة، لأن كل شيء في الحقيقة مخلوق بكلمة الله القائل لكل مخلوق كن فإذا هو كائن، ولما كان الولد يتكون بإلقاء مني أبيه إلى أمه، فقد استعير لفظ الإلقاء للكلمة؛ لأن عيسى عليه السلام إنما خلق بإلقاء الكلمة إلى أمه، وعلى هذا فالإلقاء مجازي)[3].

قلت: الأولى في هذا المقام أن يقال: إنه قد وردت الآيات الصريحة الدالة على بشرية المسيح، وعبوديته لله تعالى دلالة قطعية، ومن هذه الآيات الآية السابقة موضوع النقاش، حيث وصفت المسيح عليه السلام بأنه رسول الله قبل أن تصفه بأنه كلمته، بل إن الآية قد جاءت في مطلعها داعية أهل الكتاب إلى عدم الغلو في الدين، ويندرج تحت ذلك النهي عن الغلو في المسيح عليه السلام، وكذلك جاء في هذه الآية نهي للنصارى عن اعتقاد التثليث، وقد جاء التعبير بصيغة التنكير" ثلاثة" ليشمل جميع مذاهب النصارى في التثليث، وكذلك الحال عندما

---

[1] – النساء: 171.

[2] – أبو حامد الغزالي، الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، ص(165). وانظر، عبدالرحمن الصمادي، موقف أبي حامد الغزالي من عقائد النصارى، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، الأردن2000م، ص(167 وما بعدها). ومن الأمثلة على استدلال النصارى بهذه الآية وغيرها: حبيب سعد، أديان العالم، د. ط، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القــاهرة، د. ت. ن، ص(286)

[3] – الغزالي، الرد الجميل، ص(167). وقد رد على هذه الشبهة كثير من العلماء المسلمين قديما وحديثا أذكر منهم ابن تيميـــة في الجواب الصحيح، ومحمد ملكاوي بشرية المسيح ونبوة محمد.

نفت الآية الولد عن الله تعالى، فقد جاء التعبير بصيغة التنكير" ولد" ليشمل نفي أي نوع من الأولاد عن الله تعالى، فالآية بكل ما فيها شاهدة على بشرية المسيح وعبوديته لله تعالى، ناهية للنصارى عن الغلو فيه، ورفعه من مقام البشرية إلى مقام الألوهية، ومن الآيات الدالة دلالة قطعية على بشرية المسيح قوله تعالى: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[1] ومنها كذلك قوله تعالى على لسان المسيح عليه السلام: ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ ﴾[2].

فهذه آيات متضافرة على بشرية المسيح عليه السلام، ولكنَّه الإطراء والغلو في المسيح عليه السلام [3]، ومن أعرض عن تلك الآيات، واعتمد على آية ظن أن فيها لفظا يوافق هواه فقد نعته القرآن الكريم بزيغ القلب، وابتغاء الفتنة، وذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ .... ﴿٧﴾ ﴾[4].

وإن مما يدعو إلى العجب أن النصارى يستنكرون على اليهود مغالاتهم في التوراة، واعتبارها كلمة الله تعالى، وأن لها فعلا وتأثيرا في الكون، ثم يقعون في نفس ما عابوه على اليهود فيغالون في الكلمة، ويجعلونها ابن الله، الذي خلق به الكون، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على ضلال القوم، وابتعادهم عن المنهج الصواب.

وننتقل إلى اسم آخر من الأسماء التي أطلقها النصارى على أقنوم الابن وهو" صورة الله" وهذا الاسم أثبته الإكويني في خلاصته اللاهوتية، استنادا إلى قول أوغسطينوس في كتاب" الثالوث":(الابن وحده هو صورة

---

[1] – المائدة: 75.

[2] – مريم: 30.

[3] – وهذا ما حدا بالنبي ﷺ أن يخاطب أمته قائلا: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله). البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب واذكر في الكتاب مريم.

[4] – آل عمران: 7.

الآب)[1] ومستندهم في ذلك ما جاء في رسائل بولس، حيث جاء في رسالته إلى أهل كولوسي[الَّذِي هُو صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ][2]، وجاء في رسالته إلى العبرانيين[وَهُو بَهَاءُ مَجْدِهِ، وصورة[3] جَوْهَرِهِ][4]، ويستدل النصارى بهذا الاسم على ألوهية المسيح، والعلاقة التي يزعمونها بين الابن والآب، جاء في قاموس الكتاب المقدس:(سمي" الابن" في الكتاب المقدس" الكلمة" و" صورة الله" و" رسم جوهره" و" بهاء مجده" وكل هذه العبارات توضح معنى كلمة" ابن"[5] . ومرادهم من ذلك أن الابن يتمتع بنفس الخصائص التي للآب، ومن ذلك يخلصون إلى ألوهية المسيح.

قلت لم أر قوما بلغ بهم الضلال من معاندة أبسط أحكام العقل وبديهيات الأمور ما بلغ بالنصارى، فلا يوجد عاقل يقول إن صورة الشيء هي الشيء ذاته، ولم أر قوما تتناقض نصوصهم، وتتعارض إلا ويحاولون حملها على ما يقره العقل الصحيح إلا النصارى فإنهم يذهبون بما يقبله العقل إلى ما لا يقبله، ثم يدعون أن ذلك وحي ليس أمامهم سوى الإيمان به والإذعان له، ومقصودي من ذلك أن كتابهم المقدس يقول إن ربهم قد خلق آدم على صورته[6]، فلماذا لا يعاملون آدم معاملة المسيح فيقولون بألوهيته؟ ليس هذا فحسب بل إن المقدم فيهم، والذين هم تبع له في الزعم أن المسيح هو ابن الله، وأن له ما لله، وأعني بولس قد صرح بأن الرجل العادي صورة الله، فقال[فَإِنَّ الرَّجُلَ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يُغَطِّيَ رَأْسَهُ لِكَوْنِهِ صُورَةَ اللهِ وَمَجْدَهُ. وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَهِيَ مَجْدُ الرَّجُلِ][7]، فقد وصف بولس الرجل بنفس ما وصف به المسيح، فليقولوا إذا إن الرجل هو" الابن" و" الكلمة" وهو الأقنوم الثاني من أقانيمهم المزعومة.

---

[1] – الإكويني، الخلاصة اللاهوتية، ص(430)
[2] – كو[1: 15].
[3] – التعبير" صورة جوهره" في النسخة اليسوعية، بينما هو في الفانديك ونسخ أخرى" رسم جوهره".
[4] – عب[1: 3].
[5] – جيمس أنس، علم اللاهوت النظامي، ص(180).
[6] – تك[1: 27].
[7] – 1كو[11: 7].

وظائف أقنوم الابن

ينسب إلى أقنوم الابن ثلاث وظائف رئيسية، وأول من ذكر هذه الوظائف تحديدا هو يوسابيوس القيصري339م صاحب كتاب" تاريخ الكنيسة" حيث قال عن المسيح:(الذي هو رئيس كهنة الجميع الوحيد، والملك الوحيد على كل خليقته، ونبي الأنبياء الأعظم الوحيد الذي للآب)[1].

وقد عبر صاحب علم اللاهوت النظامي عن ذلك فقال:(باعتبارنا بشرا ساقطين وجهلاء مذنبين ومدنسين وعاجزين– حسب تصوره هو– نحتاج إلى مخلص يكون نبيا يعلمنا، وكاهنا يكفر عن خطايانا ويشفع فينا، وملكا يتسلط علينا ويحمينا)[2].

وأهم هذه الوظائف على الإطلاق هي وظيفة الكاهن الذي يقوم بتكفير الخطايا، ولكن نقف قليلا عند الوظيفتين الأخيرتين، أما وظيفة النبي فالقوم معترفون أن النبي هو من ينقل كلام الله للبشر[3]، وبالتالي فمن بديهيات الأمور أن النبي غير الله تعالى، فالنبي هو المبلغ، والله هو المبلغ عنه، وهذا ما سبب إشكالا للنصارى فها هو ذا الإكويني يقول:(يظهر أن الرسالة لا تجوز على أقنوم الهي لأن المرْسَل أدنى من المُرْسِل، وليس في الأقانيم الإلهية ما هو أدنى من الآخر، فإذا ليس يُرسَل أقنوم من آخر. وأيضا كل ما يُرْسَل فإنه يفارق المرْسِل.... وليس في الأقانيم الإلهية ما يقبل الانفكاك، فإذا ليس يُرسَل أقنوم من آخر. وأيضا كل من يُرسَل فإنه يفارق مكانه، ويتوجه من جديد إلى مكان آخر، وهذا لا يجوز على الأقنوم الإلهي لوجوده في كل مكان، فالرسالة إذا لا تجوز على الأقنوم الإلهي)[4]، وهذه اعتراضات قوية ليس من الناحية العقلية فحسب، بل لها من الأناجيل عامة ومن إنجيل يوحنا ما يؤيدها، ومن ذلك تلك النصوص التي يصرح فيها المسيح بالتفاوت بين الآب والابن[5]، ولكن كيف يجيب الإكويني على هذه الاعتراضات، لقد أجاب عنها بأن حقيقة الرسالة تتضمن أمرين؛ أحدهما نسبة المرُسَل إلى المُرْسِل، وهذه قد تكون بحسب الأمر أو المشورة أو الأصل، والثاني نسبة المرُسَل إلى المرُسَل إليه، إما بأن يوجد

---

[1] – القيصري، تاريخ الكنيسة، ص(21).

[2] – انس، علم اللاهوت النظامي، ص(458).

[3] – انس، علم اللاهوت النظامي، ص(460).

[4] – الإكويني، الخلاصة اللاهوتية، ص(517).

[5] – من ذلك على سبيل المثال [وَكَمَا أَوْصَانِي الآبُ هكَذَا أَفْعَلُ] يو[14: 31]

المرسل على نحو من الأنحاء لم يكن قبل أصلا في ذلك المكان المرسل إليه، أو أن يوجد على حال لم تكن له من قبل، وبالتالي فالرسالة تجوز على الأقنوم بحسب إفادتها من جهة صدور الأصل عن المرسل، وبحسب إفادتها من جهة أخرى حالا جديدة[1]. ومقصوده من هذا الكلام أن يقول إن المقصود بإرسال الآب لأقنوم الابن يقصد به صدور أقنوم الابن من أقنوم الآب، وأن أقنوم الابن أصبح في حال جديدة، وهي حال التجسد بعد أن لم يكن متجسدا.

والحقيقة أن هذا الكلام لا يعدو أن يكون محاولة فاشلة للخروج من ظواهر نصوص الكتاب المقدس من جانب، ومما تعارف عليه الناس من جانب آخر من التفريق ما بين المرسل والرسول، والأسلوب الذي اتبعه الرجل هو صرف اللفظ عن ظاهره دون قرينة دالة على عدم إرادة الظاهر، بل إن القرينة العقلية في هذا المقام دالة على أن الظاهر هو المراد، فلا ينبغي تأويل النص دون حاجة إلى ذلك، لكن مذهب النصارى دائما على خلاف العقل، فأقنوم الابن عندهم إله ونبي في آن معا، ولا يستقيم ذلك إلا عند من خلع ربقة العقل.

هذا بالنسبة لوظيفة النبي، أما وظيفة الملك فمن المعروف لدى الجميع أن المسيح لم يتسلم المُلك يوما في حياته، بل لقد رفض أن يكون ملكا، وهذا الأمر ثابت في إنجيل يوحنا[وأَمَّا يَسُوعُ فَإِذْ عَلِمَ أَنَّهُمْ مُزْمِعُونَ أَنْ يَأْتُوا وَيَخْتَطِفُوهُ لِيَجْعَلُوهُ مَلِكًا، انْصَرَفَ أَيْضًا إِلَى الْجَبَلِ وَحْدَهُ][2].

ولنعد الآن إلى الوظيفة الأساسية وهي وظيفة الكاهن، ومقصود النصارى من نسبة هذه الوظيفة لأقنوم الابن إعطاؤه الدور الأساسي في عقيدة الفداء التي يعتقدونها، وهذه الوظيفة وظيفة مقدسة حسب العهد القديم، وقد انحصرت بعد موسى عليه السلام في هارون وذريته، فكان كل ذكر من ذرية هارون كاهنا بشرط أن لا يكون فيه أي عيب أو تشويه جسدي، وكانت واجبات الكهنة تتمثل في تقديم الذبائح، والخدمة في الاحتفالات وكافة شؤون العبادة[3]، وكان يتوجب على الكاهن المحافظة على طهارته خارجيا وداخليا، حيث إن وظيفته كانت

---

1 – الإكويني، الخلاصة اللاهوتية، ص(517، 518)

2 – يو[6: 15].

3 – نخبة من الأساتذة، قاموس الكتاب المقدس، ص(791).

التقرب إلى الله بالنيابة عن الشعب[1]، وكان للكهنة رئيس يعرف بالكاهن الأعظم، وهو الوحيد الذي كان يسمح له بالدخول إلى قدس الأقداس[2] مرة واحدة في السنة في يوم الكفارة[3]. ولما جاء بولس أطلق على المسيح لقب رئيس الكهنة[4].

وعلى الرغم من أن فداء البشر وتخليصهم من الخطيئة قرار صادر عن إله النصارى إلا أن لكل أقنوم من الأقانيم نصيب في ذلك العمل، حيث سبقت الإشارة إلى أن تميز الأقانيم عن بعضها يظهر من خلال الأعمال الخارجية، فالآب خلق العالم بواسطة الابن، وفوض إليه عمل الفداء، وقلده السلطان المطلق ليحكم، ثم أخيرا يدين العالم، وكما أرسل الابن لعمل الفداء أرسل الروح القدس أيضا ليجدد قلوب البشر ويقدسها ويرشدها[5].

لكن كيف قام الابن بهذا العمل العظيم؟ وأعني به فداء البشر، لقد قام به من خلال التجسد، والموت مصلوبا بلا ذنب؛ تكفيرا عن تلك الخطيئة التي توارثها البشر عن أبيهم آدم على ما يزعمون، والتجسد ركن من أركان العقيدة النصرانية، ويقصدون به اتخاذ أقنوم الابن جسدا بشريا، وقد جعل بعضهم التجسد والاتحاد بنفس المعنى، يقول عوض سمعان:(وقد أطلق علماء المسيحيين على اتحاد اللاهوت بالناسوت اسم التجسد)[6]، بينما يذهب يوحنا الدمشقي إلى أن الاتحاد شيء، والتجسد شيء آخر، والفرق بينهما أن الاتحاد يدل على الارتباط وحده، بينما يدل التجسد على الارتباط بجسد أو بإنسان[7].

قلت: يبدو رأي الدمشقي هو الأقرب إلى الصحة في التعبير عن مذهبهم، فالتجسد يدل على ارتباط

---

1 – نفس المرجع، ص(793).

2 – هو أقدس الأماكن في هيكل اليهود المزعوم، وهو عبارة عن مكعب حجري، كان يضم تابوت العهد، وكان اليهود يعتقدون أن الشخيناه تسكن في هذا التابوت، وكان يدخله الكاهن الأكبر في يوم الغفران ليتفوه باسم الإله الذي لا يستطيع أي أحد أن يتفوه به في أي زمان أو مكان. انظر المسيري، موسوعة اليهود واليهودية(4/ 165).

3 – نفس المرجع، ص(794). ويوم الكفارة هو يوم عيد الغفران عند اليهود، وهو أهم أيام السنة المقدسة عندهم، ويقع في اليـــوم العاشر من أول شهور السنة اليهودية، والذي يقابل شهر أكتوبر في التقويم الميلادي، وبحسب التراث اليهودي فهذا اليوم هو اليوم الذي نزل فيه موسى عليه السلام من سيناء للمرة الثانية، ومعه لوحا الشريعة، حيث أعلن أن الله غفر لهم خطيئتهم بعبادة العجل. انظر المسيري، موسوعة اليهود واليهودية(5/ 265).

4 – انظر ما جاء في رسالته إلى العبرانيين [4: 14] و[7: 26] و[9: 11].

5 – انس، علم اللاهوت النظامي، ص(178).

6 – عوض سمعان، الله في المسيحية، د. ط، الكنيسة الإنجيلية، مصر، د. ت. ن، ص(322).

7 – الدمشقي، المئة مقالة، ص(170).

أقنوم الابن بجسد بشري، بينما الاتحاد فيطلق على طريقة اقتران اللاهوت بالناسوت في ذلك الجسد الذي اتخذه أقنوم الابن، وهي المسألة التي حدثت وما زالت تحدث فيها الاختلافات والانشقاقات بين النصارى، وقد رأينا عند الحديث عن المجامع النصرانية، وعند الحديث عن فرق النصارى كيف لعبت هذه المسألة دورا حاسما في انعقاد المجامع المسكونية، كما لعبت دورا حاسما في ظهور أشهر فرق النصارى(الملكية، النساطرة واليعاقبة)، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على تهافت هذه العقيدة، بل وتهافت هذه الديانة من جميع جوانبها.

إذا فقد قام أقنوم الابن بإتمام عمل الفداء من خلال اتخاذه جسدا بشريا، حيث دخل إلى رحم امرأة وولد منها كما يولد جميع البشر، ثم عاش حياة بشرية خالصة، ولكن دون أن يرتكب الذنوب، ثم مات مصلوبا دون جرم ارتكبه، ليكون موته ذلك تكفيرا عن تلك الخطيئة، ودفن وقام بعد ذلك من قبره، ليعود إلى أقنوم الآب الذي أرسله ويجلس عن يمينه على حد تعبير النصارى.

قلت: هذه العقيدة مبنية على اعتقاد النصارى أن البشر قد توارثوا الخطيئة عن أبيهم آدم عليه السلام، وهي عقيدة ثبت بطلانها عقلا ونقلا، وما بني على باطل فهو باطل، ثم إذا ما سلمنا معهم بتوارث الخطيئة جدلا، فإن عقيدة التجسد لا تسلم من اعتراضات تهدمها من أساسها، فنقول لهم: إنكم تقولون: إن إلهكم جوهر واحد، وأقانيم ثلاثة، وهذه الأقانيم لا تنفصل بحال من الأحوال، وتقولون كذلك بأن الذي قام بدور التجسد هو أقنوم الابن دون الأقنومين الآخرين، ومعروف أن التجسد كان عبارة عن نزول ذلك الأقنوم إلى هذا العالم، ودخوله في بطن امرأة من البشر، وولادته منها، إلى غير ذلك من مراحل الحياة البشرية، والسؤال: كيف يكون أقنوم الابن غير منفصل عن الأقنومين الآخرين، ويكون في الوقت نفسه في بطن تلك المرأة التي حبلت به دونهما؟ فإما أن يأتونا بنص يثبت ذلك، وإما بدليل من المعقول، وليس لهم إلى ذلك سبيل.

ثم هذا التجسد أهو أزلي أم حادث؟ فإن قالوا أزلي فقد كذبوا أناجيلهم، وإن قالوا حادث فقد جعلوا ربهم محلا للحوادث، وما كان محلا للحوادث فهو حادث، والحادث لا يكون إلها بحال من الأحوال.

ويقال لهم: هل كان في قدرة إلهكم فداء البشرية بطريق أخرى غير التجسد؟ فإن قالوا لا، فقد سلبوه صفة من صفاته وهي القدرة، ومن كان مسلوب القدرة لا يصح أن يكون إلها، وإن قالوا نعم كان يستطيع، يقال

لهم: فلم لم يفعل ذلك؟ ولا بد أن يكون جوابهم: أنه هو الإله، وله أن يفعل ما يريد؟ فنقول لهم: فكيف عرفتم ذلك؟ أعرفتموه بالعقل، أم بالنقل؟ ولا أظنهم يقولون بالعقل، فلا سبيل لهم إلى ذلك، بل هم مصرحون بأن التجسد شأنه شأن غيره من العقائد النصرانية التي عبروا عنها بالأسرار كناية عن عدم إدراكها عقلا، فلم يبق لهم إلا النقل، وليس لهم في ذلك إلا نصوص تعسفوا في صرفها عن ظاهرها، وتأويلها حسب ما ورثوه عن آبائهم، بل إن في كتابهم المقدس نصوصا كثيرة دالة وبشكل صريح أن الخلاص من الخطيئة يكون بالتوبة والرجوع إلى الله تعالى[1]، لا بالإساءة إليه بوصفه بنقائص الصفات والأفعال.

ولو أراد المرء الاستطراد في إبطال هذا المعتقد لسود في ذلك صفحات كثيرة لا يتسع لها مثل هذا المقام، وأختم هذا المبحث بنص من إنجيلي متى ولوقا، يبين المسيح فيه الطريق الصحيح للخلاص، والفوز بالحياة الأبدية، فقد جاء في هذين الإنجيلين[وَإِذَا وَاحِدٌ تَقَدَّمَ وَقَالَ لَهُ:«أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، أَيَّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لِتَكُونَ لِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ؟ » فَقَالَ لَهُ:«لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُو اللهُ. وَلكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا.«قَالَ لَهُ:«أَيَّةَ الْوَصَايَا؟» فَقَالَ يَسُوعُ:«لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَزْنِ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ».][2].

فلم يقل المسيح لمن سأل عن الخلاص يجب عليك أن تؤمن بالخطيئة الموروثة، وبالأقانيم، وبالتجسد، وبالصلب والفداء، وإنما كانت إجابته واضحة سهلة تناسب عقل الإنسان وفطرته، وهي الالتزام بشرع الله تعالى،

---

[1] – انظر على سبيل المثال ما جاء في هوشع[ارْجِعْ يَا إِسْرَائِيلُ إِلَى الرَّبِّ إِلهِكَ، لأَنَّكَ قَدْ تَعَثَّرْتَ بِإِثْمِكَ] هو[**14**: **1**] وما جاء في حزقيال[اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ. اَلابْنُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ، وَالأَبُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الابْنِ. بِرُّ الْبَارِّ عَلَيْهِ يَكُـــونُ، وَشَرُّ الشِّرِّيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ. فَإِذَا رَجَعَ الشِّرِّيرُ عَنْ جَمِيعِ خَطَايَاهُ الَّتِي فَعَلَهَا وَحَفِظَ كُلَّ فَرَائِضِي وَفَعَلَ حَقًّا وَعَدْلاً فَحَيَاةً يَحْيَا. لاَ يَمُوتُ.] حز[**18**: **20**، **21**] وما جاء في ميخا[بِمَ أَتَقَدَّمُ إِلَى الرَّبِّ وَأَنْحَنِي لِلإِلهِ الْعَلِيِّ؟ هَلْ أَتَقَدَّمُ بِمُحْرَقَاتٍ، بِعُجُولٍ أَبْنَاءِ سَنَةٍ؟هَلْ يُسَرُّ الرَّبُّ بِأُلُوفِ الْكِبَاشِ، بِرِبَوَاتِ أَنْهَارِ زَيْتٍ؟ هَلْ أُعْطِي بِكْرِي عَنْ مَعْصِيَتِي، ثَمَرَةَ جَسَدِي عَنْ خَطِيَّةِ نَفْسِي؟ قَدْ أَخْبَرَكَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا هُوَ صَالِحٌ، وَمَاذَا يَطْلُبُهُ مِنْكَ الرَّبُّ، إِلاَّ أَنْ تَصْنَعَ الْحَقَّ وَتُحِبَّ الرَّحْمَةَ، وَتَسْلُكَ مُتَوَاضِعًا مَعَ إِلهِكَ.**]** مي[**6**: **6**– **8**]. وانظر أيضا مز[**51**: **16**، **17**] وإر[**7**: **22**]

[2] – مت[**19**: **16**– **19**]. ولو[**18**: **18**– **20**].

الذي نزل على موسى، وجاء المسيح مطبقا لا ناقضا له.

بقي أن نشير إلى أن النصارى ينسبون إلى أقنوم الابن بعض الوظائف الأخرى، ومنها أن الآب قد خلق المخلوقات بواسطة الابن، بوصفه الكلمة، وقد بينت سابقا أن الكلمة التي خلق الله بها كل شيء إنما هي كلمة التكوين" كن" وليست واسطة بين الله ومخلوقاته، وما حديث النصارى عن ذلك إلا تأثرا بما هو موجود عند من سبقهم من الفلاسفة.

ومن تلك الوظائف أنه سيدين الناس في العالم القادم، ومن المعروف أن الإدانة هي الحساب، فما بال هذا الإله يضحي بابنه الوحيد لخلاص البشرية، ثم يكلفه بإدانتها؟ أليس هذا هو التناقض بعينه؟ ثم إذا كانوا يقولون إن الابن هو الذي سيدين الناس في العالم القادم انطلاقا من ألوهيته، فليقولوا بألوهية تلاميذه، حيث إنه قد أشركهم في نفس العمل أيضا، فقد جاء في إنجيل متى[فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الَّذِينَ تَبِعْتُمُونِي، فِي التَّجْدِيدِ، مَتَى جَلَسَ ابْنُ الإِنْسَانِ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ، تَجْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيًّا تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الاثْنَيْ عَشَرَ.**]**[1]، فقد ساواهم في هذا النص بنفسه، فكما له كرسي يجلس عليه، فلهم كذلك، ومثلما أنه سيدين الناس، فسيقومون بإدانة أسباط بني إسرائيل، فلم نر له ميزة بهذه الإدانة مما يدل على أنهم– مع التسليم جدلا بصحة هذا النص– قد صرفوه عن معناه الحقيقي.**

---

[1] – مت[19: 28].

علاقة أقنوم الابن بغيره من الأقانيم

يرى النصارى أن أقانيم إلههم وعلى الرغم من وحدتها الجوهرية إلا أنها متمايزة فيما بينها، ولكل منها ما يميزه عن غيره، ولهم في ذلك كلام يجعلهم يدورون في دائرة معاندة العقل، والاستخفاف بكل أحكامه، فيقولون إن الآب يتميز بالأبوة، والابن بالبنوة، وروح القدس بالانبثاق. ثم يقولون إن الأبوة والبنوة والانبثاق أسرار لا يمكن توضيحها، بل إن رهبانهم الذين صاغوا لهم هذه العقائد لا يستطيعون تفسيرها، فقد جاء في علم اللاهوت النظامي: إن المجامع قد اكتفت بذكر هذه التميزات ولم تفسرها[1].

وقد صيغت العلاقة بين الأقانيم من خلال قوانين الإيمان التي وضعوها في مجامعهم المختلفة، فحددوا من خلال مجمع نيقية علاقة الابن بالآب، حيث كان هاجسهم في ذلك المجمع إثبات لاهوت المسيح، فاستقر رأيهم على التعبير عن علاقته بالله بالولادة، ولما كانت الكلمة لا تخدمهم فقد أكدوا على نفي الخلق عنه فقالوا مولود غير مخلوق[2].

ولم تكن علاقة الروح القدس بكل من الآب والابن على بال أحد في المجمع المسكوني الأول، وكل ما ذكر في قانون ذلك المجمع هو الإيمان بالروح القدس، ودون التطرق لألوهيته، وقد قرروا ألوهيته في المجمع المسكوني الثاني" القسطنطيني الأول" كرد على ما ذهب إليه مكدونيوس، وأما عن علاقته بكل من الآب والابن فقد جاء في قانون ذلك المجمع التعبير عنها بالانبثاق، ولكن من الآب دون الابن، فقد جاء فيه:(ونؤمن بالروح القدس، الرب المحيي، المنبثق من الآب، الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجد)[3]. وبقي الأمر على تلك الحال حتى حدث الانشقاق الفعلي ما بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية، فذهبت الكنيسة الغربية إلى أن الروح القدس منبثق من الآب والابن معا، فيما ظلت الكنيسة الشرقية على الرأي الأول، وهو انبثاق الروح القدس من الآب دون الابن.

ويرى صاحب علم اللاهوت النظامي أن العلاقة بين الأقانيم تنحصر في ثلاث كلمات؛ هي المساواة

---

[1] – جيمس أنس، علم اللاهوت النظامي، ص(**179**).

[2] – انظر قانون الإيمان الذي صاغوه في مجمع نيقية في: كساب، مجموع الشرع الكنسي، ص(**43** وما بعدها) وجيمس انس، علم اللاهوت النظامي، ص(**98** وما بعدها)

[3] – كساب، مجموع الشرع الكنسي، ص(**246**) وجيمس انس، علم اللاهوت النظامي، ص(**100**)

بينهم، والتميز، والشركة. أما المساواة فالأقانيم الثلاثة جوهر واحد، وذلك الجوهر كما هو للكل هو لكل منهم. أما التميز فكل أقنوم متميز عن الآخر في أقنوميته دون جوهره، فالأقانيم ليست ثلاثة آلهة– على ما يدعون– وليست تجليات مختلفة لإله واحد، ويظهر هذا التمايز من خلال العلاقات الداخلية– الأبوة، البنوة والانبثاق، ومن خلال الأعمال الخارجية. وأما الشركة فالأقانيم الثلاثة مشتركون في الجوهر الواحد وفي كل صفاته، فكل واحد من الأقانيم مشترك مع غيره فيما يستحقه من العبادة[1].

أقول وهذا كلام فيه من التخبط والتضليل ما فيه، فمن المعروف أن الجوهر ما قام بنفسه، وأن الأقنوم في الأصل كلمة يونانية معناها ما تحت القائم، وبالتالي فجوهر إلههم شيء، وأقانيمه شيء آخر، وهذا ما أقره الإكويني بقوله:(والله فيه ذات واحدة، وأقانيم ثلاثة......... فإذا ليست الذات فيه عين الأقنوم)[2] والسؤال الذي يوجه إليهم حول أقانيمهم: هل هي قائمة بذاتها، أم قائمة بذلك الجوهر؟ فإن كانت قائمة بذاتها فهي جواهر متعددة، وبالتالي فليقولوا إن إلههم مكون من أربعة جواهر[3]، لا من ثلاثة أقانيم، وإن كانت قائمة بالجوهر فهي أعراض، ولا ينبغي لهم حصرها في ثلاثة، هذا من جانب، ومن جانب آخر فالأعراض حوادث، وما قامت به الحوادث فهو حادث، ولا مفر لهم إلا معاندة العقل، وتقليد الآباء، واستدلال بنصوص لا ترقى إلى مرتبة ظني الدلالة، فضلا عن ظنية ثبوتها بل عدمه.

ولنرجع إلى موضوعنا الأساسي وهو علاقة أقنوم الابن بغيره من الأقانيم، وقد تقدم أن التميز بين الأقانيم يظهر في علاقاتها الداخلية، وهو من الأسرار التي لا يستطيعون توضيحها لأحد فضلا عن فهما، ويظهر كذلك في الأعمال الخارجية، فما هي هذه الأعمال الخارجية التي تتمايز فيها الأقانيم عن بعضها؟ وهذا السؤال هو ما سيقودنا للحديث عن وظائف أقنوم الابن وأعماله.

---

[1] – انس، علم اللاهوت النظامي، ص(**178**).

[2] – الإكويني، الخلاصة اللاهوتية، ص(**457**).

3 – محمد بن الطيب الباقلاني، تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، ط**1**، دار الكتب العلمية، بيروت **2005**م– **1426**هـ، ص(**55**)

المطلب الرابع: الجذور الوثنية لعقيدة البنوة عند النصارى

لقد أصبح تسرب العقائد الوثنية إلى الديانة النصرانية مسلمة لا يستطيع كائن من كان أن يضع رأسه في التراب متجاهلا إياها، ليس هذا فحسب، بل ثمة من يقول إنه لا يمكننا فهم المسيحية بدون معرفة الجذور الوثنية لها[1]، ونتيجة لعدم قدرة النصارى على التخلص من الآثار الوثنية، فلقد لجأ بعضهم إلى تأويلات جعلتهم محلا لسخرية الساخرين، كالقول إن الوثنية المشابهة للمسيحية، وبعبارة أصح الوثنيات التي تشبهها المسيحية هي اختراع جهنمي لتشويه صورة المسيحية، ولما كانت تلك الوثنيات متقدمة في الزمان على المسيحية فقد قالوا إن الشيطان قد اخترعها مسبقا من باب الحيطة والحذر[2].

وكما سيأتي عند الحديث عن آثار عقيدة البنوة عند النصارى فإن إدخال تلك العقائد الوثنية إلى النصرانية غالبا ما كان يتم عن وعي من الكنيسة وذلك بهدف جلب أتباع من غير اليهود إلى لتلك الديانة، وإذا ما ذهبنا نتلمس جوانب التشابه والمماثلة بين عقيد البنوة عند النصارى وعقيدة البنوة عند أصحاب الديانات الوثنية فسنجد التشابه كبيرا، حتى ليكاد يكون في غالب الأحيان نسخة طبق الأصل، وعلى الرغم من أن جميع العقائد النصرانية مرتبطة بالمسيح" ابن الله" أو أقنوم" الابن" على الرغم من ذلك لن أتتبع جميع المظاهر الوثنية في الديانة النصرانية فذلك بحث يطول، ولا متسع له هنا، ولكني بدلا من ذلك سأحاول التركيز على عقيدة البنوة بشكل أساسي.

لقد لاحظنا عند تناولنا عقيدة البنوة في الديانات الوثنية أن فكرة" ابن الإله" كانت فكرة أساسية فيها، وغالبا ما كان ينظر إلى هذا الابن على أنه مخلص البشر، وبالتالي فقد كان يجمع ما بين الطبيعتين البشرية والإلهية، وكان كذلك يتحمل العذاب والموت لتنفيذ تلك المهمة، وهي نفس الصورة التي أسبغها النصارى على المسيح الذي جعلوه ابنا لله تعالى.

تبدو الديانة المصرية القديمة من أشد الديانات تأثيرا في النصرانية، فالثالوث المصري، وعلى الرغم من

---

[1] – نايتون، الأصول الوثنية للمسيحية، ص(**20**).

[2] – وقد ذهب إلى هذا الرأي أحد أشهر آباء الكنيسة وهو جوستين الشهيد. نايتون، الأصـــول الوثنيـــة للمـــسيحية، ص(**26**). وباسوك، المسيحية وأساطير التجسد، ص(**16**).

الاختلاف بينه وبين الثالوث النصراني[1]، إلا أنه كان ينظر إليه على أنه وحدة واحدة، ولكن أفراده متمايزون، وهذه هي حقيقة الأقانيم عند النصارى، وإيزيس كانت تعبد على أنها والدة الإله، وهذه قضية شغلت النصارى ردحا طويلا من الزمن، وهي الفكرة التي رفضها نسطوريوس، مما حدا بالنصارى إلى عقد المجمع المسكوني الثالث" أفسس الأول" لتقرير تلك العقيدة، بل إن تلك الصور التي يرسمها النصارى لمريم وهي تحمل ابنها تكاد تكون نفس الصور التي رسمها المصريون قديما لإيزيس وهي تحمل ابنها.

وتظهر في الأسطورة المصرية صورة الإله الذي انتصر على الموت، وهو عين ما قام به أقنوم الابن عند النصارى، والابن في الثالوث المصري" حورس" قد جمع ما بين البشرية والإلهية في الوقت نفسه، وهو عين تصور النصارى لشخص مسيحهم.

أما اخناتون فقد كان يرى نفسه الابن الوحيد للإله، وهي الفكرة عينها التي يستند إليها النصارى في القول بألوهية المسيح عليه السلام، ويحاولون الخروج بها من اعتراض معترض يقول: ثمة شخصيات كثيرة وصفت في الكتاب المقدس بأنه" ابن الله" فما بالكم تؤلهون المسيح دون غيره من تلك الشخصيات؟ فيقولون إن المسيح قد وصف بأنه الابن الوحيد[2].

ليس هذا فحسب بل إن اخناتون كان يدعي أنه لا أحد يعرف حقيقة الإله إلا الابن الوحيد اخناتون، وهي نفس العبارة التي تكررت في كل من متى[11: 24] ولوقا[10: 22] [وَلاَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الآبَ إِلاَّ الابْنُ].

وإذا ما انتقلنا إلى الديانة الفارسية فسنجد العجب العجاب، فزرادشت كان ينظر إليه على أنه روح الله التي نزلت إلى الأرض، واتخذت جسدا بشريا، وهو عين ما يعتقده النصارى في أقنوم الابن" التجسد"، وفي الديانة الزرادشتية نفس فكرة الأقانيم النصرانية مع اختلاف في العدد.

أما عبادة ميثرا فلقد كان تأثيرها في النصرانية واضحا وضوح الشمس، بل تكاد النصرانية تكون صورة طبق الأصل عن عبادة ميثرا، فميثرا كان يعبد على أنه رب الشمس وإله النور، وقد اعتمد النصارى على نفس

---

[1] – تم استبدال شخصية الزوجة إيزيس في الثالوث المصري، بأقنوم الروح القدس عند النصارى.

[2] – تم تناول هذه القضية بشكل مفصل في موضع سابق من هذا البحث. انظر سابقا، ص(258).

الفكرة في القول بتأليه المسيح، حيث تصفه الأناجيل بأنه نور العالم[1]، وميثرا هو الوسيط بين الإله والناس، وهو الذي جاء لخلاص البشرية، وهو الذي سينظر في أرواح الناس، ويحاسبهم على أعمالهم، وهي تصورات أسقطها النصارى كما هي على مسيحهم دون أدنى تغيير، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل إن يوم الشمس" الأحد" كان يوما مقدسا بالنسبة لعبادة ميثرا، وكذلك هو عند النصارى، ويوم الخامس والعشرين من ديسمبر هو يوم ولادة ميثرا، ويوم قيامته وصعوده، ومن نافلة القول الحديث عن هذا اليوم عند النصارى، بل ثمة طقوس في عبادة ميثرا كالتعميد، والعشاء الرباني، أو العشاء المقدس، تم نقلها كما هي إلى الديانة النصرانية.

ويمكن تفسير ذلك التأثير من خلال مجموعة من العوامل:

أولها: أن عبادة ميثرا قد اتخذت من آسيا الوسطى مركزا لانطلاقها نحو الإمبراطورية الرومانية، فامتدت إلى سواحل البحر المتوسط، وإلى مدينة طرسوس، تلك المدينة التي ولد فيها بولس المؤسس الحقيقي للنصرانية.

ثانيها: أن كثيرا من الجنود الرومانيين كانوا قد اعتنقوا هذه الديانة نتيجة إعجابهم الشديد بشخصية ميثرا.

ثالثها: أن الإمبراطور قسطنطين كان معتنقا لهذا الدين قبل تحوله إلى النصرانية[2]، وبعبارة أصح قبل أن يحول النصرانية إلى دين يوافق هواه، وموروثه العقائدي.

أما بالنسبة للديانة الهندية فأقانيم النصارى نسخة طبق الأصل عن أقانيم الهنود، فأقنوم الابن هو الذي تجسد في كل من الثالوثين، والتطابق حاصل بنسبة كبيرة ما بين الشخصين اللذين كانا محلا للتجسد، وهما كرشنا ويسوع، وقد عقد الإمام أبو زهرة مقارنة بين الاثنين، وكانت النتيجة تطابقا تاما بينهما[3]، ولن يكون ذلك بحال من الأحوال بطريق المصادفة.

ولم يبق لنا إلا التوقف مع الديانتين اليونانية، ووريثتها الرومانية، فقد كانت عقيدة" ابن الإله" عقيدة رئيسية في تلك الديانتين، وكان ينظر إلى الملوك والأباطرة أنهم أبناء الآلهة، والأبطال بدورهم كانوا يقومون بدور

---

1 – المسكين، الإيمان بالمسيح، ص(161).

2 – ابن قرناس، مسيحية بولس وقسطنطين، ط1، منشورات الجمل، ألمانيا، 2008م، ص(143).

3 – أبو زهرة، مقارنة الأديان، ص(32– 42).

الوسيط والمخلص، وحتى يتمكنوا من القيام بذلك الدور كان لا بد من أن يجتمع فيهم كل من العنصرين الإلهي والبشري، وهي نفس فكرة النصارى عن المخلص.

وقد كان للديانات السرية التي انتشرت في الإمبراطورية الرومانية بالغ الأثر في دخول العقائد الوثنية إلى الديانة النصرانية، حيث كانت تقوم تلك الديانات على تصور إله من الآلهة يتعذب ويتجرع الموت في سبيل الخلاص الذي يقدمه للبشرية، وقد كان ذلك الإله ثمرة لذلك الزواج السري المقدس والذي كان يعلن بعده مباشرة عن ميلاد غلام يجمع ما بين الطبيعتين الإلهية والبشرية معا، يكون إلها وابن إله، وهو نفسه تصور النصارى للمسيح، ولعل الهدف الأساسي من تلك الديانات السرية وهو محاولة تغيير العلاقة ما بينهم وبين الله من علاقة قائمة على العبودية إلى علاقة من المحبة والاتحاد، هو ما وظفه بولس بدهاء في النصرانية، واستطاع بذلك أن يقنع أتباعه بأن تلك الأحكام والالتزامات التي طلب الإله من الناس اتباعها في التوراة إنما هي لعنة، وقيود قيدهم بها، ولا بد من تحول العلاقة بينهم وبينه إلى علاقة قائمة على الحب، ويكفي للحصول على الخلاص في هذه العلاقة الجديدة الإيمان بأن ابن الله قد صلب وتعذب ومات تكفيرا عن خطايا البشر.

يقول أندريه نايتون:(وخلاصة القول إننا لا نستطيع- نحن مؤرخي الأديان- إلا أن نعترف بالأصل الوثني لعبارة" ابن الله" كما لا بد لنا من القول إن هذه العبارة قد كان لها تأثير كبير على استقطاب الكثير من الوثنيين في الديانة المسيحية، بل دخل بعضهم في الدين الجديد بسببها)[1]. وتقول الباحثة الكندية براون:(وهذه عقيدة- تعني عقيدة البنوة- مشكوك فيها على أحسن الفروض، لأن" البنوة" تصف شخصا قد خلق، بينما" الإلهية" تصف كائنا أزليا في طبيعته)[2].

---

[1] - نايتون، الأصول الوثنية للمسيحية، ص(40).

[2] - براون، نظرة عن قرب في المسيحية، ص(31).

المبحث الثاني: آثار عقيدة البنوة عند النصارى

المطلب الأول: آثار عقيدة البنوة على تصور النصارى للذات الإلهية.

المطلب الثاني: آثار عقيدة البنوة على الديانة النصرانية.

المطلب الثالث: آثار عقيدة البنوة على النصارى وعلاقتهم بغيرهم.

المطلب الأول: آثار عقيدة البنوة على تصور النصارى للذات الإلهية

لم تتخبط أمة قط في ديانتها تخبط بني إسرائيل عامة، والنصارى خاصة في ديانتهم، فتوحيدهم تثليث، وتثليثهم توحيد، ومقام الألوهية عندهم يترل إلى مقام البشرية، ومقام البشرية عندهم وبمنتهى البساطة يرتفع إلى مقام الألوهية، وقد كان لعقيدة البنوة عند النصارى أكبر الأثر في هذا التخبط، وذلك أن ديانة القوم في أصلها توحيد خالص، ولكن في فترات ضعفها، وتحت مكر أعدائها فقد اقتحمتها المعتقدات الوثنية، وأفسدت صفاءها، ومع مرور الزمن، والابتعاد عن عهد التوحيد الصافي، ظهرت أجيال أخذت من هذا الدين اسمه دون حقيقته، وتصورت أن تلك المعتقدات– وعلى الرغم من وثنيتها– من أصل هذا الدين، فلم يستطيعوا التخلي عنها، وفي الوقت نفسه حاول القوم التمسك بالتوحيد، ولكن هيهات هيهات، فمن ذا الذي يجمع ما بين النقيضين؟ وهذا المطمع العسير، بل والمستحيل هو الذي جعل القوم يتخبطون ذلك التخبط، حتى وجدوا أنفسهم يصادمون أبسط بديهيات العقول، ففروا من ذلك إلى ادعاء أن ذلك الدين الذي ارتضوه لأنفسهم هو الذي جاءهم من السماء، فليس لهم إلا الإيمان والتسليم، وعولوا في ذلك على نصوص صحيحها مفقود، وصريحها شاهد على عكس ما يريدون، وأول تلك الأمور التي وقع التخبط فيها تصورهم للذات الإلهية؛ فما بين تجسيد هذه الذات، وإنزالها من علياءها، إلى وصفها بالإهانة، وتجرعها كأس الموت في ظلال اللعنة، مرغمة غير راضية، وقد اختصروا مسيرة هذه الذات بقولهم:(من السماء..... إلى المذود...... إلى الجلجثة[1]............. إلى السماء)[2].

أولا: تجسيد الذات الإلهية

يعتبر التجسد من أهم أركان العقيدة النصرانية، إن لم يكن أهمها على الإطلاق، وقد سبق بيان هذا المعتقد، وبيان الأساس الذي بني عليه، وهو القول بالخطيئة والفداء، ولكن ما علاقة عقيدة البنوة بهذا المعتقد؟ والجواب أنه كما أسلفت فقد تم صياغة الديانة النصرانية عبر قرون طويلة على شكل منظومة عقائدية يبنى بعضها على بعض، وذلك أن الإله لما أراد فداء البشرية وتخليصها من تلك الخطيئة فقد فداها بابنه الوحيد، ولما كان هذا الابن يتمتع بكل ما يتمتع به ذلك الإله، بل هو الإله نفسه، فقد قالوا إنه حتى تتم عملية الفداء على أكمل وجه

---

[1] – اسم الموقع الذي يدعي النصارى أن المسيح قد صلب فيه. نخبة من الأساتذة، قاموس الكتاب المقدس، ص(**267**).

[2]– بترسن سميث، حياة يسوع(سيرة المسيح الشعبية)، ترجمة حبيب سعد، ط**3**، دار الثقافة، القاهرة، د. ت. ن، ص(**250**).

فلا بد لذلك الإله من أن يحيا حياة بشرية خالصة، من الحمل إلى الولادة، إلى الموت، وبالطبع فإن ذلك لن يتم بدون جسد بشري، وهو ما حصل حسب تصور النصارى، فقد اتخذ ذلك الإله ذلك الجسد البشري، وعاش حياة حقيقية تعرض فيها لكل ما يتعرض له البشر، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، ولكن ذلك الجسد بقي مع ذلك الإله بعد موته وقيامته، ورجوعه إلى السماء التي نزل منها.

قلت وثمة مفارقة هامة في هذا المقام ما بين اليهود والنصارى، فإن اليهود وعلى الرغم من شناعة مظاهر التجسد التي وصفوا بها إلههم، إلا أنه ظهر من بينهم من يخرج من تلك الشناعات بالتأويل، ولكن النصارى ليسوا كذلك، وإنما هم مصرون على هذه النقيصة، بل ويعتبرونها من أركان دينهم التي لا يقوم إلا بها.

ثانيا: وصف الذات الإلهية بمظاهر الإهانة.

من الطبيعي على من يعيش حياة بشرية في جسد بشري أن يتعرض لكل ما يتعرض له البشر، ولكن النصارى بالغوا في إهانة ربهم مبالغة لا مثيل لها، فانظر إلى ذلك الأقنوم الذي يدعون أن إلههم خلق به الخلق، كيف ضيق عليه النصارى حتى جعلوه في رحم امرأة، ثم لما جاءت ساعة المخاض لم تجد إلا مذودا لتضعه فيه[فَوَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ وَقَمَّطَتْهُ وَأَضْجَعَتْهُ فِي الْمِذْوَدِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَوْضِعٌ فِي الْمَنْزِلِ.][1]. ولم يخجلوا من توجيه الإهانات إليه حتى قالوا في تفسيرهم لهذه الفقرة:(ولد بين البهائم المعدة للذبح، العالم استقبله في مذود وودعه على خشبة الصليب، فهو أتى مستعدا للذبح منذ يوم ولادته)[2]؟!. فأي إله هذا الذي يأتي مستعدا للذبح؟

أما أثناء حياته فقد تبع النصارى اليهود في نسبتهم صفات النقص لذلك الإله، ومنها على سبيل المثال لا الحصر صفتا الجوع والجهل معا، فها هو ذا يجوع يوما فيرى من بعيد شجرة تين عليها ورق، فيأتي لعله يجد فيها شيئا، فلما جاءها لم يجد شيئا سوى الورق، حيث لم يكن ذلك الوقت وقت التين، وهنا يغضب ذلك الإله، ويبدو

---

[1] – لو[2: 7].

[2] – كنيسة السيدة العذراء بالفجالة، تفسير الأناجيل(1)، د. ط، د. م. ن، د. ت، ن، ص(93).

حقده فيلعن تلك الشجرة قائلا:(لا يأكل أحد منك ثمرا بعد إلى الأبد)[1]. أقول: ليس جهلا عاديا ذلك الذي وصفوا به إلههم، وإنما هو جهل مركب؛ فهو لم يعرف أن تلك الشجرة ليس عليها ثمر، حتى جاءها ونظر إليها، والأغرب من ذلك أنه أراد التين في غير موعده، وكأني به ليس من أبناء تلك البلاد التي كانت فيها تلك الشجرة حتى لا يعرف وقت التين، والأغرب من ذلك أن هذا الإله الذي لم يغفر لتلك التينة لخلوها من الثمر، عاد وأمر تلاميذه أن يغفروا لمن كان لهم عليه شيء[2]، فأي إله هذا الذي يلعن من لا ذنب له، بل من لا يدخل في دائرة التكليف إطلاقا، ثم يطلب مغفرة لمن يعتدون على حقوق الناس، لعمري إن هذا لمستقبح من عوام الناس فضلا عن خواصهم، فكيف به صادرا عن إله؟ اللهم إلا إذا كان ذلك الإله صناعة بشر يتصفون بالسذاجة والغباء.

أما عند موت" ابن الله" فلا يعدو الأمر أن يكون إهانات تراكم بعضها فوق بعض، فهذا الابن غير مستجاب الدعوة عند أبيه، حيث إنه توجه بالدعاء إلى ذلك الآب قائلا:[يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ، وَلكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ][3]، ويعني بذلك المصير الذي ينتظره، ولكن ذلك الآب لم يلتفت إلى دعاء ابنه، فأسلمه لمن قاموا بصلبه[4]. بل يبدو في إنجيل لوقا منهار العزيمة أمام هذا المصير الذي ينتظره، الأمر الذي يستدعي ظهور ملاك لرفع معنوياته، ليس هذا فحسب، بل إن هذا الإله لشدة الموقف الذي كان فيه عرق حتى إن عرقه كان كقطرات دم نازلة على الأرض[5].

وتبلغ تلك الإهانة قمتها بعد محاكمة ذلك الإله في المجلس اليهودي، حيث يبصق في وجه ذاك الإله!! ويضرب، ويلطم، وكل ذلك في أجواء يسودها الاستهزاء بذلك الإله الضعيف، ليأتي دور الجنود الرومانيين بعد ذلك، حيث يجردونه من ملابسه، ويلبسونه رداء قرمزيا، ثم يضعون فوق رأسه إكليلا من الشوك، وليبصقوا عليه

---

1 – انظر مر[11: 12– 14].

2 – مر[11: 24].

3 – مت[26: 38].

4 – وفي هذا النص هدم لمعتقد النصارى إلهية عيسى عليه السلام، حيث يميز بين إرادته وإرادة أبيه على ما يدعون.

5 – انظر لو[22: 43– 45].

بدورهم، كما بصق عليه اليهود من قبل، وليصلبوه بعد ذلك[1]، ثم ليقتسموا ملابسه، وأي صلب هذا؟ لقد صلبوه بين لصين، كانا يسخران منه، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل تعدى الأمر إلى المارة حيث كانوا يشتمون هذا المصلوب، ويبدو ضعف هذا" الابن الإلهي" مرة ثانية، فيصرخ مناديا أباه معاتبا له[وَنَحْو السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: «إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» أَيْ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟][2]، ولكن ذلك الآب الذي استند النصارى إلى رحمته بقولهم بعقيدة الفداء التي يزعمونها، قد أصبح من القسوة بمكان تجاهل معه تلك الدعوات اللحوحة من ابنه الوحيد؛ ليجنبه ذلك المصير السيء. ولعل سائلا يسأل: الم يكن بمقدور ذلك الإله أن يخلص البشرية من تلك الخطيئة بطريقة تحفظ عليه كرامته؟ وهذا سؤال نترك جوابه للنصارى.

وكما أشرنا سابقا إلى أن جرأة اليهود على الله تعالى تبعتها جرأة على أنبيائه، نشير في هذا المقام إلى أن النصارى لم يخالفوا اليهود، بل ربما فاقوهم في الإساءة إلى الأنبياء عليهم السلام، ففضلا عن إيمان النصارى بالعهد القديم، وبالتالي قبولهم كل ما جاء فيه من الإساءة إلى الأنبياء، فإن أهم مذاهبهم، وأوسعها انتشارا– وأعني بذلك مذهبي الكاثوليك والأرثوذوكس– يعتقدون بعقيدة المطهر[3]، أو الجحيم بعبارة أخرى، وهو مكان كانت تذهب

---

[1] – لقد نفى القرآن الكريم حادثة الصلب من أساسها في قوله تعـالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ ﴾ النساء: ١٥٧ وقد تناول الكثير من الباحثين هذه الحادثة وفندوها ليس بالاعتماد علـى القـرآن فحسب، وإنما بالاعتماد على نصوص النصارى أنفسهم، ومن أفضل من قام بذلك تقي الدين الجعفري في كتابه، تخجيل مـن حرف التوراة والإنجيل، حيث عنون لهذا الموضوع بقوله: الباب الخامس، في أن المسيح عليه السلام وإن قصد وطلب، فما قتل وما صلب. ولو لم يكن من شأن الصلب إلا التناقض الواضح بين الأناجيل بشأنه لكان كافيا في رفضه وعدم الاعتراف بـه. ومما يستحق الانتباه في هذا المقام ما ذهب إليه ابن القيم في هداية الحيارى من أن اليهود هم شيوخ النصارى في نقل الصلب وأمره، حيث إنه من المعلوم أنه لم يحضرها أحد من النصارى، وإنما كان الحضور من اليهود فقط. انظر هداية الحيـارى، ص(247).

[2] – مت[27: 46].

[3] –. وقد رفضت الكنيسة الإنجيلية هذه العقيدة، وللمزيد حول موقف فرق النصارى المختلفة من هذه العقيدة، انظر: الخـضري، تاريخ الفكر المسيحي، (1/ 365). وجيمس أنس، علم اللاهوت النظامي، ص(646 وما بعدها)، وصبري، المسيحية بـلا

إليه الأرواح قبل مجيء المسيح منتظرة مجيئه، وتقسم الكنيسة الكاثوليكية الجحيم إلى خمسة أقسام[1]، وأولها خاص بآباء العهد القديم- يعني الأنبياء السابقين- حيث كانت أرواحهم تنتظر الخلاص بمجيء المسيح.

ويستند القائلون بهذه العقيدة على مجموعة من نصوص كتابهم المقدس[2]، إضافة إلى مجيئها في قوانين إيمانهم، ابتداء بذلك القانون الذي صاغوه في مجمع نيقية، حيث جاء فيه:(وصلب ومات ودفن ونزل إلى الجحيم)[3].

فانظر إليهم كيف جعلوا أنبياء الله تعالى، وصفوته من خلقه يمكثون في الجحيم، ينتظرون الخلاص الذي سيأتيهم به ابن الله، بعد أن يكون قد صلب ومات ودفن.

رتوش، ص(104 وما بعدها).

[1] – بقية الأقسام هي: لمبوس الأطفال، لمبوس العصاة من أتباع الكنيسة، لمبوس الملائكة الساقطين والـذين لم يؤمنـوا بالمـسيحية، والسماء وهي مكان الأبرار المكملين والملائكة الأطهار. جيمس أنس، علم اللاهوت النظامي، ص(646، 647).

[2] – من هذه النصوص: أع[24: 31]، رو[10: 6]، أف[4: 8- 10]، و1بط[3: 18، 19].

[3] – جيمس أنس علم اللاهوت النظامي، ض(99).

المطلب الثاني: آثار عقيدة البنوة على الديانة النصرانية.

أولا: آثار عقيدة البنوة على النصرانية

لعل من المناسب في هذا المقام أن نشير إلى أن عقيدة البنوة قد لعبت دورا متناقضا في كل من اليهودية والنصرانية، فعقيدة البنوة عند اليهود كان لها أكبر الأثر في بقاء الديانة اليهودية ديانة قومية، حكرا على اليهود، أما في النصرانية فقد كانت هذه العقيدة هي سبب انتشار النصرانية، وخروجها من ذلك النطاق الذي كان ينبغي أن تظل محصورة فيه، وأعني به خراف بني إسرائيل، فما كان لديانة توحيدية خالصة أن تنتشر بتلك السرعة في أرجاء الإمبراطورية الغارقة في الوثنية دون تحول في أخص عقائدها، وهذا ما حدث بالفعل.

وهذا الذي حدث كان تخطيطا واعيا بداية من بولس وحتى استقرار هذه العقيدة في النصرانية على يد أثناسيوس في مجمع نيقية، والذي حصل أن بولس كان كل ما يعنيه في المقام الأول الحصول على أتباع، حتى ولو كان ذلك على حساب هذا الدين الذي يريد من الناس اتباعه، حيث إن اليهود الذين جاء إليهم المسيح عليه السلام على وجه الخصوص رفضوا اتباعه، فتوجه بولس إلى أمة أخرى كانت غارقة في الوثنية فانحرف بالنصرانية تجاه وثنية اليونان، فوجدوا دينا ليس ببعيد عما كانوا يدينون به من عبادة الأوثان وتأليهها، ومن ثم فقد أصبح هذا النهج هو الطريق الذي يضمن لهذا الدين أتباعا ومؤيدين، ولقد أصبح هذا الأمر مشهورا بين الباحثين، ولا ينكره إلا المتعصبون من النصارى.

وقد كانت أولى خطوات بولس وأتباعه في هذا المقام الخروج من النظرة العدوانية التي كانت طابعا مميزا عند اليهود، فنجده قد رفض اعتبار السلالة مرجعا، كما رفض التمييز الذي يبنى عليها، وبالتالي فقد أسس ديانة سهلة البلوغ إلى جميع الأعراق من خلال جعل أساس هذا الدين الإيمان بالمسيح[1]، ابن الله الذي تجسد، وصلب؛ للتكفير عن خطايا البشر.

---

[1] – دانزول، اليهودية والغيرية، ص(40).

وهذا التحول في النظرة إلى الآخر نجده كذلك في أعمال الرسل، والذي من المحتمل أن يكون كاتبه الحقيقي هو بولس نفسه[1]، حيث جاء فيه على لسان بطرس[أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ كَيْفَ هُو مُحَرَّمٌ عَلَى رَجُل يَهُودِيٍّ أَنْ يَلْتَصِقَ بِأَحَدٍ أَجْنَبِيٍّ أو يَأْتِيَ إِلَيْهِ. وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَرَانِي اللهُ أَنْ لاَ أَقُولَ عَنْ إِنْسَانٍ مَا إِنَّهُ دَنِسٌ أو نَجِسٌ.][2].

ومن ثم بدأ التحول في الديانة النصرانية على صعيد المعتقدات، وكان من بدايات ذلك توظيف عبارة" ابن الله" توظيفا يناسب عقائد الناس الذين توجه بولس والكنيسة من بعده بالدعوة إليهم، وقد جاء في كتاب الأصول الوثنية للمسيحية: إن عبارة" ابن الله" كانت سببا في هزيمة الديانة المسيحية بين اليهود الذين اعتبروا هذه العبارة كفرا وتجديفا، بينما كانت سببا في انتشارها بين الوثنيين وعبدة الأصنام، الذين كانوا يعايشون هذه الفكرة منذ فترات سحيقة، وخاصة بين وثنيي البلاد الهلينية[3].

والحقيقة أن هذا الكلام ليس صوابا كله، حيث إنه ينطوي على فكرة مغلوطة يرددها الكثيرون، ومفادها أن عبارة" ابن الله" مرفوضة تماما عند اليهود[4]، وفي رأيي أن هذا وهم دخل إلى أصحاب هذا الرأي مما جاء في إنجيلي متى ومرقس من أن اليهود اعتبروا اعتراف المسيح بأنه قال إنه ابن الله تجديفا، وهي جريمة يستحق صاحبها الموت[5]. ولكن الأمر ليس كما يبدو، فاليهود لم تكن هذه العبارة لتشكل لهم مشكلة لو أن المسيح استجاب إلى مطالبهم، ولم يخرج عن سلطتهم التي كانوا يمارسونها على الناس، فثمة نصوص في الأناجيل تشير إلى أن اليهود كانوا يريدون من المسيح أن يكون ملكا، يقيم لهم دولتهم، يرفع لهم مجدهم، ولكنَّه رفض هذا المنصب،

---

1 – حول هذا الموضوع انظر سابقا نصوص النصارى المقدسة ص(**142**).

2 – أع[**10**: **28**].

3 – أندريه نايتون، الأصول الوثنية للمسيحية، ص(**39**).

4 – يستند شارل جنيبر إلى هذه الفكرة ليستنتج أن المسيح لم يقل عن نفسه إنه" ابن الله" حيث إن ذلك تعبير لم يكن لمثل في الواقع– بالنسبة لليهود– سوى خطأ لغوي فاحش، وضرب من ضروب السفه في الدين. المسيحية نشأتها وتطورها، ص(**39**). وكذلك دانييل باسوك في كتابه المسيحية وأساطير التجسد، ص(**57**) وأندريه نايتون في الأصول الوثنية للمسيحية، ص(**39**).

5 – متى[**26**: **64**– **66**] ومر[**14**: **61**– **64**] ولو[**22**: **70**]

ولم يقبله بل كان يتهرب كلما طلب منه ذلك[1]، كما أن أحبار اليهود كانوا يحاولون التخلص منه بأي طريقة كانت حيث إنه كثيرا ما كان يقرعهم ويوبخهم على أعمالهم السيئة واستغلالهم لعامة الناس، أما رفض اليهود للاستجابة لدعوته عليه السلام فليس بحاجة إلى تعليلات نتلمسها هنا وهناك، فهذا هو ديدن القوم مع جميع أنبياء الله تعالى ورسله، وسيرتهم خير شاهد على ذلك، وقد قص علينا القرآن خبرهم في هذا المقام مبينا أن شأن بني إسرائيل مع رسلهم كان الاستكبار، وقد كان مصير من يرسل إليهم محصورا ما بين التكذيب والقتل: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[2]، وبالتالي فالقول إن اليهود يعتبرون عبارة" ابن الله" تجديفا ليس صحيحا أبدا، بل الصحيح أن هذه الفكرة تعتبر مفهوما أساسيا في المفاهيم الدينية اليهودية، وقد رأينا في الفصل السابق تجذرها في العقائد اليهودية، فاليهود، والشخيناه، والمسيح المنتظر، وعزير، والتوراة كلها أبناء الله في الفكر اليهودي.

ونعود إلى الشق الأول من العبارة التي توقفنا عندها، وأعني به أن عقيدة البنوة كانت سببا في انتشار النصرانية بين الوثنيين، وهو كلام في تمام الصحة، ولنقف مع بعض العبارات التي تشهد لذلك، فقد جاء في كتاب الأصول الوثنية للمسيحية:(إن العنصر الجديد الذي جاءت به– نصرانية بولس– كان شديد الأهمية للفقراء يومها، وهو أن " المخلص الإله كان نصف اله ونصف إنسان، وإنه اختلط بباقي الناس، وتعذب من أجلهم، ثم إنه كان إلها شاملا، ولم يكن إلها محليا قوميا كآلهة الفرس واليونان)[3]، وجاء فيه أيضا:(كما لا بد لنا من القول إن هذه العبارة" ابن الله" قد كان لها تأثير كبير على استقطاب الكثير من الوثنيين إلى الديانة المسيحية، بل دخل بعضهم في الدين الجديد بسببها)[4]، وكذلك فقد جاء فيه بالنسبة إلى الكنيسة:(إن الكنيسة ابتلعت بعض العناصر الوثنية– ومن ضمنها طبعا عقيدة البنوة– لكنَّها أضفت عليها طابعها الخاص، وذلك لاستقطاب ما يمكن استقطابه

---

[1] – انظر يو[6: 15]

[2] – البقرة: 87.

[3] – نايتون، الأصول الوثنية للمسيحية، ص(27).

[4] – المرجع نفسه، ص(40)

من عبدة الأصنام)[1]. قلت حتى عبدة الأصنام قد ظهر من بينهم من يرفض عقيدة النصارى في المسيح، بل اعتبرها مجالا للسخرية والاستهزاء، وقد سجل لنا القرآن الكريم شيئا من ذلك في سورة الزخرف، حيث احتج المشركون على عبادة النصارى للمسيح، واعتبروا أن عبادتهم للأصنام التي تقربهم إلى الله زلفى خير من عبادة النصارى للمسيح: ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨ ﴾[2].

ونجد هذا الرأي يتكرر كذلك في كتاب" نظرة عن قرب إلى المسيحية" حيث تقول مؤلفة الكتاب:(إن بولس أعطى الوثنيين شيئا مشابها في المسيحية: لقد أعطى الألوهية إلى عيسى قائلا بأنه كان ابن الله وأنه هو أيضا مات من أجل خطاياهم. وبعمله هذا فإنه وفق بين تعاليم المسيح وبين الاعتقادات الوثنية حتى يجعل المسيحية أكثر قبولا عند الوثنيين)[3].

كما نجده يتكرر في كتاب بولس وتحريف المسيحية حيث جاء فيه:(ولقد أثر دينه– يعني بولس– على الهلينيين أكثر مما أثر على اليهود الذين حاربوه؛ لأنه كان دينا أقرب إلى مفاهيم الهلينيين)[4]. ولم يكن أثر هذه العقيدة غائبا عن أثناسيوس في مجمع نيقية فكان إعلانه لعقيدة ذلك المجمع يهدف إلى إرضاء المسيحيين الجدد ذوو الأصول الوثنية[5].

وقد أشرت سابقا عند حديثي عن أسماء أقنوم الابن، وعند الحديث عن" الكلمة" تحديدا إلى توظيف كاتب إنجيل يوحنا لمصطلح اللوغوس، ولم يكن من باب المصادفة أن إنجيل يوحنا قد كتب في مدينة أفسس، وهي نفس مدينة الفيلسوف هيراقليطس الذي تحدث عن اللوغوس كوسيط ما بين الله والعالم.

وعليه فقد لعبت عقيدة البنوة الدور الحاسم في انتشار النصرانية في ربوع الإمبراطورية الرومانية التي كانت غارقة في الوثنية، في الوقت الذي عجزت فيه هذه الديانة عن الانتشار بين بني إسرائيل، والذين صرح

---

[1] – المرجع نفسه، ص(**24**).
[2] – الزخرف: **57**، **58**.
[3] – باربارا براون، نظرة عن قرب في المسيحية، ترجمة مناف حسين الياسري، د. ط، د. ن، د. م. ن، د. ت. ن، ص(**23**)
[4] – هيم ماكبي، بولس وتحريف المسيحية، ص(**102**)
[5] – نايتون، الأصول الوثنية للمسيحية، ص(**43**).

الإنجيل بأن المسيح لم يبعث إلا إليهم، حيث جاء في إنجيل متى على لسان المسيح[لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ][1].

ثانيا: آثار عقيدة البنوة على النصوص المقدسة عند النصارى

أشرت سابقا إلى أن بعض النصوص المقدسة عند النصارى كالكثير من رسائل بولس وإنجيل يوحنا قد تمت كتابتها كأدلة على عقائد قد صيغت مسبقا، وأقصد بذلك أن الأصل عند أصحاب الديانات المختلفة أن يتم استخلاص العقائد ومفرداها من النصوص المقدسة لتلك الديانات، ولكن الأمر عند النصارى يختلف كثيرا، فقد تصاغ العقيدة أولا، ثم تكتب النصوص التي يستدلون بها على تلك العقائد.

وقد أثرت عقيدة البنوة عند النصارى على نصوصهم المقدسة تأثيرا كبيرا، بداية من التأويل الفاسد للنصوص، إلى إضافة نصوص لا أصل لها في مخطوطات كتبهم؛ لتكون أدلة على تلك العقائد التي اعتقدوها، وبعبارة أخرى فقد دفع هذا الاعتقاد النصارى إلى الوقوع في كل من التحريف المعنوي، وهو حمل اللفظ على غير معناه الصحيح، والتحريف اللفظي بالزيادة والنقصان، ولم يقتصر هذا التحريف على نصوص العهد الجديد، بل تعداها كذلك إلى نصوص العهد القديم.

لقد حاول النصارى بداية إخضاع الكثير من نصوص العهد القديم، وجعلها نبوءات بمسيحهم الذي وصفوه بأنه" ابن الله" تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وسأكتفي في هذا المقام بأمثلة ثلاثة من العهد القديم للدلالة على ما أقول:

المثال الأول: ما جاء في المزامير[وَجَدْتُ دَاوُدَ عَبْدِي. بِدُهْنِ قُدْسِي مَسَحْتُهُ. الَّذِي تَثْبُتُ يَدِي مَعَهُ. أَيْضًا ذِرَاعِي تُشَدِّدُهُ. لاَ يُرْغِمُهُ عَدُوٌّ، وَابْنُ الإِثْمِ لاَ يُذَلِّلُهُ. وَأَسْحَقُ أَعْدَاءَهُ أَمَامَ وَجْهِهِ، وَأَضْرِبُ مُبْغِضِيهِ. أَمَّا أَمَانَتِي وَرَحْمَتِي فَمَعَهُ، وَبِاسْمِي يَنْتَصِبُ

---

[1] – مت[15: 24].

قَرْنُهُ. وَأَجْعَلُ عَلَى الْبَحْرِ يَدَهُ، وَعَلَى الأَنْهَارِ يَمِينَهُ. هُو يَدْعُونِي: أَبِي أَنْتَ، إِلهِي وَصَخْرَةُ خَلاَصِي.][1] فهذا النص صريح في أن المقصود به هو داود ﷺ، ولكن النصارى يصرون على أن المقصود به هو مسيحهم الذي اتخذوه ربا وإلها[2].

المثال الثاني: ما جاء في سفر صموئيل الثاني[مَتَى كَمُلَتْ أَيَّامُكَ وَاضْطَجَعْتَ مَعَ آبَائِكَ، أُقِيمُ بَعْدَكَ نَسْلَكَ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَحْشَائِكَ وَأُثَبِّتُ مَمْلَكَتَهُ. هُو يَبْنِي بَيْتًا لاسْمِي، وَأَنَا أُثَبِّتُ كُرْسِيَّ مَمْلَكَتِهِ إِلَى الأَبَدِ. أَنَا أَكُونُ لَهُ أَبًا وَهُو يَكُونُ لِيَ ابْنًا. إِنْ تَعَوَّجَ أُؤَدِّبْهُ بِقَضِيبِ النَّاسِ وَبِضَرَبَاتِ بَنِي آدَمَ.][3]، وعلى الرغم من وضوح هذا النص في أن المقصود به بشارة لداود ﷺ بابنه سليمان، إلا أن النصارى كعادتهم يحاولون إسقاط ما فيه على مسيحهم، وذلك على الرغم من اعترافهم بأن المقصود هو سليمان ﷺ، ولكنَّهم بكل بساطة يهمشونه، ويقولون إنه في هذا المقام مجرد رمز لمسيحهم[4].

المثال الثالث: ما جاء في سفر حجي[لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: هِيَ مَرَّةٌ، بَعْدَ قَلِيلٍ، فَأُزَلْزِلُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَالْيَابِسَةَ، وَأُزَلْزِلُ كُلَّ الأُمَمِ. وَيَأْتِي مُشْتَهَى كُلِّ الأُمَمِ، فَأَمْلأُ هذَا الْبَيْتَ مَجْدًا، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ.][5] حيث يقول النصارى إن المقصود بمشتهى

---

1 – مز[89: 20– 26].

2 – أنطونيوس فكري، تفسير سفر المزامير، ص(439).

3 – 2صم[7: 14].

4 – أنطونيوس فكري، تفسير سفر صموئيل الثاني، د. ط، كنيسة السيدة العذراء، القاهرة، د. ت. ن، ص(23).

5 – حج[2: 6، 7].

الأمم هو مسيحهم[1]، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره، فهذا النص إنما هو بشارة ببعثة الرسول محمد ﷺ ، وقد شهد بذلك عبد الأحد داود الذي كان على دين النصارى، فهداه الله للإسلام، فبين أن هذا النص إنما يصدق على سيدنا محمد ﷺ ، لا على غيره[2].

أما بالنسبة للعهد الجديد فسأكتفي في هذا المقام بنقل كلام قالته صاحبة كتاب" نظرة عن قرب في المسيحية" حول موقف النصارى من نصين في إنجيل يوحنا، وهما من أعظم النصوص التي يرى النصارى أنها أدلة على ألوهية" الابن" تقول باربارا براون بعد حديثها عن لجوء النصارى للأسماء التي أطلقت على المسيح للقول بألوهيته: ولو ضربنا صفحا عن الأسماء، فإن طريقة أخرى يستخدمها المسيحيون للبرهان على ألوهية المسيح هي طريقة الترجمة المغلوطة لمختلف النصوص في الكتاب المقدس، ولديهم نصان أثيران يحبون أن يستشهدوا بهما في هذا الصدد:-

النص الأول: نجده في يوحنا[10: 30] يقول عيسى فيه:(أنا وأبي شيء واحد)[3] واستخدام المنطق في هذه الفقرة يوضح المقصود، وهو أن عيسى يتكلم باسم الله، وليس أنه الله، إن عيسى والله لديهما وحدة في الهدف، وليس في الجوهر[4]. بعد ذلك تستشهد الباحثة بفقرات من الأصحاح السابع عشر من إنجيل يوحنا تشهد بصحة التأويل الذي ذهبت إليه، لتقول بعد ذلك:(باختصار، فإن كلام يوحنا 10: 30 ليس تصريحا من عيسى لإثبات ألوهيته، ولكن للتعبير عن اتحاد مع الله في الغاية)[5]. والغريب أن النصارى يعرفون هذا التفسير، ولكنَّهم يصرون على مخالفته، والذهاب في مخالفة العقل، والقول بألوهية المسيح، فها هو وليم باركلي يقدم في شرحه لهذه الفقرة من إنجيل يوحنا ثلاثة اتجاهات لفهم هذه العبارة؛ الأول: أن هذه الوحدة وحدة عمل وقدرة، أي أن المسيح

---

[1] – أنطونيوس فكري، تفسير سفر حجي، د. ط، كنيسة السيدة العذراء، القاهرة، د. ت. ن، ص(9).

[2] – عبد الأحد داود، محمد ﷺ كما ورد في كتب اليهود والنصارى، ص(39 وما بعدها)، وقريب من هذا ما ذهب إليه النصارى حول المسيح الوارد في المزمور الثاني، والحقيقة أن الأوصاف الواردة فيه تصدق على محمد ﷺ، وليس على المسح عليه السلام. انظر: أحمد حجازي السقا، نقد التوراة، ط1، مكتبة النافذة، القاهرة 2005م، ص(388).

[3] – [أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ] يو[10: 30]

[4] – براون، نظرة عن قرب في المسيحية، ص(27).

[5] – المرجع السابق، ص(28).

يشترك مع الله في الأعمال السابقة، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. الثاني: يفسر الوحدة مع الآب برباط المحبة، أي إن هذه الوحدة وحدة صلة ومحبة، وليست وحدة ذات وجوهر. الثالث: وهو الذي يعتبره تفسيرا صحيحا، وهو ما يتفق مع بنود قانون الإيمان المسيحي، وخلاصته أن المسيح واحد مع الله الآب في القدرة والمشيئة والجوهر.[1].

النص الأثير الثاني :الذي يستشهد به المسيحيون هو[اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ][2]، والمسيحي الذي يتخذ من ذلك تأكيدا على ألوهية المسيح يجدر به أن ينظر إلى نفس الإنجيل[وَالآبُ نَفْسُهُ الَّذِي أَرْسَلَنِي يَشْهَدُ لِي. لَمْ تَسْمَعُوا صَوْتَهُ قَطُّ، وَلاَ أَبْصَرْتُمْ هَيْئَتَهُ][3]، وإذا لم يقتنع بذلك، فعليه بالرجوع إلى سفر الخروج حيث يقول الله تعالى لموسى عليه السلام [لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي، لأَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ][4].

قلت وأوضح من هذا وذاك تصريح يوحنا في رسالته الأولى[اَللهُ لَمْ يَنْظُرْهُ أَحَدٌ قَطُّ. إِنْ أَحَبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا، فَاللهُ يَثْبُتُ فِينَا، وَمَحَبَّتُهُ قَدْ تَكَمَّلَتْ فِينَا][5].

وتكمل هذه الباحثة كلامها قائلة:(وأفضل طريقة للنظر في يوحنا[14: 9] هي بالمعنى المجازي: بما أن عيسى كان يتلو كلام الله، فإن النظر إليه، والاستماع إلى كلامه كان بمثابة حضور الله في ذلك الحين)[6].

قلت ولله در أبي حامد الغزالي فقد سلك من قبل هذا المنهج مع النصوص الموهمة بألوهية المسيح، ومنها هذان النصان، وأولهما بنفس الطريقة، حيث إن هذا التأويل هو الذي يستقيم مع العقول السليمة، ومع النصوص

---

1 – وليم باركلي، شرح بشارة يوحنا، ترجمة عزت زكي، ط2، دار الثقافة، القاهرة 1983م، (2/ 151– 153)
2 – يو[14: 9].
3 – يو[5: 37].
4 – خر[33: 20].
5 – 1يو[4: 12].
6 – المرجع نفسه، ص(28، 29).

الأخرى المصرحة ببشرية المسيح عليه السلام ورسالته[1]، وهو بهذا قد نهج نهجا وافقه عليه الكثيرون ممن جاؤوا بعده سواء من المسلمين أو من غيرهم.

ما تقدم كان حول تأثير عقيدة البنوة على نصوص النصارى المقدسة، والذي تمثل في التأويل الفاسد لتلك النصوص، أما تأثيرها بزيادة النصوص فسنجده واضحا بينا في تلك الفقرات التي يعتبرها القوم أدلة على أهم عقائدهم، كالقول بالأقانيم، وسأكتفي في هذا المقام بذكر بعض الأمثلة التي تظهر مدى تأثير عقيدة البنوة تلك العقيدة التي لفقها النصارى من مصادر مختلفة على نصوصهم المقدسة، وقبل أن أبدأ بسرد تلك الأمثلة أشير إلى أن استدلال النصارى على عقائدهم كان وما زال يشكل عقبة كبيرة في وجوههم، الأمر الذي دفعهم إلى تأويل الكثير من النصوص تأويلا فاسدا، أقل ما يقال فيه أنه مخالف لمقتضيات العقول، ولما لم ينفعهم ذلك، فقد لجأوا إلى أسلوب آخر، ألا وهو التلاعب بالنصوص بالزيادة عليها؛ لاختراع الأدلة على تلك العقائد الفاسدة التي اعتقدوها.

المثال الأول: وهو أهم أدلتهم على الإطلاق في القول بالأقانيم، وأعني به ما جاء في رسالة يوحنا الأولى[فَإِنَّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السَّمَاءِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الآبُ، وَالْكَلِمَةُ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ. وَهؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ وَاحِدٌ. وَالَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي الأَرْضِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الرُّوحُ، وَالْمَاءُ، وَالدَّمُ. وَالثَّلاَثَةُ هُمْ فِي الْوَاحِدِ][2]، يعتبر هذا النص هو النص الوحيد الذي صرح بقولهم في الأقانيم، حيث إنهم يقولون بثلاثة أقانيم، الآب والابن والروح القدس، ويقولون إنها إله واحد، وهو عين ما صرحت به هذه الفقرة، ولكن هل تصمد هذه الفقرة أمام النقد؟

إن هذه العبارة ليست أصيلة، وإنما هي إدخال زائف على رسالة يوحنا، وقد صرح بذلك علماء النصارى قبل غيرهم، فقد جاء في تفسير وليم كلي لرسالة يوحنا الأولى ما نصه:(على أن الفصل الذي أمامنا قد

[1] – الغزالي، الرد الجميل، ص(101، 162)، وانظر كذلك، الصمادي، موقف أبي حامد الغزالي من عقائد النصارى، ص(129 وما بعدها، 182 وما بعدها).

[2] – 1يو[5: 7، 8].

زيدت عليه بعض الكلمات سواء بقصد أو بغير قصد، .... فمن المسلم به تحقيقا أن هذه الفقرة المبتدئة بكلمتي" في السماء" في العدد السابع والمنتهية بكلمتي" في الأرض" في العدد الثامن ليست جزءا من النص الأصلي فربما كانت في مبدأ الأمر هامشا على إحدى النسخ فجاء أحد النساخ وأدخلها في المتن ظانا أنها منه، وقد تناول أعلام التحقيق الكتابيون هذه القضية بالبحث والتحري فخرجوا بهذه النتيجة وهي أن الفقرة جاءت عرضا بطريق الاستنتاج البشري، على أن أي مسيحي ولو لم يكن يعرف كلمة واحدة من اللغة اللاتينية يستطيع أن يحكم على الفور إنها كلمات مضافة)[1].

وقد صرح بهذه الزيادة كتاب" هل الكتاب المقدس حقا كلمة الله" وهو كتاب تبشيري، فقد جاء فيه:(بمقارنة أعداد كبيرة من المخطوطات القديمة باعتناء، يتمكن العلماء من اقتلاع أية أخطاء ربما تسللت إليها مثل الإدخال الزائف في يوحنا الأولى[5: 7])[2]. ولم توجد هذه الفقرة في المخطوطات اليونانية في القرون الثلاثة عشر الأولى، وبعض المخطوطات العربية تحذفها نهائيا من رسالة يوحنا، وبعضها يضعها بين قوسين دلالة على أنها فقرة مزيفة من عمل كاتب مجهول[3].

أما عن موقف التراجم العربية المختلفة للكتاب المقدس حول هذه العبارة فهي على النحو التالي:-

ثمة ترجمات ما زالت تثبت هذه العبارة على حالها، ومنها ترجمة سميث وفاندايك، وذلك إيهاما للقارئ العربي وتمويها عليه، بينما هناك ترجمات أصبحت تضع هذه العبارة بين قوسين؛ دلالة على عدم أصالتها، كما هو الحال في كتاب الحياة، وثمة من أدرك أنه لا مجال بعد لإخفاء الحقيقة فأصبح يحذف هذه الفقرة كاملة، ومن هؤلاء الترجمة العربية المشتركة واليسوعية وترجمة الأخبار السارة وقد أصبح هذا النص فيها كما يلي[والذين يشهدون هم ثلاثة. الروح والماء والدم، وهؤلاء الثلاثة هم في الواحد][4].

---

[1] - وليم كلي، عشرون محاضرة في شرح رسائل يوحنا، ط2، بيت عنيا مركز المطبوعات المسيحية، القاهرة 1994م، ص(385).

[2] - أحمد عبد الوهاب، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، ص(39).

[3] - المرجع السابق، ص(40).

[4] - انظر الكتاب المقدس، الترجمة العربية المشتركة الصادرة عن دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ط5، بيروت 1994م. وحول موقف الترجمات المختلفة من هذه الفقرة انظر أيضا: عبد الوهاب، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، ص(41). ياسر جبر، الحذف والتجديد في العهد الجديد 170 مثال لاختلافات الحذف والإضافة بين التراجم العربية للعهد الجديد، د. ط، د. ن، د. م. ن، د. ت، ن، الاختلاف رقم(108).

ولقد كان رحمت الله الهندي خير من بين حال هذه العبارة، حيث بين أن أصلها على قول محققي النصارى كان: [لأن الذين يشهدون ثلاثة الروح والماء والدم وهؤلاء الثلاثة تتحد في واحد] فزاد معتقدو التثليث هذه العبارة[... في السماء ثلاثة وهم الآب والابن والروح القدس وهؤلاء الثلاثة واحد والشهود الذين يشهدون في الأرض...] ثم إن محققيهم وحتى المتعصبين منهم قد أقروا بأن هذه العبارة ليست في أصل الرسالة، وإنما هي إلحاقية، وثمة من كتب حول رسالة يوحنا عشر رسائل، وكان يعتقد التثليث محاولا إثباته بتأويل بعض فقرات هذه الرسالة بتكلف شديد، ومع ذلك فلم يستشهد بهذه العبارة ولو لمرة واحدة، مما يدل على أنها قد ألحقت لهذه الرسالة في وقت متأخر[1].

والأهم من ذلك أن رحمت الله الهندي قد ألزم القسيس" فندر" وهو من أشهر المنصرين في الهند، وقد قام الشيخ رحمت الله الهندي بمناظرته وهزيمته، بالاعتراف بأن هذه العبارة من رسالة يوحنا الأولى محرفة[2]. وقد قدم رحمه الله تعالى ملخصا لموقف المحققين النصارى تجاه هذه العبارة، وهو كما يلي:

1. أن هذه العبارة لا توجد في نسخة من النسخ اليونانية التي كتبت قبل القرن السادس عشر.
2. أنها لا توجد في النسخ المطبوعة، والمحققة بشكل جيد.
3. أنها لا توجد في ترجمة من التراجم القديمة غير اللاتينية.
4. أنها لا توجد في أكثر النسخ القديمة اللاتينية أيضا.
5. أنه لم يتمسك بهذه العبارة أحد من القدماء ومؤرخي الكنيسة.
6. أن أئمة البروتستانت إما أنهم أسقطوا هذه العبارة من نسخهم، أو وضعوا عليها علامة الشك[3].

قلت: انظر إلى من أضلهم الله تعالى كيف اخترعوا عقيدة لا أساس لها سوى اتباع أهل الأوثان، ثم حاولوا اختراع الأدلة التي تثبتها، ولكن أنى لهم ذلك، والقريب شاهد عليهم قبل الغريب، ولعمري لوكان عند النصارى مسكة من عقل لانصرفوا عن هذا الاعتقاد الفاسد، فعلى فرض التسليم بصحة هذه العبارة فما كان لهم

---

[1] – الهندي، إظهار الحق(1/ 497، 498). وانظر محمد الملكاوي، مختصر إظهار الحق، د. ط، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض 1416هـ– 1995م، ص(72 وما بعدها).

[2] – المصدر السابق (1/ 498)

[3] – الهندي، إظهار الحق(1/ 499).

التمسك بظاهرها، ومصادمة صريح النقل وصحيح العقل، ففي التأويل ما يقيهم عواقب ذلك، فالله هو المرسل، والمسيح هو الرسول، والروح القدس هو المبلغ من المرسل إلى الرسول، وهؤلاء الثلاثة إرادهم واحدة في استجابة الناس لهذه الرسالة، حيث إن الله تعالى لم يرسل هذه الرسالة عبثا، بل هو منزه عن ذلك، وإنما أرسلها ليستجيب الناس لها، وهو خير شاهد على من يؤمن بها وعلى من يكفر، فهو الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، والروح القدس شأنه شأن جميع الملائكة: ﴿ .... لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[1]، فمن البداهة أن إرادته موافقة لإرادة خالقه ومرسله، وكذلك المسيح رسول الله، حيث إنه من الذين هداهم الله، وأمرنا بالإقتداء بهم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ .... ﴿٩٠﴾ ﴾[2]، ومن شأن هذه الهداية موافقة إرادة المهتدي لإرادة من هداه، وهذه هي الوحدة المقصودة، ومن قال بغيرها فقد جانب جادة الحق والصواب.

المثال الثاني: تلك الفقرة الخاصة بالتعميد، والتي جاءت في نهاية إنجيل متى[فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ][3] ففضلا عما ذكرته سابقا من أن هذه الفقرة لا تصلح دليلا على قول النصارى بالأقانيم، وفضلا عن أن فيها تضاربا كبيرا ما بين الأناجيل الإزائية الثلاثة، وعدم ورودها في إنجيل يوحنا، مما يدل على عدم أصالتها في الأناجيل، فضلا عن ذلك كله ثمة إشارات إلى أن هذا الطقس" التعميد" لا يرقى بحال من الأحوال إلى عصر المسيح عليه السلام، وإنما هو نتيجة تطورات مذهبية لاحقة، يقول آرثر بيك أستاذ تفسير الكتاب المقدس في جامعة مانشستر في كتابه" تعليق على الكتاب المقدس":

"**A COMMENTARY ON THE BIBLE** ":

The command to baptize into the threefold name is alate doctrine expansion. In place of the words'' baptizing….spirit'' we

---

[1] – التحريم: 6.

[2] – الأنعام: 90.

[3] – مت[28: 19].

should probably read simply'' into my name''[1] .

(الأمر بالتعميد باسم الثلاثة إنما هو تطور مذهبي متأخر، وبدلا من" وعمدوهم باسم الآب..." يجب أن نقرأ وبكل بساطة" باسمي". وكأنه يأمرهم بدعوة الناس إلى هذا الدين باسمه، حيث هو النبي الذي نزلت عليه هذه الرسالة[2].

وتكاد لا تسلم فقرة من تلك الفقرات التي تشير إلى التثليث، أو إلى ألوهية المسيح عليه السلام من النقد والتشكيك من قبل محققي النصارى قبل غيرهم، ومن ذلك ما جاء في سفر أعمال الرسل[فَقَالَ فِيلُبُّسُ:«إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ يَجُوزُ». فَأَجَابَ وَقَالَ:«أَنَا أُومِنُ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ ابْنُ اللهِ »**][3]، فعبارة" أن يسوع المسيح هو ابن الله" إلحاقية زادها معتقدو التثليث، وقد اتفق كريسباخ وشولز وهما من علماء النصارى على أنها إلحاقية كاذبة[4]. ومن ذلك أيضا ما جاء من جواب بطرس للمسيح عندما سأل تلاميذه: [**مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟ أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ**][5]، فعبارة" ابن الله الحي" ليست أصيلة بدليل تناقضها مع ما ورد في مرقس حول نفس الحادثة حيث كان الجواب: [**فَأَجَابَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُ:«أَنْتَ الْمَسِيحُ»**][6] دون تلك الزيادة التي جاءت في إنجيل متى.**

فهذه الشواهد كلها متضافرة على ذلك الأثر الذي تركته عقيدة البنوة على النصوص المقدسة عند النصارى، حيث مارسوا عليها التحريف اللفظي والمعنوي للاستدلال على عقيدة انتقلت إليهم من الديانات الوثنية، وتشربوها عبر فترات طويلة من الزمن.

---

1 - ARTHUR S. PEAKE, **A COMMENTARY ON THE BIBLE**, THOMAS NELSON & SONS, NEW YORK, p 723

2– **JAMES HASTING, DICTIONARY OF THE BIBLE, CHARLES SCRIBNERS SONS, NEW YORK 1909, P 302.**

3 – أع[**8**: **37**].

4 – ملكاوي، مختصر إظهار الحق، ص(**75**، **76**).

5 – مت[**16**: **15**، **16**].

6 – مر[**8**: **29**].

المطلب الثالث: آثار عقيدة البنوة على النصارى وعلاقتهم بغيرهم

مثلما كان لعقيدة البنوة آثار كبيرة على النصرانية كدين، فقد كان لها كذلك آثار كبيرة على النصارى أنفسهم، وسنتناول في هذا المقام الانحلال الخلقي والسلوكي، وعلاقة النصارى بغيرهم، وسنتناول كلا من الجانبين بشيء من التفصيل.

أولا: الانحلال الخلقي والسلوكي عند النصارى.

إن الناظر في حياة النصارى ليعجب من ذلك الفساد الخلقي العريض الذي ساد ويسود حياتهم، وكأن القوم قد استباحوا كل شيء، ولا فرق في ذلك بين أحبارهم وعوامهم، بل لربما كان الفساد والانحلال عند الأحبار والرهبان منتشرا أكثر مما هو عند عوام النصارى[1]، وهذا الأمر يدفع الباحث للحيرة والتساؤل سيما إذا ما خطر بالبال أن النصارى يعتبرون أنفسهم الوريث للديانة اليهودية، وهم معترفون بكتبها ويطلقون عليها اسم العهد القديم، وهي كما نعلم مليئة بالتوجيهات والأحكام الشرعية.

ولكن هذه الحيرة سرعان ما تزول من نفس المرء بمجرد أن يلفت انتباهه إلى أن المؤسس الحقيقي لهذه الديانة هو بولس، الذي كان له وجهة نظر خاصة، بل وخاصة جدا في حصول الإنسان على التبرير أو الخلاص، وقبل أن نخوض في موقف بولس لا بد من الإشارة إلى ذلك التشدد في مجال الأحكام الشرعية الذي فرضه أحبار اليهود على أتباعهم، حتى إن كان في كثير من الأحيان تشددا شكليا، ومجرد نظرة في التلمود بمجلداته الضخمة جدا يدرك المرء ذلك التشدد والتضييق الذي كان يمارسه اليهود، ولما كان بولس قد فشل في نشر ديانته الجديدة بين اليهود، فقد توجه بها إلى غيرهم، وكان في مقدمة هؤلاء الرومان الذين تعودوا على حياة اللهو والترف، الأمر الذي جعل الالتزام بأحكام العهد القديم يشكل عائقا أمام هؤلاء يمنعهم من التحول إلى ديانة بولس، فكان ذلك الموقف منه للتغلب على هذه العقبة التي وقفت في طريقه، والتي زاد من صعوبتها وجود تلاميذ المسيح الذين كانوا حتى ذلك الوقت يصرون على التمسك بتلك الأحكام.

---

[1] – حول هذا الموضوع انظر: دي روزا، التاريخ الأسود للكنيسة(خدام الرب الصفحة المظلمة للبابوية)، ترجمة آسر حطيبة، ط1، الدار المصرية للكتاب، القاهرة 1994م. وانظر: الباب العاشر من كتاب ساجد مير، المسيحية النصرانية، د. ط، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، د. ت. ن، ص(329 وما بعدها).

إن المتتبع لرسائل بولس ليستطيع وبسهولة أن يتبين ملامح موقفه من تلك الشريعة التي جاء بها العهد القديم، والتي أكد المسيح نفسه وفي أكثر من مرة على أنه ما جاء لنقضها، وإنما جاء لإكمالها، وأكد كذلك على ثباتها وعدم زوالها، كما أكد في الوقت نفسه على أن من يخالفها يعد صغيرا في ملكوت السماوات، وفي مقابل ذلك فإن من يلتزم بها يعد عظيما في ملكوت السماوات[1]. وتكاد الملامح الغنوصية تبدو واضحة في موقف بولس من الشريعة، فالنظرة الغنوصية ترى أن الإله الذي خلق الإنسان قد كبله بعدما خلقه بالشريعة، ومن هنا فقد عد بولس الشريعة لعنة، فقد جاء في رسالته إلى غلاطية[كَمَا «آمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا» اعْلَمُوا إِذًا أَنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنَ الإِيمَانِ أُولئِكَ هُمْ بَنُو إِبْرَاهِيمَ. وَالْكِتَابُ إِذْ سَبَقَ فَرَأَى أَنَّ اللهَ بِالإِيمَانِ يُبَرِّرُ الأُمَمَ، سَبَقَ فَبَشَّرَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ «فِيكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ الأُمَمِ» .إِذًا الَّذِينَ هُمْ مِنَ الإِيمَانِ يَتَبَارَكُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ الْمُؤْمِنِ. لأَنَّ جَمِيعَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَعْمَالِ النَّامُوسِ هُمْ تَحْتَ لَعْنَةٍ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لاَ يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُو مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ». وَلكِنْ أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ يَتَبَرَّرُ بِالنَّامُوسِ عِنْدَ اللهِ فَظَاهِرٌ، لأَنَّ «الْبَارَّ بِالإِيمَانِ يَحْيَا». وَلكِنَّ النَّامُوسَ لَيْسَ مِنَ الإِيمَانِ، بَلِ «الإِنْسَانُ الَّذِي يَفْعَلُهَا سَيَحْيَا بِهَا». اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ»] غلا[3: 6– 13] يقدم لنا هذا النص ملخصا لمذهب بولس في التبرير والخلاص، فالتبرير يكون بالإيمان دون الأعمال، والشريعة لعنة[2]، وحتى نتخلص منها فلا بد من لعنة تقابلها، واللعنة الثانية هي موت المسيح مصلوبا، وبهذا يكون بولس قد قدم تبريرا لصلب المسيح " ابن الله" على حد زعمه.

ولكن أي إيمان ذلك الذي ينال الإنسان به الخلاص؟ إنه الإيمان بموت ابن الله مصلوبا؛ تكفيرا عن خطايا البشر[3]، ولا يشترط أن يقترن بهذا الإيمان التزام بالشريعة، وإنما نجد بولس يذهب إلى أن هذا الإيمان قد ألغى العمل تماما، وبالتالي فقد جعل الأمر عبارة عن فوضى، حيث إن الإنسان– في نظر بولس– غير مطالب بالالتزام

---

1 – انظر مت[5: 17– 19]

2 – يفسر بولس ذلك بأن الشريعة هي التي حددت الأوامر والنواهي، والإنسان قبل الشريعة إنما هو صفحة بيضاء، ولكن الشريعة هي من علمته الشر، حيث يدعي بولس أنه لولا قول الشريعة: لا تشته، لما عرف الشهوة رو[7: 7] وحيث إنه يفترض مسبقا أن الناس لن يلتزموا بهذه الأوامر والنواهي، ونتيجة عدم الالتزام هي اللعنة، فقد توصل بولس إلى أن الشريعة لعنة.

3 – انظر المواضع التالية من رسائل بولس: 1كو[1: 18] ، غلا[5: 11]، أف[2: 16]، في[2: 8]، كو[2: 14]، عب[12: 2].

بالأحكام الشرعية، وإنما يكفيه ذلك الإيمان بعقيدة الصلب التي قررها له بولس في رسائله.

على أن بولس قد كان حذرا في مسلكه ذلك فلم يقرر إبطال الشريعة دفعة واحدة، وإنما استخدم أسلوب التدرج مع أتباع ديانته، حيث لاحظ أن أكثر ما يخشاه أولئك الأتباع الجدد هو شريعة الختان، فبادر إلى إلغائها تدريجيا، ويبدو هدفه واضحا في رسالته إلى أهل رومية، حيث يصرح أنه قد جعل نفسه مسؤولا عن دعوة أولئك الذي أعفاهم من شريعة الختان(غير اليهود)، في مقابل بطرس الذي تخصص بدعوة المختونين(اليهود)[1]، وبعد الختان انتقل إلى الأطعمة فأباح كل شيء بحجة أن كل ما خلقه الله تعالى فهو جيد، وأن النجاسة والطهارة اعتباران لا يتعلقان بذات الشيء، وإنما يتعلقان بذات من يتعامل مع ذلك الشيء[2]، ومقصود بولس من ذلك أن الحكم بطهارة الشيء أو نجاسته تابع لاعتقاد الإنسان، فإذا ما نظر إلى شيء واعتبره طاهرا فهو طاهر، وإذا ما اعتبره نجسا فهو نجس، وبالتالي فالشيء نفسه نجس في نظر اليهودي المعتقد بنجاسته، وطاهر في نظر الوثني المعتقد بطهارته[3].

والحقيقة أن هذا المذهب يجعل الأمور في غاية الفوضى، حيث إن ما يعتبر طاهرا في نظر إنسان قد يكون نجسا في نظر إنسان آخر، وبالتالي فسيتعدد الحق بتعدد الناس، ويصبح الحق تبعا للرجال، لا الرجال تبعا للحق، وهذا هو عين ما أراده بولس.

إذا فهذا الذي عمله بولس كان سببا رئيسيا في الانحلال الأخلاقي والسلوكي عند النصارى، فيكفي الإنسان– حسب عقيدة بولس– أن يؤمن أن المسيح ابن الله صلب تكفيرا عن خطايا البشر، وبعد ذلك فليفعل ما يشاء، وليأكل ما يشاء.وفي هذا المقام لا بد لنا من التنبيه إلى قضية في غاية الأهمية، وهي أن المسيحية في وضعها الحالي هي من وضع بولس ومن نهج نهجه من رهبان النصارى، وذلك أن بولس فيما ذهب إليه يضرب بتعاليم مسيحهم، وتعاليم إلههم عرض الحائط، ففي العهد القديم نصوص كثيرة تلعن من لا يلتزم بأحكام الشريعة، فقد توالت اللعنات في الأصحاح السابع والعشرين من سفر التثنية على أولئك الذين لا يلتزمون بأحكام الشريعة،

---

[1] – انظر: رو[**2**: **7**] و[**2**: **8**]

[2] – حول إباحة بولس لجميع الأطعمة انظر رسائله التالية: رو[**14**: **14**]، **1**تي[**4**: **4**]، وتي[**1**: **15**].

[3] – أنطونيوس فكري، مقدمة عن فكر بولس الرسول عن الخلاص في المسيحية، تفسير رسالة رومية، د. ط، كنيسة السيدة العذراء، القاهرة، د. ت. ن، ص(**190**).

كصناعة التماثيل، وعقوق الوالدين، إلى غير ذلك من الأحكام التفصيلة[1]، وختم هذا الأصحاح بلعنة من لا يلتزم بأحكام الشريعة إجمالا [مَلْعُونٌ مَنْ لاَ يُقِيمُ كَلِمَاتِ هذَا النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهَا. وَيَقُولُ جَمِيعُ الشَّعْبِ: آمِينَ.][2]، وأما المسيح فقد أكد وفي أكثر من موضع من العهد الجديد على أهمية الالتزام بأحكام الشريعة، وحرمة نقض أي حكم من أحكامها، ومن ذلك ما جاء في إنجيل متى[لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أو الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أو نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ][3] مت[5: 17، 18] فانظر إليهم قبحهم الله تعالى كيف يعرضون عما قرره إلههم في العهد القديم، وما قرره مسيحهم في العهد الجديد، ثم يتبعون بولس، بل ويتخذونه ربا؛ فقد حلل لهم الحرام، وحرم عليهم الحلال، وهو مصداق قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[4].

وفي هذا المقام تبدو وسطية الإسلام بارزة بين إفراط اليهود وتفريط النصارى، فاليهود قد بالغوا في الرفع من قيمة الالتزام بالأحكام الشرعية، حتى أصبح الالتزام بها- في نظرهم- وسيلة للخلاص، الأمر الذي دفعهم إلى التشدد فيها، والتركيز على أدق التفاصيل، غافلين في الوقت نفسه عن أهمية الأصل الذي تتفرع منه الأحكام، وهو الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، حتى أصبحت تلك الأحكام التي يلتزمون بها- وعلى الرغم من تشددهم- مجرد قشور، أما النصارى فقد انسلخوا من تلك الأحكام انسلاخ الشاة من جلدها، وركنوا إلى ما قرره لهم بولس من أن الخلاص يتوقف على الإيمان دون العمل، وجاء الإسلام منهجا وسطا جمع ما بين الأصل الصحيح، وهو الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، وما يترتب على ذلك الأصل وهو العمل الصالح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ

---

[1] – انظر: تث[27: 15- 25]

[2] – تث[27: 26].

[3] – مت[5: 17، 18].

[4] – التوبة: 31. وانظر جواب النبي ﷺ لعدي بن حاتم الطائي عندما قدم النبي ﷺ وهو يتلو هذه الآية، فقال: يا رسول الله إنهم لم يعبدوهم. فقال: بلى إنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم. الطبري، جامع البيان، (14/ 210). وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (2/ 333).

هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[1].

ثانيا: آثار عقيدة البنوة على علاقة النصارى بغيرهم.

تقدم عند الحديث عن آثار عقيدة البنوة على الديانة النصرانية كيف قام بولس وكتاب العهد الجديد بمحاولة الخروج من النظرة العنصرية الضيقة التي كانت موجودة عند اليهود، وذلك في محاولة منهم لاجتذاب أتباع من غير اليهود لتلك الديانة التي اخترعها بولس.

وقد جعل الإيمان بالمسيح" ابن الله" المتجسد الذي صلب تكفيرا عن خطايا البشر هو الأساس الذي بنيت عليه تلك الديانة، وكان ذلك عاملا مهما في تحول الكثير من الناس في تلك الفترة إلى تلك الديانة، سيما أن ذلك التحول لم يكن تحولا جوهريا، وإنما كان تحولا إلى ديانة قريبة في عقائدها من تلك الديانات الوثنية التي كان يدين بها أولئك الناس، وعلى الرغم من هذا التحول الجذري في النظرة إلى الآخر، إلا أنه ثمة نصوص في العهد الجديد تذكرنا بما مر معنا سابقا من نظرة اليهود إلى التوراة على أنها ميراث لهم دون غيرهم من البشر، ومن هذه النصوص ما جاء في إنجيل متى[لاَ تُعْطُوا الْقُدْسَ لِلْكِلاَب، وَلاَ تَطْرَحُوا دُرَرَكُمْ قُدَّامَ الْخَنَازِيرِ، لِئَلاَّ تَدُوسَهَا بِأَرْجُلِهَا وَتَلْتَفِتَ فَتُمَزِّقَكُمْ.][2] فمع أنهم يفسرون الكلاب والخنازير بالذين يرفضون الحق، ويعتدون على أصحابه[3]، إلا أن هناك ما يشير إلى أن المنع هنا على أساس عرقي، ويشهد لذلك قصة المرأة الكنعانية[4]، التي طلبت من مسيحهم شفاء ابنتها المصابة بالجنون، فرفض في البداية قائلا: إنه لم يرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة، ثم ثنى بعبارة

---

[1] – البقرة: **62**.

[2] – مت[**7**: **6**].

[3] – يعقوب بن الصليبي، الدر الفريد في تفسير العهد الجديد، ترجمة عبد المسيح الدولباني، د. ط، مصر **1914**م، ص(**206**، **207**)ز وأنطونيوس فكري، تفسير إنجيل متى، د. ط، كنيسة السيدة العذراء، القاهرة، د. ت. ن، ص(**36**).

[4] – انظر قصة هذه المرأة في: مت[**15**: **22**– **28**].

تنم عن نزعة عنصرية يهودية فقال[لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَبِ][1]، ولكن تلك المرأة أجابت بجواب يستشف منه تميز بني إسرائيل عن غيرهم، فهم الأرباب وغيرهم العبيد، وهذا الاعتراف من هذه المرأة بخسة قدرها وقدر شعبها في مقابل عظمة بني إسرائيل جعل ذلك المسيح يشفي ابنتها، ولكن هذه النظرة لم تدم مع تقدم الأيام، فقد عجز أرباب هذه الديانة عن نشرها بين اليهود، فحاولوا نشرها بين غيرهم، وبقيت هذه النصوص شاهدة على قومية هذه الديانة، لا عالميتها.

ومن الآثار التي تركتها عقيدة البنوة على النصارى في علاقتهم بغيرهم، ذلك الاضطهاد والأذى لكل مخالف، سيما وأن مفهوم الغير ينطبق حتى على النصارى المخالفين، وقد رأينا كيف مورست اللعنات وقرارات الحرمان ضد كل من خالف النصارى في القول بالبنوة التي يعتقدونها، فكل من أنكر بنوة المسيح، أو حتى حملها على محمل يخالف ما أراده النصارى من القول بألوهيته تعرض لقرارات الطرد والحرمان، ثم تحول ذلك إلى أشد أنواع الأذى والتعذيب[2]، ابتداء من آريوس وأتباعه، وانتهاء بالموحدين النصارى كالسوسينيين الذين كانوا يتعرضون لاضطهاد وحشي منظم على يد الكنيسة الكاثوليكية، كأن يحرقوا وهم أحياء[3]، وقد كان ذلك نهجا منتظما انتهجه النصارى منذ بداية عصورهم، فبعد عصر الإمبراطور قسطنطين بقليل من الزمن أعد النصارى وثيقة مزيفة باسمه تجيز العنف مع مخالفيهم، فقضوا خلال القرن التالي على أتباع الديانات المختلفة بشكل عام، وعلى الذين خالفوا الكنيسة المركزية بشكل خاص[4].

ولما كان هذا حال النصارى مع المخالفين من أبناء دينهم، فإن تعاملهم كان وما زال أشد قسوة ووحشية مع المخالفين من أهل الديانات الأخرى عامة، ومع المسلمين خاصة، فتلك الحروب التي شنها النصارى على بلاد المسلمين، وعرفت باسم الحروب الصليبية، إنما جاءت تحت شعار الصليب، وهو شعار شديد الارتباط بعقيدة البنوة، فالذي صلب هو أقنوم الابن، ولقد مورست في تلك الحروب أبشع أنواع الوحشية، ومشهد دخول

---

[1] – مت[15: 26].

[2] – انظر صور التعذيب الذي كان يمارسه النصارى على المخالفين في: مير، المسيحية النصرانية، ص(317).

[3] – مير، المسيحية النصرانية، ص(310 وما بعدها). ورستم، الفرق والمذاهب المسيحية، ص(174) وانظر سابقا كيف كانت قرارات المجامع المسكونية دائما تحتوي على الطرد والحرمان للمخالفين.

[4] – مير، المسيحية النصرانية، ص(311).

النصارى إلى القدس خير شاهد على ذلك[1].

أما في وقتنا الحاضر فممارسات النصارى في العراق وغيرها من بلاد المسلمين التي تتواجد فيها جيوش النصارى، خير شاهد على تلك الوحشية التي يتعامل بها النصارى مع المسلمين، ولسنا بحاجة إلى التذكير بذلك الموقف الذي صرح به الرئيس الأمريكي جورج بوش بأنها حرب صليبية جديدة.

إذاً فقد كان لعقيدة البنوة آثار واضحة في تصور النصارى للذات الإلهية، كما كان لها آثارها على النصرانية وعلى نصوصها المقدسة، كذلك فقد بدت آثارها جلية واضحة في تعامل النصارى مع مخالفيهم.

---

[1] – انظر على سبيل المثال أحداث سنة 492هـ وهي السنة التي دخل فيها النصارى القدس، يقول ابن الجوزي: فمن الحوادث فيها اخذ الإفرنج بيت المقدس في يوم الجمعة ثالث عشر شعبان وقتلوا فيه زائدا على سبعين ألف مسلم. عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط1، دار صادر، بيروت 1358هـ (9/ 108). ولمزيد من التفاصيل لاضطهاد النصارى لغيرهم، انظر توفيق الطويل، الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، ط1، دار الزهراء، القاهرة 1412هـ- 1991م.

الفصل الخامس: موقف الإسلام من عقيدة البنوة عند أهل الكتاب.

تمهيد

المبحث الأول: موقف الوحي من عقيدة البنوة.

المطلب الأول: موقف الوحي من عقيدة البنوة إجمالا.

المطلب الثاني: موقف الوحي من عقيدة البنوة تفصيلا.

المطلب الرابع: الوحي يكشف عن الجذور الوثنية لعقيدة البنوة.

المبحث الثاني: أهمية القرآن الكريم في تنقية اليهودية والنصرانية من العقائد الوثنية.

تمهيد

المطلب الأول: علاقة القرآن بالكتب السماوية السابقة

المطلب الثاني: حاجة البشرية للقرآن الكريم في دراسة ديانتي أهل الكتاب وتنقيتهما من العقائد الوثنية.

المبحث الأول: موقف الوحي من عقيدة البنوة.

المطلب الأول: موقف الوحي من عقيدة البنوة إجمالا.

المطلب الثاني: موقف الوحي من عقيدة البنوة تفصيلا.

المطلب الرابع: الوحي يكشف عن الجذور الوثنية لعقيدة البنوة.

تمهيد

لقد كان للإسلام ومن خلال الوحي قرآنا وسنة موقف واضح تجاه عقيدة البنوة، ويلاحظ على هذا الموقف أنه عرض عقيدة البنوة ورد عليها بطريقتين؛ طريقة الإجمال، وطريقة التفصيل، أما الإجمال فهو أن يذكر القرآن الكريم هذه العقيدة دون أن يتعرض لصاحبها، ولا لمن كان محلا لهذا الاعتقاد، ودون تعرض كذلك لشبهه في هذا المعتقد، وأما التفصيل فكان يذكر صاحب تلك العقيدة، ومن كان محلا لها، بل ويستنطقه في كثير من الأحيان لإزهاق تلك العقيدة، كما كان يتعرض لشبه أصحاب ذلك المعتقد، وينقضها بطريقة واقعية قريبة من الفطرة، يستطيع فهمها، بل والاستدلال بها كل من يقرأها، وفي الوقت نفسه كانت آيات القرآن معينا لا ينضب لكل من رد على النصارى من العلماء المسلمين، فكان كل عالم منهم يستنبط منها حججه التي تناسب منهجه[1].

المطلب الأول: موقف الوحي من عقيدة البنوة إجمالا

يتعرض القرآن في بعض آياته لهذا المعتقد الفاسد بشكل إجمالي دون ذكر صاحبه، ودون بيان من كان محلا لهذه البنوة، ودون ذكر الشبه والحجج التي يستند إليها أصحاب ذلك المعتقد الفاسد، وذلك انطلاقا من أن ملة الكفر واحدة، وبيانا لفساد هذا المعتقد وتهافته بغض النظر عن ملابساته.

ونجد هذا المنهج يتكرر في تسعة مواضع من القرآن الكريم، وهي على النحو التالي:

الموضع الأول: في سورة البقرة، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧﴾[2].

---

[1] – يظهر ذلك جليا واضحا عند المفسرين المسلمين الذين ردوا على النصارى من خلال تفاسيرهم، فالرازي مثلا كثيرا ما يستنبط من آيات القرآن أدلة عقلية للرد على النصارى، وابن عاشور يعتمد البيان اللغوي انطلاقا من موقفه حول أهمية اللغة العربية لفهم القرآن الكريم، بينما تجد مفسرا مثل سيد قطب يعمد إلى الاعتماد على الفطرة والمنطق الواقعي، والتركيز على توضيح التصور الإسلامي لحقيقة الألوهية، والعلاقة ما بين الله تعالى والبشر، والكل منهم ينهل من معين القرآن الذي لا ينضب. لمزيد من التفاصيل حول هذه القضية انظر بدران الحسن، آراء المفسرين حول عقيدة التثليث، في موقع الإسلام اليوم على الرابط التالي: **http://islamtoday.net/bohooth/artlistn-86-935-1.htm**

[2] – البقرة: **116**، **117**.

وعلى الرغم من أن الإمام الطبري يجعل هذه الآية خاصة بالنصارى حيث يقول: (وقالوا اتخذ الله ولدا، وهم النصارى حيث زعموا أن عيسى ابن الله)[1]. إلا أن غيره من المفسرين من أمثال ابن كثير وسيد قطب يجعلها عامة في كل من نسب الولد إلى الله تعالى، يقول ابن كثير:(اشتملت هذه الآية الكريمة، والتي تليها على الرد على النصارى – عليهم لعائن الله–وكذا من أشبههم من اليهود ومن مشركي العرب)[2]، ويقول سيد قطب:(وهذه المقولة الفاسدة : { اتخذ الله ولداً } . . ليست مقولة النصارى وحدهم في المسيح ، فهي كذلك مقولة اليهود في العزير . كما كانت مقولة المشركين في الملائكة . ولم تفصل الآية هنا هذه المقولات ، لأن السياق سياق إجمال للفرق الثلاث التي كانت تناهض الإسلام يومئذ في الجزيرة – ومن عجب أنها لا تزال هي التي تناهضه اليوم تماما ، ممثلة في الصهيونية العالمية والصليبية العالمية ، والشيوعية العالمية ، وهي أشد كفراً من المشركين في ذلك الحين!)[3].

قلت: الأولى أن تكون هذه الآية عامة في كل من نسب الولد لله تعالى، في كل زمان ومكان، ويؤيد هذا الحديث الذي يرويه الإمام البخاري عند تفسير هذه الآية، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي– ﷺ – قال:(قال الله تعالى: كَذَّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إيَّاي فيزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي فقوله: لي ولد. فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدا)[4]. فقد جاء هذا الحديث عاما في كل من نسب الولد لله تعالى.

الموضع الثاني: في سورة الأنعام، حيث يقول تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٠٠ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ

---

[1] – الطبري، جامع البيان(2/ 537)
[2] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (1/ 152)
[3] – سيد قطب، في ظلال القرآن، الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون، دار الشروق، القاهرة 1423هـــ– 2003م، (1/ 105). وانظر الرازي، التفسير الكبير، (4/ 22).
[4] – البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب(و قالوا اتخذ الله ولدا) (4/ 1629).

﴿ ... صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ ﴾[1]، وهذه الآية كسابقتها شاملة لكل من نسب الولد لله تعالى.

الموضع الثالث: في سورة يونس حيث يقول تعالى: ﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[2]، فالولد لا يتخذه الحكيم إلا للعز والرفد وبقاء الذكر، وهي حاجات منتفية عنه سبحانه وتعالى، وبالتالي فالولد منفي عنه أيضا[3].

الموضع الرابع: في سورة الإسراء، حيث يقول الله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴿١١١﴾ ﴾[4]، وللزمخشري تعليق لطيف على هذه الآية حيث يقول:(فإن قلت : كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد؟ قلت : لأنّ من هذا وصفه هو الذي يقدر على إيلاء كل نعمة ، فهو الذي يستحق جنس الحمد)[5].

ولأهمية هذه الآية في تقرير المعتقد الصحيح فقد كان النبي ﷺ يعلمها لأهله صغيرهم وكبيرهم[6].

الموضع الخامس: في سورة الكهف حيث يقول تعالى: ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ﴿٤﴾ ﴾[7] . فجعل من غايات نزول هذا القرآن تحذير أولئك الذين ينسبون الأولاد إلى الله تعالى، حيث لا تعدو هذه النسبة أن تكون قولا كاذبا لا دليل عليه.

الموضع السادس: في سورة مريم، حيث يقول تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا

---

[1] – الأنعام: ١٠٠ – ١٠١.

[2] – يونس: **68**.

[3] – عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، تثبيت دلائل النبوة، تحقيق عبد الكريم عثمان، د. ط، دار العربية، بيروت، د، ت، ن، (**2/ 427**).

[4] – الإسراء: ١١١.

[5] – محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف، د. ط، دار المعرفة، بيروت، د. ت. ن(**2/ 379**).

[6] – الطبري، جامع البيان(**17/ 590**). وابن كثير، تفسير القرآن العظيم(**2/ 69**).

[7] – الكهف: **4**

إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾[1].

الموضع السابع: في سورة المؤمنون، حيث يقول الله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[2].

الموضع الثامن: في سورة الفرقان، حيث يقول تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾[3].

الموضع التاسع: في سورة الزمر، حيث يقول تعالى: ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾[4].

الموضع العاشر: في سورة الزخرف، حيث يقول تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾[5]. أي ما كان لله تعالى ولد.

الموضع الحادي عشر: في سورة الإخلاص، حيث يقول تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[6].

---

[1] – مريم: ٨٨ – ٩٥.
[2] – المؤمنون: ٩١.
[3] – الفرقان: ١ – ٢.
[4] – الزمر: ٤.
[5] – الزخرف: 81
[6] – الإخلاص: ١ – ٤.

ومن عرض الآيات لهذا المعتقد نلاحظ أن هذا المعتقد نقص يجب تتريه الباري تعالى عنه، وأن نسبة الأبناء إلى الله تعالى نابع من الجهل بمقام الألوهية، كما أن هذا المعتقد قد بلغ من الفساد والشناعة مبلغا جعل السماء والجبال والأرض لا تكاد تطيقه، كما نجد هذا المعتقد مساويا لنسبة الشريك لله تعالى.

أما إزهاق الآيات لهذا المعتقد الفاسد فيقوم على ركيزتين أساسيتين؛ بيان التصور الصحيح لمقام الألوهية، وبيان العلاقة الصحيحة بين الله تعالى وسائر مخلوقاته. أما الركيزة الأولى فإن الله تعالى هو خالق هذا الكون بكل ما فيه، وهو المالك المطلق له، يتصرف فيه كيف يشاء، لا معقب لحكمه، وبالتالي فلا حاجة به إلى الولد إطلاقا.

وأما الركيزة الثانية فإن الله تعالى هو الخالق، وكل ما سواه مخلوق، وهو الرب وكل ما سواه مربوب، وهو الإله وكل ما سواه عابد له، خاضع لسلطانه، فلا مجال إطلاقا لأن يتخذ ولدا.

يضاف إلى هاتين الركيزتين أن نسبة الولد إلى الله تعالى مساوية لنسبة الشريك إليه، ولو وجد ذلك لاقتضى فساد هذا الكون، حيث سيذهب كل إله بما خلق، وذلك ما لم يحصل، فدل على وحدانيته تعالى، وتتزهه عن الولد والشريك.

وقد أجمل صاحب كتاب عوامل وأهداف نشأة علم الكلام بقوله:(وقد رد الله سبحانه على من نسب له الأبناء بالتتريه في قوله:" سبحانه"، وبالملكية العامة في قوله: " بل له ما في السماوات والأرض"، وبالعبودية العامة:" كل له قانتون"، وبالمخلوقية العامة لكل ما عداه في قوله:" بديع السماوات والأرض"، وبالقدرة الشاملة، والإرادة النافذة التي لا تحتاج في نفاذها إلى شيء من تصورات الإنسان الخاصة التي يستوحيها من أحواله الخاصة، وذلك إذ يقول:" إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون")[1].

---

[1] – يحيى هاشم فرغل، عوامل وأهداف نشأة علم الكلام، د. ط، مجمع البحوث الإسلامي، د، م، ن، **1392**هـ– **1972**م، ص(**39**).

المطلب الثاني: موقف الوحي من عقيدة البنوة تفصيلا

نجد الوحي في هذا المقام يتناول هذه العقيدة، ناسبا إياها لأصحابها، عارضا لشبههم، مبينا حقيقة من كان محلا لتلك العقيدة، فنجده ينسبها إلى كل من النصارى واليهود والمشركين، ونجده كذلك يذكر من كان محلا لتلك العقيدة الفاسدة، فهو المسيح عند النصارى، والعزير عند اليهود، والملائكة عند المشركين، إضافة لما ذهب إليه كل من اليهود والنصارى من أنهم أبناء الله تعالى.

أولا: اعتقاد النصارى بنوة المسيح لله تعالى.

أ- المسيح عليه السلام بين غلو اليهود ومغالاة النصارى.

لقد بين القرآن منذ البداية أن ما ذهب إليه النصارى من القول ببنوة المسيح لله تعالى إنما كان غلوا منهم في شأنه عليه السلام، وذلك في مقابلة غلو اليهود قبحهم الله تعالى في الانتقاص من قدره عليه السلام، فإن اليهود لما ذهبوا إلى اتهام الطاهرة مريم عليها السلام بالزنى، بل وتجاوزا ذلك إلى الادعاء بأنهم قتلوا المسيح عليه السلام صلبا، فقد قام النصارى بمواجهة ذلك الغلو بغلو مثله، فادعوا أن المسيح عليه السلام ابن الله تعالى، وأن صلبه كان بقرار من أبيه؛ تكفيرا عن خطايا البشر، فجاءت آيات القرآن الكريم كاشفة حقيقة ما ذهب إليه النصارى من القول ببنوته لله تعالى، ونافية لما نسبه اليهود له ولأمه زورا وبهتانا، ونافية في الوقت نفسه ما ادعاه اليهود، وصدقهم به النصارى من القول بصلبه عليه السلام.

فها هي آيات سورة آل عمران تبين طهارة السيدة مريم عليها السلام في جميع مراحل حياتها، بل قبل ولادتها من أمها التي نذرتها لعبادة الله سبحانه وتعالى ، وأعاذتها وذريتها من الشيطان الرجيم، فتقبل الله منها ذلك، واستجاب لمطلبها: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ

حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾[1]، وثمة إشارة لطيفة في هذا المقام فرزق السيدة مريم عليها السلام كان يأتيها على غير ما ألفه الناس، أي دون قاعدة الأسباب والمسببات، ولما كان الولد من الرزق فقد كان إنجابها لعيسى عليه السلام بتلك الطريقة المعجزة استمرارا لتلك الكرامات التي رافقتها منذ بدايات حياتها، وكأني بالقرآن يقول في هذا المقام إن الذي كان يرزق مريم بتلك الكيفية التي جعلت سيدنا زكريا عليه السلام يتعجب منها، هو نفسه القادر على أن يرزقها غلاما دون أن يكون لها أدنى علاقة بأي رجل كان، لتكون هي ومولودها آية من آيات الله تعالى الدالة على كمال قدرته ونفاذ أمره.

أما عن غلو اليهود لعنهم الله في الانتقاص من قدر المسيح عليه السلام فقد كانت عادتهم قتل أنبيائهم، وقد حاولوا ذلك مع المسيح عليه السلام، ولكن الله تعالى قد نجاه من محاولاتهم تلك، فعز عليهم ذلك، فادعوه كذبا، والغريب أن النصارى قد جعلوا أنفسهم في هذا المقام تلاميذ لليهود، فاليهود هم الأساتذة الذين اخترعوا قصة الصلب، والنصارى هم أولئك الطلبة السذج الذين تلقوا هذا الخبر على عواهنه، ثم حاولوا تفسيره على هواهم ليخدمهم في تلك العقيدة التي تسربت إليهم من الديانات الوثنية المختلفة، فجاء القرآن الكريم ينفي هذه الأسطورة من أساسها، مبينا رعايته تعالى للمسيح عليه السلام، وحفظه له، وذلك أمر تكفل الله تعالى به منذ البداية حين استجاب لدعوة امرأة عمران بحفظ مريم وذريتها من الشيطان الرجيم، يقول تعالى:

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ ﴾[2].

أما عن غلو النصارى في المسيح عليه السلام، ورفعه من مقام البشرية إلى مقام الألوهية فقد خاطبهم القرآن

---

[1] – آل عمران: ٣٥ – ٣٧.

[2] – النساء: ١٥٥ – ١٥٧.

قائلا: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾[1]فنجد هذه الآية تحذر أهل الكتاب من الغلو في الدين الذي يؤدي إلى الكفر، مقررة حقيقة الألوهية القائمة على التوحيد المطلق لله تعالى، ذلك التوحيد الذي لا ينسجم بحال من الأحوال مع الولادة واتخاذ الولد، فالله تعالى هو مالك السماوات والأرض ومن فيهن، فما حاجته إلى الولد؟

وهنا قضية في غاية الأهمية تطرقت لها هذه الآية وهي أنها وصفت عيسى عليه السلام بثلاثة أوصاف كان ينبغي على النصارى التوقف عندها، وعدم تجاوزها حتى لا يقعوا في الغلو، وهذه الأوصاف هي أنه رسول الله، وكلمته، وروح منه، أما الرسالة فالمقصود بها بين لا إشكال فيه، وأما أنه كلمة الله تعالى فالمقصود به أن تكوينه صادر بأمر تكويني من الله تعالى، والتي غالبا ما عبر عنها القرآن ب" كن"[2]، وأما روح منه فالمقصود بذلك أن روحه من الأرواح التي تعتبر عنصر الحياة، ولكنَّها أضيفت إلى الله تعالى لأنها وصلت إلى مريم عليها السلام دون توسط قاعدة الأسباب والمسببات[3]، وقد يكون المقصود بها النفخ، لأن عيسى عليه السلام قد تكون بنفخ جبريل بأمر من الله تعالى، وقد يكون معنى الروح الرحمة[4].

وهنا يتساءل صاحب التحرير والتنوير تساؤلا في غاية الأهمية فيقول:(ما حكمة وقوع هذين الوصفين هنا على ما فيهما من شبهة ضلّت بها النّصارى ، وهلاّ وصف المسيح في جملة القصر بمثل ما وصف به محمّد (صلى الله عليه وسلم) في قوله تعالى : (قل إنَّما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ) (الكهف : 110) فكان أصرح في

---

1 – النساء: ١٧١.

2 – يفسر الإمام الطبري الكلمة بالرسالة، قبل أن يشير إلى الرأي الذي يفسرها بقوله تعالى" كن". الطبري، جامع البيان(9/ 418).

3 – تم تناول هذه القضية سابقا، وقد أشار الباحث في ذلك الموضع إلى موقف الإمام الغزالي الموضح لهذه القضية ص(291)، ينظر كذلك ابن عاشور، التحرير والتنوير(6/ 52).

4 – الطبري، جامع البيان(9/ 419– 422). وابن عاشور، التحرير والتنوير(6/ 52– 53). والجاحظ، المختار في الرد على النصارى، ص(82).

بيان العبوديّة ، وأنفى للضلال)[1]. ويجيب عن ذلك التساؤل بأن وصفي الكلمة والروح قد وقعا في الأناجيل وصفا لعيسى عليه السلام، وقد كانا مفهومين على الوجه الصحيح في بداية الأمر، ولكن مع تقادم الزمن، وتغير أساليب اللغات ساء فهم النصارى لأساليب الحقيقة والمجاز، وتسرب الضلال إليهم، فأراد القرآن أن ينبه إلى الحقيقة، وهي أنه لا يوجد في هذين اللفظين ما يؤدي إلى الاعتقاد أن المسيح ابن الله وأنه إله[2].

قلت وبهذا تظهر قوة الموقف القرآني فلو كان للقوم أدنى شبهة بهذين اللفظين لأعرض القرآن عنهما إلى غيرهما، ولكن مجرد استخدامه لهما للدلالة على بشرية المسيح عليه السلام يعتبر دليلا على غلو النصارى فيما ذهبوا إليه.

ب– بيان حقيقة المسيح عليه السلام للرد على عقيدة البنوة الفاسدة

يعمد القرآن الكريم في الكثير من آياته إلى بيان حقيقة المسيح كأسلوب من أساليب نقض تلك العقيدة الفاسدة التي يعتقدها النصارى، ويمكن حصر هذه الحقيقة في الأمور التالية:–

1. بشرية المسيح عليه السلام.
2. عبودية المسيح لله تعالى.
3. رسالة المسيح عليه السلام.

بينت الآيات أن المسيح عليه السلام مخلوق من خلق الله تعالى، خلقه كما خلق غيره من المخلوقات بذلك الأمر التكويني بقوله تعالى" كن"[3]، وهو خاضع لحكم الله تعالى الذي له ملك السماوات والأرض، فهو الذي يحكم ولا معقب لحكمه:﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ

---

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير(6/ 53). وانظر سابقا ص(274) مطلب الأقانيم.
[2] – المرجع السابق نفسه.
[3] – آل عمران: 47

﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾[1]، فالمسيح كغيره من المخلوقات خاضع لحكم الله تعالى، يجري عليه ما يجري عليهم من الجوع والعطش، وتناول الطعام والشراب، وكل ذلك من باب الاحتياج الذي لا يليق إطلاقا بمقام الألوهية:﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[2].

أما عبوديته عليه السلام لله تعالى فغالبا ما يسوقها القرآن على لسان المسيح نفسه، ليكون ذلك أبلغ في تقرير الحقيقة، وزجر النصارى عن ذلك الباطل:﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾[3]، وقد صرح عليه السلام بهذه الحقيقة منذ أن كان في مهده، بل بيَّن أن من ضمن عبادته لله تعالى تكليفه بالصلاة والزكاة ما دام حيا:﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾[4].

وكذلك رسالته فقد بينها القرآن الكريم في الكثير من الآيات القرآنية، بل وبينت أنه كغيره من الرسل شأنه شأنهم، فهو رسول قد خلت من قبله الرسل[5]، وقد تلقى الوحي وبلغه عن الله تعالى، كما هو حال إبراهيم وموسى ومحمد عليهم صلوات الله وسلامه:﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ

---

[1] – المائدة: ١٧.
[2] – المائدة: ٧٥.
[3] – المائدة: ٧٢.
[4] – مريم: ٣٠-٣١
[5] – المائدة: 75.

﴿ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾[1]، وبالتالي فليس من ميزة تميزه عنهم حتى يرتفع من مقام البشرية إلى مقام الألوهية.

ج- القرآن الكريم يكشف عن مستندات النصارى في عقيدة البنوة ويبطلها

تناول القرآن في حديثه عن عقيدة النصارى بنوة المسيح لله تعالى اثنين من المستندات التي يستند إليها النصارى في عقيدتهم تلك، أولهما: خلق المسيح من غير أب، وثانيهما: تلك المعجزات التي أجراها الله تعالى على يد المسيح عليه السلام.

أما المستند الأول فقد أبطله القرآن في موضعين، أولهما عندما وصف المسيح بأنه آية من آيات الله تعالى[2]، وذلك أن الله تعالى خلق آدم من غير أب ولا أم، وخلق حواء من رجل دون امرأة، وخلق بقية البشر من رجل وامرأة، فكان مما يدل على كمال قدرته أن يخلق إنسانا من امرأة دون رجل، وذلك هو المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام [3].

أما الموضع الثاني ففي سورة آل عمران، وذلك فيما نزل من الآيات تعقيبا على مجيء وفد نصارى نجران إلى النبي ﷺ ، ومجادلتهم له في شأن عيسى عليه السلام، حيث كان يتولى هذه المهمة نيابة عن ذلك الوفد حبران من أحبارهم، فلما طلب منهما النبي ﷺ أن يسلما، قالا: قد أسلمنا. فقال: لما تسلما فأسلما، قالا: بل، قد أسلمنا قبلك. قال: كذبتما، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولدا، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير، قالا: فمن أبوه يا محمد؟ فصمت النبي ﷺ ، فلم يجبهما، فأنزل الله تلك الآيات[4]، ومن ضمنها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾[5]، وهذا جواب مستمد من الواقع، متناسب مع الفطرة السليمة، وكأني بالقرآن الكريم يخاطبهم قائلا: إذا كنتم قد ادعيتم أن المسيح ابن الله تعالى،

---

1 – الشورى: ١٣.

2 – سورة مريم: 21. وسورة المؤمنون: 50

3 – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(3/ 238).

4 – ابن هشام، السيرة النبوية، (2/ 185 وما بعدها)

5 – آل عمران: ٥٩.

وأنه إله لمجرد أنه ولد من غير أب، فإن آدم عليه السلام أولى بذلك منه؛ فقد خلق من غير أب ولا أم، وبالتالي فلتقولوا إن آدم عليه السلام هو أيضا ابن الله تعالى، وإنه إله، كما هو شأن عيسى عندكم.

قلت وهذا الذي أشار إليه القرآن شاهد على أن دين النصارى إنما هو تابع لأهوائهم، فإن آدم عليه السلام في أناجيلهم مثله مثل المسيح عليه السلام قد وصف بأنه ابن الله تعالى[1]، ومع أن أناجيلهم تبين سبب إطلاق تلك التسمية، وهو تلك الطريقة العجيبة في خلقهما الخارجة عما اعتاده الناس من التقاء نطفة الرجل بماء المرأة في ظروف مناسبة لحصول الحمل[2]، إلا أن النصارى ودون سبب مقنع غالوا في المسيح عليه السلام، فرفعوه إلى مقام الألوهية، في الوقت الذي أبقوا فيه آدم ضمن نطاق البشرية، لا بل جعلوه سببا لشقاء البشرية بتلك الخطيئة التي توارثتها عنه[3]، فالعجب كل العجب مما يفعله النصارى في دينهم، وكأني بهم قد اتخذوا على أنفسهم عهدا بمخالفة العقل والمنطق الصحيح في جميع عقائدهم.

وأما استناد النصارى على معجزات المسيح للقول إنه ابن الله تعالى، فقد تناوله القرآن الكريم في أكثر من موضع، وبين أن تلك المعجزات إنما كانت تجري على يد المسيح عليه السلام بأمر الله سبحانه وتعالى، ونجد القرآن يستنطق المسيح في هذا المقام، ليصرح بأن تلك المعجزات التي كان يأتي بها إنما كانت بإذن الله تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ ﴾[4]، وفي سورة المائدة نجد الله تعالى يتمنن على المسيح بتلك المعجزات: ﴿ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ

[1] – لو[3: 38].

2 – لو[1: 35]

[3] – انظر سابقا مطلب الأقانيم ص(274)..

[4] – آل عمران: ٤٩ – ٥٠.

ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾[1]، ومن كان محلا للمنة قابلا لها فليس برب ولا إله، وإنما هو مربوب لمن تمنن وتفضل عليه، وشأنه في ذلك شأن غيره من رسل الله تعالى، الذين أجرى على أيديهم المعجزات، وجعلهم شهداء على خلقه، وسيجمعهم يوم القيامة ليكونوا شهودا على مدى استجابة الناس لهم.

قلت وهذا الذي صرح به القرآن ما زال موجودا في كتب القوم، وقد جاء التصريح به على لسان أخص تلاميذ المسيح عليه السلام وأعني به بطرس، فقد جاء على لسانه في سفر أعمال الرسل[أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ اسْمَعُوا هذِهِ الأَقْوَالَ: يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرْهَنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللهِ بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبَ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا اللهُ بِيَدِهِ فِي وَسْطِكُمْ، كَمَا أَنْتُمْ أَيْضًا تَعْلَمُونَ][2]، وهذا النص مصرح بأن المسيح عليه السلام رجل، وبالتالي فهو بشر وليس له شيء من الألوهية، ومصرح كذلك أن تلك العجائب التي كانت تجري على يده إنما هي من الله تعالى، وإنما أجراها على يده لتكون برهانا على صدقه فيما ادعاه.

بقي أن أشير إلى أن القرآن كثيرا ما يعبر عن المسيح عليه السلام ب" عيسى بن مريم"[3] أو" المسيح بن مريم"[4] أو" ابن مريم"[5] وكل ذلك تذكير من القرآن بولادته وبشريته، ونفي لبنوته التي يزعمها النصارى.

ثانيا: اعتقاد اليهود أن عزيرا ابن الله تعالى[6]

لقد نسب القرآن الكريم إلى اليهود اعتقادهم أن عزيرا ابن الله تعالى، وذلك في سورة براءة حيث يقول

---

1 – المائدة: ١١٠.

2 – أع[2: 22].

3 – سورة البقرة: 87، 253. وآل عمران: 45. والنساء: 157، 171. والمائدة: 47، 78، 110، 112، 114، 116. ومريم: 34. والأحزاب: 7. والحديد: 27. والصف: 6.

4 – سورة المائدة: 17، 72، 75. وسورة التوبة: 31.

5 – سورة المؤمنون: 50. وسورة الزخرف: 57.

6 – تم تناول هذا الموضوع سابقا بشكل مفصل عند الحديث عن عقيدة البنوة عند اليهود. ص(202 وما بعدها).

تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[1].

ومن المفارقات التي تلفت النظر في هذا المقام أن القرآن لم يذكر هذا المعتقد إلا في آية واحدة، وقد ذكره مقترنا باعتقاد النصارى بنوة المسيح لله تعالى، في مقابل الكثير من الآيات التي تناولت عقيدة النصارى ، وأزهقتها وبينت زيفها، وإنه لأمر يدعو إلى الدهشة والاستغراب، ولعل السر في ذلك يعود إلى عنصرية اليهود وانعزاليتهم، ونظرهم إلى دينهم على أنه ميراث لهم دون غيرهم من الأمم[2]، وبالتالي فإن فساد هذا المعتقد مقتصر على اليهود في المقام الأول، فاكتفى القرآن الكريم بالإشارة إلى الجذور الوثنية لذلك المعتقد عند كل من اليهود والنصارى على حد سواء، بينما نجد النصارى قد خرجوا بدعوتهم من دعوة خاصة ببني إسرائيل إلى دعوة عالمية، سولوا للناس اتباعها من خلال إيهامهم بتقديم الخلاص لهم دون أي تبعات تثقل عواتقهم، مع الاقتراب إلى حد بعيد من تلك العقائد الوثنية التي يعتقدها أولئك الناس[3]، الأمر الذي جعل الناس يتحولون بكثرة إلى النصرانية، سيما وأنه قد رافق تلك الفترة غياب للدين الفطري الذي يناسب الناس ويلبي احتياجاتهم، فكان لا بد من الوقوف طويلا مع عقيدة النصارى في بنوة المسيح لله تعالى.

وقد جاء في الحديث الصحيح إشارة إلى هذا المعتقد، وذلك في حديث الرؤية حيث أخرج البخاري في الحديث الذي يرويه عن أبي سعيد الخدري:(.... ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب فيقال لليهود ما كنتم تعبدون ؟ قالوا كنا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد.. ثم يقال للنصارى ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد)[4].

هذا وقد رد القرآن الكريم ببيان حقيقة النبوة على فساد معتقد البنوة عند كل من اليهود والنصارى،

---

1 – التوبة: ٣٠.
2 – انظر سابقا، ص(229).
3 – انظر سابقا، ص(97).
4 – محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة، د. ط، دار الفكر، بيروت 1401هـ– 1981م، (7/ 179). ومسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، حديث رقم(302)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، د. ط، دار الجيل+ دار الآفاق، بيروت، د. ت. ن (1/ 115).

فبين أنه لا يمكن بحال من الأحوال أن يرسل الله تعالى نبيا،فيأمر ذلك النبي الناس أن يعبدوه هو أو غيره من دون الله تعالى، فمن أخص أوصاف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تبليغ الرسالة بمقاصدها كاملة كما أمر بها رب العالمين، والمقصد الأول والأخير من جميع الرسالات السماوية هو عبادة الله وحده لا شريك له: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[1].

ثالثا: اعتقاد اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه

كان مما نسبه القرآن الكريم لكل من اليهود والنصارى قولهم إنهم أبناء الله وأحباؤه، يقول تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾[2]، وهذه البنوة التي جعلوها لأنفسهم هي ما تناولتها في بعض مباحث الفصل المعنون ب" نسبة الأبناء إلى الله تعالى في الكتاب المقدس، وهي وإن لم تكن بنوة كتلك البنوة التي جعلوها لكل من العزير والمسيح، إلا أنها بنوة قد رفعتهم فوق غيرهم من البشر، وهي كما يقول عنها سيد قطب: فزعموا لله– سبحانه– أبوة على تصور من التصورات، إلا تكن أبوة الجسد فهي أبوة الروح، وهي أيا كانت تلقي ظلا على عقيدة التوحيد، وعلى الفصل الحاسم بين الألوهية والعبودية[3].

وقد رد القرآن الكريم هذه البنوة بالحقائق التالية:

1: ما يقع عليهم من العذاب في الدنيا والآخرة خير شاهد على بطلان تلك البنوة التي يدعونها، فلو كانوا أبناء لله تعالى، لما عذبهم.

---

1 – آل عمران: ٧٩ – ٨٠.

2 – المائدة: 18

3 – سيد قطب، في ظلال القرآن، (6/ 866).

2: ببيان حقيقتهم بأنهم كغيرهم بشر من خلق الله تعالى، وهي حقيقة محسوسة لا مراء فيها، وبالتالي فهم كغيرهم من جهة المغفرة والعذاب.

3: ببيان حقيقة الألوهية، فلله تعالى ملك كل شيء، منه مبدأه وإليه منتهاه فلا حاجة به إلى الأبناء.

وقد بين لنا القرآن الكريم بعض آثار تلك البنوة التي ادعاها كل من اليهود والنصارى لأنفسهم، فقد ادعوا أن النار لن تمسهم إلا أياما معدودات، فقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[1] . ثم بين سبحانه وتعالى في سورة آل عمران المستند الزائف الذي استندوا إليه وهو الركون إلى تلك البنوة التي ادعوها لأنفسهم فقال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[2] ، أي إن الذي أدى بهم إلى هذا الغرور وتلك الدعاوى الزائفة هو افتراء تلك النسبة التي زعموها بينهم وبينه تعالى، وهي أنهم أبناؤه[3].

ومن الآثار التي بنوها على ذلك الزعم أنهم جعلوا الجنة حكرا عليهم، فزعمت اليهود أنه لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا، وزعمت النصارى أنه لن يدخلها إلا من كان نصرانيا: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾[4] وذلك أن كلا من الفريقين جعل الهداية مقصورة عليه، فجاء القرآن مكذبا لذلك الزعم بقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾[5] .

---

1 – البقرة: 80.
2 – آل عمران: 24
3 – الطبري، جامع البيان، (6/ 292).
4 – البقرة: 111
5 – البقرة: 135.

ومن تلك الآثار كذلك أنهم أباحوا لأنفسهم جميع صنوف المعاملة السيئة مع المخالفين، فقال بعضهم: ﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[1] ، وهذا الذي قالوه إن كان ينصرف إلى اليهود بداية حيث إنه ظاهر على لسان حالهم ولسان مقالهم[2]، فهو كذلك يصدق على النصارى حيث تاريخهم شاهد، وما زال يشهد على أنهم يبيحون لأنفسهم كل صنوف المعاملة السيئة مع المخالفين.

رابعا: اعتقاد المشركين أن الملائكة بنات الله تعالى.

نسب القرآن في بعض آياته إلى المشركين اعتقادهم أن الملائكة إناث وأنهم بنات الله تعالى، يقول تعالى في سورة النحل: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[3]، وفي سورة الإسراء: ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[4]وفي سورة الزخرف: ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ۚ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ ﴾[5]، يقول ابن كثير:(أخبر تعالى عنهم أنهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا، وجعلوها بنات الله، وعبدوها معه، فأخطأوا خطأ كبيرًا في كل مقام من هذه المقامات الثلاث)[6]، أي أنهم أخطأوا في جعل الملائكة إناثا، وفي جعلها بنات الله تعالى، وفي عبادتها معه سبحانه وتعالى.

ولم يكتف المشركون بذلك بل قسموا الأولاد إلى ذكر وأنثى، والذكر أشرف عندهم من الأنثى، فأعطوا أنفسهم الأشرف بنظرهم، وأعطوا لله تعالى الأخس. وقد رد القرآن الكريم عليهم من وجهين[7]:-

---

1 – آل عمران: 75.

2 – انظر سابقا ملامح الموقف اليهودي تجاه غير اليهود. ص(246).

3 – النحل: ٥٧.

4 – الإسراء: ٤٠ .

5 – الزخرف: ١٥ – ١٦.

6 – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(2/ 554).

7 – عبد الحق بن عطية، المحرر الوجيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1422هـ– 2001م،(5/ 49).

أولهما: نسبة النسل إلى الله تعالى، وقد تقدم أن الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء ومليكه فلا حاجة به إلى النسل.

ثانيهما: أنهم نسبوا من النسل الأخس إلى الله تعالى. وذلك أنهم كانوا ينظرون إلى البنت في جاهليتهم نظرة فيها من النقص ما فيها، فكان من رزق ببنت منهم يظل وجهه مسودا من الحزن، وبعد ذلك إما أن يبقيها حية متحملا الإهانة من ذلك المجتمع المنحرف، وإما أن يدفنها حية، للتخلص من ذلك العار الذي التصق به،يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[1]، وقد تناسوا تلك النظرة التي كانوا ينظرونها إلى البنات، والتي فيها من الاحتقار ما فيها، تناسوا ذلك، وجعلوا الملائكة بنات لله تعالى. فانظر إليهم قد نسبوا إلى الله تعالى ما لم يقبلوه لأنفسهم.

[1] – النحل: ٥٨ – ٥٩

المطلب الثالث: الوحي يكشف عن الجذور الوثنية لعقيدة البنوة عند النصارى

أشار القرآن الكريم بين طيات حديثه إلى قضية من أهم القضايا في مجال الدراسات الدينية فيما يتعلق بكل من اليهودية والنصرانية، وهذه القضية هي التأثر بالديانات الوثنية التي عرفها واتصل بها كل من اليهود والنصارى، وتعتبر عقيدة البنوة مثالا واضحا على ذلك الأثر الذي تركته الديانات الوثنية في كل من الديانتين اليهودية والنصرانية.

ففي سورة المائدة وبعد أن بين الله كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بين مريم، وكفر من قال ثالث ثلاثة" الأقانيم"، ودعاهم إلى التوبة من ذلك الذنب العظيم، وبعد أن نصت الآيات على التصور الصحيح للمسيح عليه السلام وأمه، وذلك أنه رسول من الله تعالى، وأمه صديقة، وأنهما لم يفارقا مقام البشرية إطلاقا، ودليل ذلك حاجتهما للطعام والشراب، ولا يخفى ما في هذه الحاجة من النقص، والتناقض مع مقام الألوهية، ومن كان هذا حاله فلا نفع ولا ضرر بيده، وإنما النفع والضرر بيد رب العالمين، وهو الوحيد المستحق للعبادة، بعد ذلك كله جاء الأمر الإلهي لأهل الكتاب بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾[1]، ويبدو أن المفسرين المسلمين يكادون يجمعون على أن المقصود بالذين ضلوا من قبل وأضلوا هم اليهود، أو الأسلاف من اليهود والنصارى[2]، قلت: الذي يحدد ذلك هو المخاطب بهذه الآية فإن كان النصارى، فيحتمل أن يكون المقصود بالذين ضلوا من قبل هم اليهود، والاتباع هنا يكون بالغلو، فاليهود قد غلوا في الانتقاص من قدر المسيح وأمه، فاتبعهم النصارى بغلو أيضا، ولكن بغلو مختلف وهو رفع المسيح من مقام البشرية إلى مقام الألوهية، وإن كان الخطاب لكل من اليهود والنصارى، فإن المقصود بالذين ضلوا من قبل هم أسلافهم، الذين أدخلوا تلك المعتقدات الفاسدة

---

[1] – المائدة: ٧٧.

[2] – انظر على سبيل المثال: الطبري، جامع البيان(10/ 488) وابن كثير، تفسير القرآن العظيم(2/ 78) والحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، تحقيق محمد عبد الله وعثمان جمعة وسليمان مسلم، ط4، دار طيبة للنشر، المدينة المنورة 1417هـ– 1997م، (3/ 83) وابن عاشور، التحرير والتنوير(6/ 290، 291)، ومحمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق هشام البخاري، د. ط، دار عالم الكتب، الرياض 1423هـ– 2003م(6/ 252).

إلى دينهم. وهنا نتساءل: من أين جاء أسلافهم بتلك المعتقدات الفاسدة؟ فلا بد وأن يكون الجواب إنما أتوا بها من تلك الديانات الوثنية التي احتكوا بأصحابها، وهنا لا بد من الانتقال بتفسير هذه الآية إلى معنى جديد تحتمله، وهو أن يكون الذين ضلوا وأضلوا، ونهي أهل الكتاب عن اتباعهم إنما هم أصحاب الديانات الوثنية.

هذا وإن كان المفسرون لم ينصوا على أن الذين ضلوا وأضلوا هم أهل الديانات الوثنية السابقة والمعاصرة لتلك الديانتين في تفسيرهم للآية السابقة، فلقد نصوا على ذلك في آية سورة التوبة، والتي فتحت الباب على مصراعيه للدخول إلى مباحث العلاقة ما بين كل من اليهودية والنصرانية من جهة والديانات الوثنية من جهة أخرى، فلقد نسبت تلك الآية لكل من اليهود والنصارى معتقد البنوة، حيث اليهود يقولون عزير ابن الله، والنصارى يقولون المسيح ابن الله، ثم كشفت الآية عن المصدر الحقيقي لتلك العقيدة الوثنية، وهو عقيدة البنوة التي كانت سائدة عند أهل الديانات الوثنية المختلفة، يقول تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[1]، يقول ابن كثير: إن المقصود بالذين كفروا من قبل هم الذين قبل اليهود والنصارى من الأمم[2]، ويقول ابن عاشور: هم المشركون من العرب ومن اليونان وغيرهم[3]، وبالجملة فثمة أقوال ثلاث ذهب إليها المفسرون في بيان المقصود بالذين كفروا من قبل:

1. عبدة الأوثان.
2. الكفرة الذين قالوا الملائكة بنات الله تعالى.
3. أسلاف اليهود والنصارى[4].

قلت والاختلاف ما بين المفسرين إنما هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، وبالتالي فلا يوجد مانع من أن يكون المقصود بالذين كفروا من قبل كل من اعتقد عقيدة البنوة، ويؤيد هذا ما رأيناه سابقا من تأثر

---

[1] – التوبة: ٣٠.
[2] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (2/ 333).
3 – ابن عاشور، التحرير والتنوير (10/ 169).
[4] – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (8/ 118)

عقيدة البنوة عند كل من اليهود والنصارى بجوانبها المختلفة بما كان موجودا عند أهل الديانات الوثنية.

ولقد كان القرآن الكريم سباقا إلى فتح هذا الباب، بل وربما كان له الأثر الكبير في ظهور الكثير من الأبحاث التي تتناول هذه القضية، ليس فقط عند الباحثين المسلمين، وإنما عند الكثير من الباحثين الغربيين، بل أصبحت هذه القضية عنوانا للكثير من البحوث[1]، وهذا ما دعاني من قبل لتناول عقيدة البنوة في الديانات الوثنية، ومحاولة تلمس العلاقة بينها وبين عقيدة البنوة عند أهل الكتاب.

وبناء على ما تقدم عند الحديث عن الجذور الوثنية لعقيدة البنوة عند كل من اليهود و النصارى يستطيع المرء أن يقول وبدون أدنى ريب إن عقيدة البنوة ليست بأي شكل من الأشكال عقيدة أصيلة في كل من هاتين الديانتين، ولكنَّها أدخلت إليهما تحت تأثير العقائد الوثنية التي مارست الضغوط عليهما عبر مراحل تاريخية مختلفة، بل في كثير من الأحيان كان ذلك يتم بشكل واع ومدروس، له غاياته وأهدافه، فأحبار اليهود قد أقحموا ذلك المعتقد في دينهم، لإقناع اليهود بأنهم أبناء الإله، وأنهم شعب مقدس له، وبالتالي فلا ينبغي أن يختلطوا بغيرهم حتى لا يتدنسوا، وبذلك يبقى ذلك الشعب في عزلته فلا يذوب ويتلاشى بين الشعوب الأخرى، ورهبان النصارى وبولس في مقدمتهم قد مارسوا ذلك بمكر ودهاء، وذلك لاجتذاب الأتباع من أولئك الذين كانت عقيدة البنوة منتشرة في أوساطهم، ومن هنا يبدو حرص بولس على التخلص من كتب الوثنيين بإحراقها[2]، وربما كان ذلك محاولة منه لإخفاء المصادر الحقيقة التي استمد منها هذه العقيدة الفاسدة، وقد استمرت الكنيسة وآباؤها[3] من بعده

---

[1] من ذلك على سبيل المثل البحوث التالية:

1. ليو تاكسل، التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير.
2. سهيل قاشا، أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية، ط1، بيسان للنشر، بيروت 1998م.
3. كارم محمود عزيز، التوراة وأساطير التجسد.
4. دانييل باسوك، المسيحية وأساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم.
5. نايتون، الأصول الوثنية للمسيحية.
6. براون، نظرة عن قرب للمسيحية.
7. محمد بن طاهر التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، تحقيق محمد الشرقاوي، د. ط، دار الصحوة، القاهرة، د. ت.ن.

2 – أع[19: 19].

3 – من ذلك على سبيل المثال أن القديس جيروم كان يقول: إن المسيح قد ولد في نفس المكان الذي ولد فيه أدونيس ، وأن بيت لحم في تلك الأيام كانت تظلها غابة مقدسة تدعى غابة أدونيس، بل لقد ولد المسيح في نفس المغارة التي ولد فيها أدونـــيس. نايتون، الأصول الوثنية للمسيحية، ص(33).

على هذا النهج، فلم تظهر عداءها التام للوثنية، بل كانت تبتلع العناصر الوثنية، وتضفي عليه طابعها الخاص لاستقطاب أتباع الديانات الوثنية[1].

وإذا كان الأمر كذلك فلنا أن نتساءل في هذا المقام عن تلك النصوص التي تنسب الأبناء إلى الله تعالى، أهي من باب الاختلاف في اللغات كما ذهب إليه البيروني بقوله: (وهكذا اسم" الأبوة والبنوة" فإن الإسلام لا يسمح بهما، إذ الولد والابن في العربية متقاربا المعنى، وما وراء الولد من الوالدين والولادة منفي عن معاني الربوبية، وما عدا لغة العرب يتسع لذلك جدا حتى تكون المخاطبة فيها بالأب قريبة من المخاطبة بالسيد)[2]. أم هي من باب اختلاف الشرائع كما أشار إلى ذلك الإمام الغزالي بقول:(إن مثل هذا المجاز السالف وهو إطلاق لفظ الحلول وإطلاق أنا والآب واحد لم يؤذن لصاحب شرعنا– يعنى نبينا محمدا ﷺ – ولا لأحد من أمته باستعماله ألبتة، لكن عيسى صاحب شريعة، وكل شريعة اختصت بأحكام، وحيث أطلق هذه النصوص واعتذر عن توهم إرادة ظواهرها بضربه لهم المثل دل على أنه أذن له بإطلاقها واستعمال المجاز المذكور وكذلك إطلاق الأبوة والبنوة)[3].

أم هي من كلا البابين كما أشار الجاحظ من قبلهما إلى رأي ارتضاه بعض متكلمي المعتزلة بقوله: (وقد رأيت بعض المتكلمين يجيز ذلك، ولا ينكره إذا كان ذلك على سبيل التبني والتربية والإبانة بلطف المنزلة والاختصاص له بالمرحمة والمحبة لا على جهة الولادة واتخاذ الصاحبة..... وزعم أن الله يحكم في الأسماء بما أحب، كما أن له أن يحكم في المعاني بما أحب، وكان يجوز دعوى أهل الكتاب على التوراة والإنجيل والزبور وكتب الأنبياء عليهم صلوات الله في قولهم[4]....في أمور عجيبة، ومذاهب شنيعة تدل على سوء عبارة أهل اليهود، وسوء تأويل أصحاب الكتب وجهلهم مجازات الكلام وتصاريف اللغات ونقل لغة إلى لغة، وما يجوز على الله وما لا

---

1 – نايتون، الأصول الوثنية للمسيحية، ص(24).

2 – البيروني، في تحقيق ما للهند من مقولة..، ص(18).

3 – الغزالي، الرد الجميل، ص(124).

4 – يقصد بذلك تلك النصوص التي تنسب الأبناء إلى الله تعالى.

يجوز)[1].

وكأننا أمام وجهة نظر مفادها أن تلك النصوص التي تنسب الأبناء إلى الله تعالى هي صحيحة من حيث اللفظ، ولكن ظواهرها غير مرادة، واللغات التي كتبت بها تلك الكتب تسمح بذلك، وشرائع الأنبياء التي نزلت عليهم تلك الكتب تسمح بذلك أيضا، وكان الخلل الذي وقع فيه أهل الكتاب أنهم حملوا تلك النصوص على ظواهرها، في الوقت الذي كان يجب فيه تأويل النصوص بما يتماشى مع تنزيه الله تعالى، الأمر الذي قادهم إلى تلك الشنائع في دينهم.

وكأني بهذه القضية تطرح بصيغة أخرى ومفادها: هل يجوز نسبة الأبناء إلى الله تعالى على جهة التبني لا على جهة الولادة؟ ولعل ما ذهب إليه الجاحظ يقدم لنا جوابا شافيا حول هذا التساؤل، يقول: (وأما نحن– رحمك الله– فإنا لا نجيز أن يكون لله ولد لا من جهة الولادة، ولا من جهة التبني، ونرى أن تجويز ذلك جهل عظيم وإثم كبير)[2]، ثم يسوق الجاحظ مجموعة من الأدلة على القول الذي ارتضاه، وهي:

أولا: لو جاز أن يكون الله أبا لجاز أن يكون عما وخالا وجدا، وهو ما لم يقل به أحد.

ثانيا: أن المولى لا يخلو في رفع عبده وإكرامه من أحد أمرين: الأول: أنه لا يقدر على ذلك إلا بهوان نفسه، وذلك هو العجز وضيق الذرع، والثاني: أن يكون قادرا على ذلك، ولكنَّه آثر ابتذال نفسه والحط من شرفه، وهذا هو الجهل الذي لا يحتمل، وكلا الأمرين محال على الله تعالى.

ثالثا: لو كان الله تعالى قد أنزل في كتب أهل الكتاب تلك النصوص التي تنسب له الأبناء لما سجل عليهم غضبه في القرآن الكريم إذ قالوا نحن أبناء الله.

رابعا: إذا كان الله قد استنكر على المشركين قولهم إن الملائكة بنات الله مع أنهم لم يقولوا بالبنوة الحسية، فكيف به يكون قد أنزل تلك النصوص التي تنسب له الأبناء.

قلت والذي ذهب إليه الجاحظ هو الصواب، ويشهد لذلك أننا لم نر تلك اللغات وتلك الشرائع التي اعتقد البعض أنها تبيح مثل هذه الاستخدامات، لم نرها تجيز إطلاق العم والخال والجد على الله تعالى، ويشهد

---

[1] – الجاحظ، المختار في الرد على النصارى، ص(72، 73).
[2] – المصدر السابق، ص(73– 75)

لذلك أيضا أن السماح بتلك التعبيرات يعتبر متناقضا مع مبدأ سد الذرائع، حيث إن السماح بتلك التعبيرات في أي زمان وفي أي لغة كانت يعتبر بابا تدخل منه تلك الاعتقادات الفاسدة، بل ويجد أصحابها مستندا يستندون إليه، ويشهد لذلك أيضا أن إضافة الأبناء إلى الله تعالى وبأي وجه كان يعتبر مساسا بمقام الألوهية، وإساءة له، وهو ما جاءت جميع الرسالات السماوية لدحضه وتأكيد الفرق والتمايز ما بين مقامي الألوهية والعبودية.

ومن هنا فقد كان القرآن واضحا وصريحا في نفي ذلك عنه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١ ﴾[1].

حيث جاء نفي الولد بصيغة التنكير، ليكون ذلك نافيا لنسبة الأبناء إليه تعالى بأي وجه كانت، وهذا هو شأن جميع الآيات التي جاءت تنفي هذا النقص عنه سبحانه وتعالى.

وبناء على ما تقدم فإنني أؤمن إيمانا لا يخالطه شك بأن جميع تلك النصوص التي في كتب أهل الكتاب، والتي تنسب الأبناء إلى الله تعالى ليست مما أنزله الله تعالى، وأنها زيادات زادها أهل الكتاب على نصوصهم المقدسة، وبالتالي فهي من باب التحريف اللفظي.

---

[1] – المؤمنون: ٩١.

المبحث الثاني : أهمية القرآن الكريم في دراسة اليهودية والنصرانية وتصحيحهما

تمهيد

المطلب الأول: علاقة القرآن بالكتب السماوية السابقة

المطلب الثاني : حاجة البشرية للقرآن الكريم في دراسة ديانتي أهل الكتاب وتنقيتهما من العقائد الوثنية .

تمهيد

من المتفق عليه بين الباحثين المسلمين وغير المسلمين أن ديانتي أهل الكتاب كانتا في الأصل تقومان على التوحيد الخالص لله تعالى، والذي يشكل جوهر جميع الرسالات السماوية، فما من نبي ولا رسول أرسله الله تعالى إلا وكان التوحيد هو مقصد رسالته: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[1]وهذا التوحيد هو الذي جعل جميع الأنبياء وأتباعهم أمة واحدة، همها المحافظة على التوحيد الخالص لله تعالى من أن تشوبه شائبة:﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾[2].

ولكن الأمم السابقة لم تحافظ على هذا المقصد، بل لقد شابَهُ الكثير من التبديل والتغيير، وذلك أن تلك الأمم قد تطاول عليها العمر، وتعرضت لما تعرضت له، فكان ذلك التغيير والتبديل، ومن أهم ملامح ذلك التغيير والتبديل تسرب العقائد الوثنية إلى هاتين الديانتين، وكان من الممكن تنقيتهما من ذلك لو سلمت الكتب التي نزلت إلى كل من اليهود والنصارى من التحريف، ولكن تلك الكتب طالها ما طال تلك الديانتين من قبل، وغالبا ما كان ذلك بأيدي أصحابها الذين انحرفت عقائدهم، فحاولوا الاستدلال على تلك العقائد الفاسدة بنصوص كتبهم المقدسة، ولما لم يستطيعوا ذلك فقد قاموا بالتلاعب بتلك الكتب وتحريفها على صعيدي اللفظ والمعنى، وقد مر معنا بين طيات هذا البحث ذلك الأثر الكبير الذي كان لعقيدة البنوة على نصوص أهل الكتاب.

وقد شعر الباحثون في تاريخ الأديان بذلك الخلل فحاولوا البحث عن سبل لبيانه، فلجأوا إلى التاريخ، ولجأوا إلى نقد تلك النصوص، ولكن ذلك لم يسعفهم، إلا في مقدمات ظنية لا يمكن الاعتماد عليها في الوصول إلى حقائق قاطعة، ولقد كان بإمكانهم أن يسلكوا سبيلا أيسر من ذلك كله، ألا وهو الاعتماد على القرآن الكريم، حيث إنه يجتمع مع تلك الكتب في مصدرها، وهو متأخر عنها نزولا، ولكن تعصب القوم منعهم من ذلك ردحا طويلا من الزمن.

ومع تقدم وسائل العلم والمعرفة لم يعد بإمكان أحد أن يضع رأسه في التراب متجاهلا القرآن الكريم،

---

[1] – الأنبياء: ٢٥.

[2] – الأنبياء: ٩٢.

والدور الذي يمكن أن يقوم به في هذا المجال، فأصبحنا نرى الباحثين الغربيين قد بدأوا يتوجهون إلى القرآن الكريم بهدف معرفة تلك الديانات كما نزلت أول أمرها، وأكتفي في هذا المقام بالكاتبة الكندية" باربارا براون" صاحبة كتاب" نظرة عن قرب في المسيحية" ولنترك تلك الباحثة تتكلم عن نفسها، تقول:(لقد نشأت كمسيحية وترعرعت في كنف طائفة بروتستانتية... ورغم الخلفية الدينية الشاملة: صلاة في الكنيسة مرتين كل يوم أحد وفي العطلات، وتعليم مسيحي خاص يوم الأحد، ومدارس صيفية لدراسة الكتاب المقدس، ومعسكرات دينية، ودروس عقائدية كنسية ومجموعات شباب مسيحية، فقد وجدت نفسي تواجه أسئلة عديدة بخصوص أسس عقيدتي لم يستطع أي شخص ولا أية طريقة من التعليم الديني أن تجيب عليها، ولمدة سبع وثلاثين سنة كنت تائهة في ضباب هذا الارتياب بخصوص الله والطريقة الصحيحة لعبادته حتى استطعت في عام**1991** أن أكتشف الإسلام)[1].

بعد ذلك توجهت هذه الباحثة وفي ضوء الحقائق التي يقدمها القرآن الكريم حول ديانتي أهل الكتاب بكتابة بعض البحوث حول بعض القضايا النصرانية، فكتبت" ثلاثة في واحد" نظرة إلى العقيدة المسيحية في التثليث، و" نظرة عن قرب إلى الديانة المسيحية" تناولت من خلالها العقائد المسيحية، و" حالة في الفساد" وهي دراسة في تحريف النص في الكتاب المقدس، وقامت بجمع تلك البحوث وغيرها في هذا الكتاب الذي نستشهد به وهو" نظرة عن قرب في المسيحية"، وهي في هذا الكتاب تحاول إعادة النصرانية إلى نبعها الصافي كما نزلت على المسيح عليه السلام، مسترشدة بهدي القرآن الكريم.

ولما كان الأمر كذلك فلا بد لنا من تناول هذه القضية من جانبين: أولهما: علاقة القرآن الكريم بالكتب السابقة، وثانيهما: حاجة البشرية للقرآن لتصحيح هاتين الديانتين، وضرورة الاعتماد على القرآن الكريم، للوصول إلى نتائج صحيحة.

---

[1] – براون، نظرة عن قرب في المسيحية، ص(**9**، **10**).

المطلب الأول: علاقة القرآن الكريم بالكتب السماوية السابقة.

لما كانت الكتب السماوية متحدة في مصدرها فقد كان اللاحق منها يصدق السابق، ولا يغير فيه شيئا على صعيد العقيدة، حيث إن العقيدة واحدة في جميع الرسالات السماوية، وهي المعبر عنها بالإسلام، ابتداء بنوح عليه السلام: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢) ﴾[1]، مرورا بإبراهيم عليه السلام: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) ﴾[2]، وقد كان هذا الدين هو العقيدة التي وصى بها إبراهيم ويعقوب ذريتهما: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢) ﴾[3]، وقد أجابت تلك الذرية بقولها: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣) ﴾[4]، انتقالا إلى موسى عليه السلام الذي يخاطب قومه: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ (٨٤) ﴾[5]، مرورا بالحواريين الذي استجابوا لعيسى عليه السلام عندما أحس الكفر من بني إسرائيل كانت تلك عقيدتهم: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) ﴾[6]، وانتهاء بمحمد صلى الله عليه وسلم ، والذي اختصت رسالته عقيدة وشريعة باسم الإسلام، وبالجملة فقد كانت تلك العقيدة هي الجامع المشترك بين جميع أنبياء الله ورسله عليهم السلام بلا استثناء، وهي ما كان كل نبي يصدق سابقه فيها، وما كان

---

1 – يونس: ٧٢.
2 – آل عمران: ٦٧.
3 – البقرة: ١٣٢.
4 – البقرة: ١٣٣.
5 – يونس: ٨٤.
6 – آل عمران: ٥٢

كل كتاب سماوي يصدق الكتاب الذي سبقه فيها كذلك، وهذا هو شأن القرآن الكريم مع ما سبقه من الكتب، فقد جاء مصدقا لما فيها من الحق.

ولكن لما تعرضت تلك العقيدة للفساد والانحراف، ولما تسرب الخلل إلى كتب الأمم السابقة، كان لا بد من الانتقال من مقام التصديق إلى مقام الهيمنة، والسيطرة، لإحقاق الحق، وإزهاق الباطل، ومن هنا نجد بعض آيات القرآن الكريم تصف علاقة النبي ﷺ بمن سبقه من الأنبياء، وفي الوقت نفسه علاقة القرآن الكريم بما سبقه من الكتب" بالمصدق" ومن ذلك على سبيل المثال[1] قوله تعالى: ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ ﴾[2]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[3].

ولما كان كل من اليهود والنصارى مطالبين بإقامة كتبهم وتحكيمها فيما بينهم، ولما كانت الإقامة تعني الإتيان بالشيء كاملا بجميع أركانه وشروطه وما يترتب عليه من الآثار، فإن تلك الإقامة تعتبر مستحيلة بالنظر إلى حال كل من التوراة والإنجيل، حيث اختلط فيهما الغث بالسمين، والصحيح بالسقيم، ولكن دعوة القرآن لكل من صنفي أهل الكتاب ليست من باب العبث، وإنما هي دعوة جادة، والسبيل إليها هو بالنظر إلى هذين الكتابين بهدي القرآن فهو الوحيد القادر على تمييز ما فيهما من الحق، وإخراج ما فيهما من الباطل.

ومن هنا وبعد أن دعا القرآن الكريم اليهود لتحكيم التوراة فيما بينهم[4]، ودعا النصارى لتحكيم الإنجيل فيما بينهم[5]، نجده ينتقل بعلاقته بتلك الكتب من مقام التصديق فحسب إلى مقام التصديق والهيمنة: ﴿ وَأَنزَلْنَآ

---

[1] – انظر كذلك سورة البقرة: 97. وآل عمران: 3. والنساء: 47. وفاطر: 31. والأحقاف: 30.
[2] – البقرة: ٤١.
[3] – البقرة: ٩١.
[4] – المائدة: 44، 45.
[5] – المائدة: 47.

إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[1]، يقول الإمام الطبري في تفسير هيمنة القرآن على ما سبق من الكتب: (أنزلنا الكتاب الذي أنزلناه إليك، يا محمد، مصدّقًا للكتب قبله، وشهيدًا عليها أنها حق من عند الله، أمينًا عليها، حافظا لها وأصل"الهيمنة"، الحفظ والارتقاب)[2].

وعليه فالكتب السابقة قد زيد فيها ما ليس منها، فجاء القرآن الكريم ينفي تلك الزوائد، ويتحدى من يدعي وجودها: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ قُلْ فَأْتُوا بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾[3]وكتم منها، فجاء القرآن الكريم يبين ما كتم، ويعلنه للناس: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾[4]، وعليه فالقرآن الكريم هو المصدق لما في التوراة والإنجيل من الحق، وهو المهيمن عليها، ينفي عنها ما زيد عليها، ويبين للناس ما كتم منها[5]، بل ويقدم الفهم الصحيح لها.

---

[1] – المائدة: ٤٨.

[2] – الطبري، جامع البيان (**10**/ **377**).

[3] – آل عمران: ٩٣.

[4] – المائدة: ١٥.

[5] – محمد عبد الله دراز، الدين، د. ط، دار القلم، الكويت، د. ت. ن، ص(**181**). وموسى محمود طه، كشف القرآن الكريم لانحرافات أهل الكتاب وإبطالها، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس **1424**هـ **2003**م، ص(**12**). وعثمان جمعة ضميرية، الإسلام وعلاقته بالديانات الأخرى، مجلة البحوث الإسلامية، العدد(**21**)، الرياض، ربيع الاول**408**هـ، ص(**315**– **320**).

المطلب الثاني: حاجة البشرية للقرآن الكريم في دراسة ديانتي أهل الكتاب و تصحيحهما.

إن الذي دفعني لتناول هذا الموضوع في نهايات بحثي هذا أنني رأيت تسرب العقائد الوثنية عامة إلى عقائد أهل الكتاب، وعقيدة البنوة منها على وجه الخصوص قد فتح الباب على مصراعيه أمام الناقدين، بل والمتشككين لإنكار الكثير من المسلمات الدينية، والتي أجمعت على صحتها الرسالات الثلاث، بل لقد وصل الأمر في كثير من الأحيان إلى حد السخرية والاستهزاء، ومن ذلك على سبيل المثال ما جاء في كتاب" التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير" فصاحب هذا الكتاب وتحت وطأة التأثيرات الوثنية على التوراة ينكر الكثير من المسلمات، فتجده ينكر الكثير من تفاصيل قصة سيدنا آدم عليه السلام، كما ينكر العمر الطويل الذي عاشه نوح عليه السلام، وليس المقصود من هذا الكلام الدفاع عن التوراة المحرفة، وإنما هي حقائق تضمنها القرآن الكريم، وما زالت مبثوثة في التوراة على الرغم من تحريفها.

أما بالنسبة لسيدنا آدم عليه السلام فيرى المؤلف أن عرض المخلوقات على آدم ليسميها من باب الأساطير، ويقول معقبا بشيء من الاستهزاء: لا ريب أنه كان استعراضا مسليا، وإنني لعلى يقين من أن أي عالم طبيعيات لم يكن يجرؤ أن يأخذ مكان آدم في تلك الساعة[1]، وقصة الأكل من الشجرة في نظره من باب الأساطير[2]، وأما عمر سيدنا نوح الطويل فيعتبره مما لا يقبله العقل، وإنما هو من باب الأساطير والخرافات[3].

ليس هذا فحسب بل لقد وصل الأمر بالبعض إلى إنكار جميع معجزات المسيح عليه السلام، ودعا إلى إعادة كتابة تاريخه[4]، بل لقد تجاوز البعض ذلك الحد فحاول أن يثبت أن وجود المسيح لا يعدو أن يكون أسطورة من الأساطير[5]. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل تجد العدوى قد انتقلت إلى الكثير من الباحثين المسلمين، وربما أن الحماسة التي يولدها البحث في مثل هذه الأمور هي التي تدفعهم إلى ذلك، ففي تتبع الباحثين المسلمين للمظاهر

---

1 – تاكسل، التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ص(12)

2 – المرجع نفسه، ص(20).

3 – المرجع نفسه، ص(48).

4 – صاحب هذه الدعوة هو الفيلسوف ديفيد شتراوس في كتاب ألفه حول حياة المسيح. ديورانت، قصة الحضارة، المجلد الثالث، ص(592).

5 – ديورانت، قصة الحضارة، المجلد الثالث، ص(593).

الوثنية في عقائد أهل الكتاب، تجدهم يذكرون بعض المظاهر التي تعتبر من المسلمات في عقيدتنا الإسلامية دون الانتباه لذلك، من ذلك على سبيل المثال ميلاد المسيح عليه السلام من عذراء لم يمسسها بشر، فتجد بعض الباحثين المسلمين يذكرون هذه القضية على أنها من أوجه التشابه بين العقائد الوثنية من جانب والنصرانية من جانب آخر، ودون أدنى تعقيب على ذلك[1].

هذا من جانب، ومن جانب آخر تجد الباحثين في الدراسات الدينية بشكل عام يعتمدون على مصادر تحوم حولها الكثير من الشكوك، بل ربما اعتمدوا في كثير من الأحيان على مقدمات ضعيفة لا ترقى إلى مستوى الأدلة التي تبنى عليها نتائج مهمة، بل وتجدهم يصرحون بذلك[2]، ومن ذلك أنهم يعتمدون على الكتاب المقدس، وعلى الكتب الأبوكريفية، وعلى روايات تاريخية لا يعرف مدى صحتها، بل ربما اعتمدوا في الكثير من بحوثهم على الحدس والتخمين، وكل ذلك لا يرقى بحال من الأحوال إلى مستوى القرآن الكريم في صحته، ومدى موثوقية أخباره، ولكنَّهم وبدافع التعصب الأعمى تجدهم يعتمدون على تلك المصادر والمقدمات، ويعتمدون على الظن والتخمين، ويعرضون عن أصدق الحديث، وبالتالي فإنني أقول: إن عدم الاعتماد على القرآن الكريم في دراسة القضايا الخاصة بالعقائد عامة، وبعقائد أهل الكتاب خاصة يعتبر خللا في المنهج يؤدي إلى خلل في النتائج، ومما يدلل على ذلك أن التاريخ لم يخدم أهل الكتاب في تحديد أي حدث من أحداث ماضيهم تحديدا دقيقا، ولنأخذ مثالا على ذلك ميلاد السيد المسيح، فلا يوجد تاريخ محدد لذلك، فالكنيسة الكاثوليكية تحتفل به في الخامس والعشرين من شهر ديسمبر، وهو تاريخ مرتبط بعبادة ميثرا كما تقدم، والكنائس الأرمنية تحتفل به في السادس من كانون الثاني، والمعتمد عند عامة المؤرخين أن هذه التواريخ تبقى فرضيات محتملة لا غير، والتأكد منها يعتبر

---

[1] – انظر على سبيل المثال: التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص(92 وما بعدها). هذا ويمكن الرد على هذه الإشكالية من خلال توضيح الفرق ما بين طبيعة الأشخاص ما بين القرآن من جانب والنصرانية من جانب آخر، فعلى الرغم من اتحاد الشخصيات– مريم والمسيح– ما بين الجانبين، إلا أن القرآن يتناول شخصيات بشرية لم تفارق مقام البشرية في حال من الأحوال، بينما النصرانية فتتكلم عن إله ووالدة إله، وبالتالي فوجهة النظر القرآنية غير خاضعة لذلك النقد الموجه للنصرانية.

[2] – سلك هذا المنهج فرويد في كتابه موسى والتوحيد، ترجمة جورج طرابيشي، ط1، دار الطليعة، بيروت 1986. انظر على سبيل المثال المقدمات التي يستند إليها ليقول إن موسى كان مصريا. ص(17). وتبعه في ذلك كمال الصليبي في كتابيه: التوراة جاءت من جزيرة العرب والبحث عن يسوع.

من باب المستحيل[1]، بل أعود وأذكر بما توصلت إليه مدرسة هيجل وشتراوس وغيرهما من أن شخصية المسيح شخصية خرافية لا وجود لها.

يضاف إلى ما تقدم أن أهل الكتاب مطالبون وبنص القرآن الكريم لإقامة كل من التوراة والإنجيل، وتطبيق ما نزل فيهما، ومن المعروف أن هذا الأمر يقع تحت قائمة المستحيلات بالنظر إلى واقع هذين الكتابين، وفي المقابل فمن المستحيل أن تكون دعوة القرآن لذلك دعوة عبثية، وإنما هي مطالبة جادة يجب تطبيقها، ولا سبيل إلى ذلك إلا بكتاب من جنسهما، سلم مما تعرضا له من النقص والزيادة، والتحريف والتبديل، بل وثبتت سلامته عقلا وحسا، من داخله ومن خارجه، يكون مصدقا لما فيهما من الحق، مهيمنا عليهما يثبت حقهما، ويزهق باطلهما، وذلك هو القرآن الكريم، فهو القصص الحق فيما يتعلق بهاذين الكتابين، وهاتين الأمتين، وإذا كان الفيلسوف الفرنسي آرنست رينان يقول:(إن الدراسات التاريخية تثبت أن كل ما ليس له أصل في الإنجيل مقتبس من أسرار الوثنية)[2]. فإن ذلك مسلم به لو كان للإنجيل نفسه أصل ثابت، ولكن لما كانت الأناجيل، بل الكتاب المقدس بعهديه لم يصمد أمام النقد التاريخي، وأمام نقد النصوص، فإن ما قاله هذا الفيلسوف يشبه من دفن كنزه في الأرض وجعل علامة ذلك سحابة في السماء، والعبارة التي ينبغي أن تقال في هذا المقام هي:(إن كل ما نفاه القرآن الكريم عن كل من اليهودية والنصرانية فليس منهما في شيء) وهذا هو الذي ينسجم مع العقل وصحيح النقل. ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[3].

---

[1] – عرفان عبد الحميد، النصرانية، ص(16)

[2] – نايتون، الأصول الوثنية للمسيحية، ص(20)

[3] – المائدة: 48

الخاتمة

بعد أن من الله تعالى علي بإنهاء البحث في عقيدة البنوة عند أهل الكتاب وجذورها وآثارها وموقف الإسلام منها، فقد توصلت إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، وهي على النحو التالي:

أولا: تُشَكِّل نسبة الأبناء إلى الله تعالى عقيدة رئيسية من عقائد أهل الكتاب.

ثانيا: البنوة التي يزعمها اليهود لأنفسهم تجاوزت حدود البنوة المعنوية إلى بنوة مادية حسية.

ثالثا: تعددت الشخوص التي كانت محلا لهذا المعتقد، وبعبارة أخرى التي وصفت بأنها أبناء الله تعالى، فهي بنو إسرائيل، المسيح المنتظر، العزير، التوراة والشخيناه عند اليهود، وآدم والمؤمنون بالمسيح بمفهومه النصراني، والمسيح نفسه عند النصارى.

رابعا: كان لعقيدة البنوة آثار واضحة عند أهل الكتاب على المجالات التالية:

أ- على تصورهم للألوهية.

ب- على كل من اليهودية والنصرانية ونصوصهما المقدسة

ت- على علاقتهم بغيرهم.

خامسا: عقيدة البنوة عقيدة وثنية تسربت إلى كل من اليهودية والنصرانية نتيجة احتكاك أهل الكتاب بأهل الديانات الوثنية، بل لقد كان ذلك يتم في كثير من الأحيان بشكل واع ومدروس من الأحبار والرهبان؛ لتحقيق أهداف معينة.

سادسا: كان للإسلام موقف واضح تجاه نسبة الأبناء إلى الله تعالى تمثل في رفض هذه النسبة جملة وتفصيلا، وبجميع تصوراتها، سواء أكانت بنوة حسية أو بنوة معنوية، حيث إنه من متطلبات التوحيد الفصل التام ما بين مقام الألوهية ومقام العبودية، وهو ما لا يتحقق بنسبة الأبناء إلى الله تعالى.

سابعا: البشرية بحاجة ماسة للقرآن الكريم لتنقية الأديان السابقة مما علق بها من الوثنيات المختلفة، حيث إنه هو الوحيد القادر على أداء هذه المهمة، في الوقت الذي عجزت عن ذلك جميع المناهج البشرية.

<u>أما أهم التوصيات فهي:</u>

أولا: تُشَكِّل العقيدة عاملا مهما من عوامل التدافع بين أهل الكتاب من جانب والمسلمين من جانب آخر، وبالتالي لا بد من زيادة اهتمام المؤسسات التعليمية في المجتمعات الإسلامي بهذا التخصص، ولا بد أن يسير ذلك في أكثر من اتجاه:

أ- تدريس العقيدة الإسلامية وتعميقها في النفوس.

ب- تدريس عقائد أهل الكتاب للطلبة المسلمين.

ت- التركيز على تعليم اللغات المختلفة للمتخصصين في مقارنة الأديان لما لذلك الأمر من أهمية في هذا المجال.

وهو ما يجعل المسلمين أقدر على فهم خصومهم والتعامل معهم.

ثانيا: يجب على الباحثين المسلمين التركيز على تلك البحوث التي تظهر أهمية الاعتماد على القرآن الكريم في الدراسات الدينية، حيث إن عدم الاعتماد عليه يعتبر خللا في المنهج يؤدي إلى خلل في النتيجة.

ثالثا: تغيرت الظروف المعرفية، وتم اكتشاف الكثير من النصوص التي لم يكن باستطاعة علمائنا الأجلاء قديما الوصول إليها، بل وأصبح الوصول إليها أمرا ميسورا، وبالتالي فلا بد من إعادة البحث في الكثير من القضايا، ومن ذلك على سبيل المثال دراسة مخطوطات البحر الميت، حيث إنها ولغاية الآن لم تدرس دراسة إسلامية بشكل جاد.

هذا وقد حاولت الوصول بهذا البحث إلى أتم صورة، ولكنني وقبل كل شيء بشر أصيب وأخطئ، فما أصبت فيه فمن الله تعالى، وما كان غير ذلك فمن نفسي، وأسأل المولى عز وجل أن يوفقني إلى تصويبه في قابل الأيام، ولا يفوتني أن أدعو كلَّ من يقرأ هذه الرسالة إلى إفادتي بما يراه حقا، سائلا المولى عز وجل أن ينفعني بها ومن يقرأها، وأن يجعل فيها الخير للإسلام والمسلمين إنه ولي ذلك والقادر عليه.

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾ الإسراء: ١١١.

المصادر والمراجع

المصادر

1. القرآن الكريم
2. أحمد بن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق علي حسن ناصر وآخرون، ط1، دار العاصمة، الرياض 1414هـ
3. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، د. ط، دار المعرفة، بيروت 1379هـ
4. أحمد بن علي المقريزي، الخطط المقريزية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1418هـ– 1998م
5. أحمد بن محمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، د، ط، دار صادر بيروت
6. إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، د. ط، دار الجيل، بيروت، د. ت. ن.
7. إسماعيل ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي محمد، ط2، دار طيبة، المدينة المنورة، 1420هـ– 1999م
8. أفيستا، الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، ط2، إعداد خليل عبدالرحمن، روافد للثقافة والفنون، دمشق 2008م
9. التلمود الأساسي، سدر المواعيد المقدسة، ترجمة إميل عباس، ط1، مكتبة السائح، طرابلس 2005م
10. التلمود البابلي رسالة عبدة الأوثان، ترجمة نبيل فياض، الطبعة الأولى، دار الغدير، دمشق، 1991م.
11. التلمود فصول الآباء، ترجمة شمعون مويال بعنوان التلمود أصله وتسلسله وآدابه، تقديم رشاد الشامي وليلى أبو المجد، ط1، الدار الثقافية، القاهرة 1425هـ– 2004م.
12. التلمود، المشنا، القسم الأول(الزروع) ترجمة مصطفى عبد المعبود ومحمد خليفة حسن، الطبعة الأولى، مكتبة النافذة، القاهرة، 2008م
13. التلمود، المشنا، القسم الرابع(الأضرار) ترجمة مصطفى عبد المعبود ومحمد خليفة حسن، الطبعة الأولى،

مكتبة النافذة، القاهرة، 2008م

14. توما الإكويني، الخلاصة اللاهوتية، ترجمة بولس عواد، د. ط، المطبعة الأدبية، بيروت 1887م

15. جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، د. ط، دار الفكر، بيروت، 1993م.

16. جلال الدين السيوطي، الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، تحقيق محمد عبد القادر، د. ط، دار الاعتصام، القاهرة، د. ت. ن

17. الحسين بن محمد،الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد خليل عيتاني، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، 1418هـ - 1998م

18. الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، تحقيق محمد عبد الله وعثمان جمعة وسليمان مسلم، ط4، دار طيبة للنشر، المدينة المنورة 1417هـ- 1997م

19. الدسقولية(تعاليم الرسل) ترجمة مرقس داود، ط5، مكتبة المحبة، القاهرة 1979م.

20. سعد بن منصور بن كمونة، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث اليهودية المسيحية الإسلام، د. ط، دار الأنصار، القاهرة، د. ت. ن

21. شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط9، مؤسسة الرسالة، بيروت1413هـ- 1993م

22. عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، تثبيت دلائل النبوة، تحقيق عبد الكريم عثمان، د. ط، دار العربية، بيروت، د، ت، ن.

23. عبد الحق بن عطية، المحرر الوجيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1422هـ- 2001م

24. عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط1، دار صادر، بيروت 1358هـ

25. عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1415هـ- 1994م

26. علي بن أحمد بن حزم، الرد على ابن النغريلة،ورسائل أخرى، تحقيق إحسان عباس، د. ط، دار المعرفة،

القاهرة1380هـ- 1960م

27.علي بن احمد بن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

28.علي بن الأثير، الكامل في التاريخ، د. ط، دار بيروت للطباعة، بيروت 1386هـ- 1966م.

29.عمرو بن بحر الجاحظ، المختار في الرد على النصارى، تحقيق محمد الشرقاوي، ط1، دار الجيل، بيروت1411هـ- 1991م

30.عمرو بن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، ط1، دار الجيل، بيروت 1411-1991م

31.الكتاب المقدس، ترجمة سميث وفاندايك.

32.محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، الطبعة الأولى، دار ابن عفان، السعودية، 1416هـ- 1996م.

33.محمد بن احمد البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة، د. ط، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، 1377هـ- 1958م.

34.محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، د. ط، دار الفكر، بيروت 1401هـ- 1981م

35.محمد بن إسماعيل البخاري، الأدب المفرد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط3، دار البشائر، بيروت 1409هـ- 1989م

36.محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق هشام البخاري، د. ط، دار عالم الكتب، الرياض 1423هـ- 2003م

37.محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420هـ- 2000م.

38.محمد بن الطيب الباقلاني، تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م- 1426هـ

39.محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق أمير مهنا وعلي فاعود، ط6، دار المعرفة، بيروت 1417هـ- 1997م.

40.محمد بن عمر الرازي، التفسير الكبير، د. ط، دار إحياء التراث، د.ت. ن.

41. محمد بن محمد الغزالي، الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، تحقيق محمد الشرقاوي، ط3، دار الجيل، بيروت 1410هـ- 1990م.

42.محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، د، ت، ن

43.محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف، د. ط، دار المعرفة، بيروت، د. ت. ن

44.مخطوطات البحر الميت(التوراة كتابات ما بين العهدين)، تحقيق أندريه دوبون سومر ومارك فيلوننكو، ترجمة موسى ديب الخوري، الطبعة الأولى، دار الطليعة، دمشق 1998م

45.مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، د. ط، دار الفكر، بيروت 1403هـ- 1983م

46.موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، تحقيق وترجمة حسين اتاي، ط1، مكتبة الثقافة، القاهرة 1428هـ- 2007م

47.نخبة من اللاهوتيين، مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين، د. ط، د. ن، بيروت، 1869م

48.النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت، تحقيق غيزا فيرم، ترجمة سهيل زكار، الطبعة الأولى، دار قتيبة، دمشق 1426هـ- 2006م.

49.نوفل نعمة الله، ، سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان، د ط، د ن، بيروت 1876

50.ياقوت الحموي، معجم البلدان، د. ط، دار الفكر، بيروت، د. ت، ن.

51.يعقوب بن الصليبي، الدر الفريد في تفسير العهد الجديد، ترجمة عبد المسيح الدولباني، د. ط، مصر 1914م

52.يوحنا الدمشقي، المئة مقالة في الإيمان الأرثوذوكسي، ترجمة أوريانس شكور، ط2، المكتبة البولسية، لبنان 1991م

53.يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، ترجمة مرقس داود، ط2، د، ن، القاهرة 1979م.

المراجع

1. أ كوهن، التلمود، ترجمة سليم طنوس، ط 1، دار الخيال، بيروت 2005م

2. إبراهيم صبري، المسيحية بلا رتوش، د. ط، د. ن، د. م. ن، د. ت. ن

3. أحمد حجازي السقا، نقد التوراة، ط1، مكتبة النافذة، القاهرة 2005م

4. أحمد شلبي، اليهودية، ط8، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1988م.

5. أحمد عبد الوهاب، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، ط2، مكتبة وهبة، القاهرة 1408هـ– 1988م

6. أحمد علي عجيبة، دراسات في الأديان الوثنية القديمة، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة2004م

7. أحمد عمران الزاوي، كتابات من الجحيم وعقائد معجونة بالدم، ط1،دار المجد، دمشق 2001م.

8. أحمد النعيمي، يهود الدونمة، دراسات في الأصول والعقائد والمواقف، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت1415هـ– 1995م.

9. اسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة حسن حنفي، ط1، دار التنوير، بيروت 2005م

10. إسرائيل شاحاك، الديانة اليهودية وعلاقتها بغير اليهود، ترجمة حسن خضر، ط1، سينا للنشر، القاهرة1994م

11. إسرائيل شاحاك ، التاريخ اليهودي. الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة، ترجمة صالح سوداح، ط1، بيسان، بيروت 1995م

12. أسعد زروق، التلمود والصهيونية، سلسلة كتب فلسطينية 31، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث 1970م، مصر.

13. اسكندر صيفي، المنارة التاريخية في مصر الوثنية والمسيحية، د. ط، المطبعة العصرية، القاهرة، د. ت، ن.

14. إميل عباس، القبالة والسحر اليهودي، ط1، مكتبة السائح، لبنان 2005م.

15. أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الثاني، ترجمة خليل احمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1966م

16.أندريه نايتون، إدغار ويند وكارل غوستاف يونغ، الأصول الوثنية للمسيحية، ترجمة سميرة عزمي، د. ط، المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، د. م. ن، د، ت، ن.

17.البيرتو دانزول، اليهودية والغيرية غير اليهود في منظار اليهود، ترجمة ماري شهرستان، ط1، دار الأوائل، دمشق 2004م

18.أنطونيوس فكري، تفسير سفر المزامير، د. ط، كنيسة السيدة العذراء، القاهرة، د. ت. ن

19.أنطونيوس فكري، تفسير سفر صموئيل الثاني، د. ط، كنيسة السيدة العذراء، القاهرة، د. ت. ن

20.أنطونيوس فكري، تفسير سفر الخروج، د. ط، كنيسة السيدة العذراء، القاهرة، د. ت. ن

21.أنطونيوس فكري، تفسير سفر حجي، د. ط، كنيسة السيدة العذراء، القاهرة، د. ت. ن

22.أنطونيوس فكري، مقدمة عن فكر بولس الرسول عن الخلاص في المسيحية، تفسير رسالة رومية، د. ط، كنيسة السيدة العذراء، القاهرة، د. ت. ن

23.باربارا براون، نظرة عن قرب في المسيحية، ترجمة مناف حسين الياسري، د. ط، د. ن، د.م.ن، د.ت. ن

24.باول إينوك، تطور الإنجيل، ترجمة أحمد أيبك، ط1، دار قتيبة، دمشق1424هـ– 2003م.

25.بديع السيوفي، حول مسيح اليهود المنتظر، ط1، دار المعرفة، دمشق 1413هـ– 1992م

26.بسترس، كيرلس والفاخوري، حنا و البولسي، جوزيف، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، ط1، المكتبة البولسية، بيروت 2001م.

27.بسمة أحمد ، تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ، ط1، دار القلم، دمشق 1420هـ–2000م.

28.بطرس البستاني، دائرة المعارف، د. ط، دار المعرفة، بيروت، د. ت. ن.

29.بهجت الحباشنة، لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ط1، دار عماد الدين، عمان 1430هـ– 2009م.

30.بولس باسم، الأناجيل الإزائية، ط1، المكتبة المشرقية، بيروت1991م

31.بولس باسم، يوحنا الإنجيل الرسائل الرؤيا، ط1، دار المشرق، بيروت1992م

32.بولس البوشي، مقالة في التثليث والتجسد وصحة المسيحية، تحقيق سمير خليل، د. ط، المطبعة البولسية، لبنان 1983م

33.بولس حنا مسعد، همجية التعاليم الصهيونية، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت 1403هـ– 1983م.

34.بولس الفغالي، انطوان عوكر، نعمة الله الخوري و يوسف فخري، العهد الجديد ترجمة بين السطور(يوناني– عربي) ط1، الجامعة الانطونية، الدكوانة 2003م

35.بولس الفغالي، إنجيل يوحنا دراسات وتأملات، ط1، الرابطة الكتابية، بيروت 1992م

36.بيركانفييه، المسيحية في سوريا منذ البدايات حتى الإسلام، ترجمة موسى الخوري، دار أبجدية، دمشق1999م.

37.تادرس يعقوب ملطي، تفسير سفر التكوين، ط1، كنيسة الشهيد مار جرجس، القاهرة ، 1983م

38.توفيق الطويل، الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، ط1، دار الزهراء، القاهرة 1412هـ– 1991م

39.جيمس انس، علم اللاهوت النظامي، د. ط، الكنيسة الإنجيلية، القاهرة، د. ت. ن.

40.حبيب سعد، أديان العالم، د. ط، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة، د. ت. ن

41.حسني يوسف الأطير، تقويم الاعتقاد بين القرآن والنصارى الموحدين، ط1، مكتبة النافذة، القاهرة، 2005م.

42.حنا الخضري، تاريخ الفكر المسيحي، ط1، دار الثقافة، القاهرة، د.ت، ن.

43.حنانيا إلياس كساب، مجموع الشرع الكنسي، ط2، منشورات النور، بيروت 1998.

44.خريسوستمس بابادوبولس، تاريخ كنيسة أنطاكية، ترجمة استفانس حداد، د. ط، منشورات النور، بيروت 1984م

45.خليل أحمد، معجم المصطلحات الفلسفية، ط1، دار الفكر، بيروت 1995م

46.خير الدين الزركلي، الأعلام، ط4، دار العلم للملايين، بيروت 1979م.

47.دانييل باسوك، المسيحية وأساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم ، ترجمة سعد رستم، ط2، صفحات للدراسات والنشر، دمشق2007م

48.داود علي الفاضلي، أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم، د. ط، مكتبة المعارف، الرباط، د. ت، ن.

49.دونالد جوثري، التفسير الحديث للكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل لوقا، ترجمة بخيت متى، ط1، دار الثقافة المسيحية، القاهرة 1994م

50.دي روزا، التاريخ الأسود للكنيسة(خدام الرب الصفحة المظلمة للبابوية)، ترجمة آسر حطيبة، ط1، الدار المصرية للكتاب، القاهرة 1994م

51.ر. ت. فرانس، التفسير الحديث للكتاب المقدس، العهد الجديد إنجيل متى، ترجمة أديبة شكري، ط1، دار الثقافة المسيحية، القاهرة 1990م.

52.رحمت الله، إظهار الحق، تحقيق محمد ملكاوي، ط3، رئاسة إدارة البحوث العلمية، الرياض1414هـ–1994م.

53.روزنتال، ويودين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، ط6، دار الطليعة بيروت 1997م

54.روهلينج، اليهودي حسب التلمود، ترجمة يوسف حنا نصر الله ضمن كتاب الكنز المرصود في قواعد التلمود، الطبعة الثانية، بيروت، 1388هـ– 1968م.

55.روبن فايرستون، إبراهيم، ترجمة وصفي كيلاني، معهد هاريت وروبرت للتفاهم بين الأديان، د. ط، د. ن، د. م. ن.

56.زياد منى، تلفيق صورة الآخر في التلمود، ط1، قدمس للنشر والتوزيع، بيروت2002م.

57.ساجد مير، المسيحية النصرانية، د. ط، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، د. ت. ن

58.سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ط2، دار الأوائل، دمشق2005م

59.سعود الخلف، دراسات في الأدبان، ط1، مكتبة أضواء السلف، الرياض 1418هـ 1997م

60.سلطان عبد الحميد، المجامع النصرانية وأثرها في تحريف المسيحية، ط1، مطبعة الأمانة، القاهرة،

1410هـ – 1990م

61.سهيل قاشا، أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية، ط1، بيسان للنشر، بيروت 1998م

62.سيد قطب، في ظلال القرآن، الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون، دار الشروق، القاهرة 1423هـ– 2003م

63.سيغموند فرويد، موسى والتوحيد، ترجمة جورج طرابيشي، ط4، دار الطليعة بيروت 1986م.

64.شارل جنيبر، المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة عبد الحليم محمود، د. ط، المكتبة العصرية بيروت، د. ت. ن

65.شنودة الثالث، لاهوت المسيح، ط9،د. ن، د. م. ن، 2003م

66.صهيب الرومي، المسيح بين التلمود والقرآن،ط1، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت 2005م

67.طارق متري، " المسيحيون الشرقيون والإسلام" في طلال عتريسي، العلاقات الإسلامية المسيحية، ط1، مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت 1994م، ص(170).

68.ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه، ط1، دار النفائس، بيروت 1971م.

69.عبد الأحد داود، محمد ﷺ كما ورد في كتب اليهود والنصارى، ترجمة محمد فاروق الزين، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض 1418هـ– 1997م

70.عبد الرحمن باجه جي زاده. ، الفارق بين المخلوق والخالق، تحقيق عصام الحرستاني، ط1، دار عمار، عمان 1419هـ– 1998م

71.عبد الرحمن بدوي، النقد التاريخي، ط4، وكالة المطبوعات، الكويت 1981

72.عبد الرزاق محمد أسود، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، ط1، دار المسيرة، بيروت 1981م– 1401هـ .

73.عبد المجيد همو، الله أم يهوه؟ أيهما إله اليهود؟ مراجعة إسماعيل الكردي، ط1، دار الأوائل، دمشق 2003م

74.عبد المجيد همو، الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات، الطبعة الأولى، الأوائل للنشر، دمشق، 2003م.

75.عبد المجيد همو، مفاهيم تلمودية، ط1، دار الأوائل، دمشق 2003م.

76.عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، ط1، دار ابن زيدون، بيروت، د.ت.ن

77.عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية، ط1، دار الشروق، القاهرة 1999م

78.عرفان عبد الحميد، اليهودية، الطبعة الأولى، دار عمار، عمان، ودار البيارق، بيروت، 1417هـ - 1997م.

79.عرفان عبد الحميد، النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها، ط1، دار عمار، عمان 1420هـ- 2000م.

80.عوض سمعان، الله في المسيحية، د. ط، الكنيسة الإنجيلية، مصر، د. ت. ن

81.فايز فارس، حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، ط2، دار الثقافة، القاهرة، د. ت. ن

82.فراس السواح، الأسطورة والمعنى، ط1، دار علاء الدين، دمشق 1997م.

83.فراس السواح، الرحمن والشيطان، د. ط، دار علاء الدين، د. م.ن، د. ت. ن.

84.فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، ط2، دار علاء الدين، دمشق 2007م

85.فيصل عباس، موسوعة الفلاسفة، ط1، دار الفكر العربي، بيروت 1996م

86.ابن قرناس، مسيحية بولس وقسطنطين، ط1، منشورات الجمل، ألمانيا، 2008م

87.كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم، ط1، مكتبة النافذة، القاهرة 2006م

88.كمال الصليبي، البحث عن يسوع قراءة جديدة في الأناجيل، ط1، دار الشروق، عمان 1999م.

89.كيرلس الأنطواني، عصر المجامع، د. ط، د. م. ن، د. ت. ن.

90.ل. ماك. بيرتون، الإنجيل المفقود، كتاب" ك" والأصول المسيحية، ترجمة محمد الجورا، ط1، دار الكلمة، دمشق2007.

91. لانجلو، نقد التاريخ، ترجمة عبدالرحمن بدوي

92. لويس جاردية وجورج فنواتي، فلسفة الفكر الديني، ترجمة صبحي الصالح وفريد جبر، ط1، دار العلم للملايين، بيروت1967م، (2/ 287).

93. ليو تاكسل، التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ترجمة حسان ميخائيل، ط4، د. ن، بيروت 2005م

94. كنيسة السيدة العذراء بالفجالة، تفسير الأناجيل(1)، د. ط، د. م. ن، د. ت، ن

95. مارتن لوثر، اليهود وأكاذيبهم، ترجمة محمود النجيري، ط1، مكتبة النافذة، القاهرة 2007م

96. متى المسكين، الإيمان بالمسيح، ط3، مطبعة القديس أنبا مقار، د. م. ن 1993م

97. محمد أبو زهرة، مقارنة الأديان القديمة، د. ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1385هـ- 1965م

98. محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ط3، دار الفكر العربي، القاهرة، 1386هـ- 1966م.

99. محمد أحمد الحاج، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ط1، دار القلم، دمشق 1413هـ- 1992م.

100. محمد الطاهر بن عاشور، ، التحرير والتنوير، الطبعة التونسية، دار سحنون، تونس 1997م.

101. محمد جمال طحان، الخديعة الكبرى هل اليهود حقا شعب الله المختار، ط1، دار الأوائل، دمشق 2003م

102. محمد حسن مهدي، الفلسفة الإسلامية بين الأصالة والتقليد، ط1، مطبعة دار السلام الحديثة، د. م. ن، 1418هـ- 1997م

103. محمد السعدي، في كتابه حول موثوقية الأناجيل، ط1، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا1395هـ- 1986م

104. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ط2، مكتبة الرشد، الرياض1424هـ- 2003م

105. محمد بن طاهر التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، تحقيق محمد الشرقاوي، د. ط، دار الصحوة، القاهرة، د. ت.ن.

106. محمد عبد الله دراز، الدين، د. ط، دار القلم، الكويت، د. ت. ن

107. محمد عثمان صالح، النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير دراسة مقارنة حول المصطلحات والدلالات، ط1، مكتبة ابن القيم، المدينة المنورة 1410هـ- 1989م

108. محمد عطاء الرحيم، عيسى والتوحيد، ترجمة حامد محمد، د. ط، مركز الحضارة العربية، د. ت، ن.

109. محمد غلاب، الفلسفة الشرقية، ط2، مكتبة الانجلومصرية، 1950م.

110. محمد الملكاوي، بشرية المسيح ونبوة محمد، ط1، مطابع الفرزدق، الرياض 1413هـ- 1993م

111. محمد الملكاوي، تأليه مريم بنت عمران والعبادات المقدمة لها عند النصارى، مركز بحوث كلية التربية/ جامعة الملك سعود، الرياض1412هـ- 1992م

112. محمد الملكاوي، مختصر إظهار الحق، د. ط، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض 1416هـ- 1995م

113. معاذ عليان، عبادة مريم في المسيحي والظهورات المريمية، د. ط، مكتبة النافذة، القاهرة، د. ت. ن.

114. المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، تحرير إبراهيم مدكور، القاهرة 1403هـ- 1983م

115. معن زيادة، الموسوعة الفلسفية العربية، ط1، معهد الإنماء العربي، بيروت 1997م

116. مكرم مشرقي، جمان من فضة قاموس أعلام الكتاب المقدس، ط1، مكتبة الإخوة، مصر 2000م

117. ملاك محارب، دليل العهد القديم، د. ط، أبناء الأنبا رويس، القاهرة، د. ت. ن

118. منيس عبد النور، ألقاب المسيح، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1990م

119. منير البعلبكي، موسوعة المورد، دار العلم للملايين، ط1، بيروت 1993م.

120. موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة حسن خالد، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت 1411هـ- 1990م

121. نبيل فياض ونور الدين المنصوري، النصارى، ط2، دار حرمون، حمص 1998م

122. نخبة من الأساتذة التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، جمع وتعريب شركة ماستر ميديا، تحرير بروس بارتون وآخرون، د. ط، القاهرة، د. ت. ن.

123. نخبة من الأساتذة، قاموس الكتاب المقدس، ط11، دار الثقافة، القاهرة 1997م

124. نخبة من الأساتذة، دائرة المعارف الكتابية، تحرير وليم وهبة، ط1، دار الثقافة، القاهرة 1988م

125. الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، إشراف مانع الجهني، دار الندوة

126. نهاد خياطة، الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، ط2، دار الأوائل، دمشق2004م- 1425هـ

127. نور الدين عادل، مجادلة أهل الكتاب في القرآن الكريم والسنة والنبوية، ط1، مكتبة الرشد، الرياض 1428هـ- 2007م.

128. هيم ماكبي، بولس وتحريف المسيحية، ترجمة سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، د.ط، د.ت. ن.

129. ول ديورانت، قصة الحضارة، المجلد الأول، الجزء الأول، ترجمة زكي نجيب محمود، دار الجيل، بيروت1408هـ- 1988م

130. وليم باركلي، شرح بشارة يوحنا، ترجمة عزت زكي، ط2، دار الثقافة، القاهرة 1983م

131. وليم كلي، عشرون محاضرة في شرح رسائل يوحنا، ط2، بيت عنيا مركز المطبوعات المسيحية، القاهرة 1994م

132. ياسر جبر، الحذف والتجديد في العهد الجديد 170 مثال لاختلافات الحذف والإضافة بين التراجم العربية للعهد الجديد، د. ط، د. ن، د. م. ن، د. ت، ن

133. يحيى هاشم فرغل، عوامل نشأة علم الكلام، د. ط، مجمع البحوث الإسلامية، د، م، ن، 1392هـ- 1972م.

134. يوسف الحداد، القرآن دعوة نصرانية، ط2، المكتبة البولسية، بيروت 1986

المراجع الأجنبية

1. **ARTHUR S. PEAKE, A COMMENTARY ON THE BIBLE, THOMAS NELSON & SONS, NEW YORK 1920.**
2. **Barclay, Joseph: Hebrew Literature,REVISED EDITION, the colonial PRESS, London, New york 1901**
3. **Charles Guignebert, The Jewish World in the Time of Jesus**
4. **DR. GUSTAF DALMAN, JESUS CHRIST IN THE TALMUD,THE MIDRASH, ZOHAR AND LITRUGY OF THE SYNAGOGUE. CAMBRIDGE. DEIGHTON, BELL, AND CO. LONDON AND NEW YORK. GEORGE BELL& SONS 1983**
5. **James Hosmer, The Jews In Ancient, Mediaeval and Modern Times,london, T.Fisher Unwin, 26 Paternoster Square, E. C.**
6. **JAMES HASTING, DICTIONARY OF THE BIBLE, CHARLES SCRIBNERS SONS, NEW YORK 1909**
7. **King James Bible Strong,s Hebrew Dictionary**
8. **Micheal Baigent, Richard Leagh And Henry Lincoln. Holy Blood, Holy Grail. London 1982**
9. **RABBAH, MIDRASH RABBAH, EXODUS,THIRD EDITION, THE SONCINO PRESS, LONDON. NEW YORK. 1983**
10. **The Soncino Talmud. Ed. by Rabbi Dr. Isidore Epstein; fwd. by Dr. JH Hertz. Block Pub. Co. (Soncino Press) 18 vols. 1961**
11. **The New Oxford Annotated Bible with the Apocrypha, Augmented Third Edition, by Oxford univercity press 2007**
12. **RONALD. C. KIENER. THE IMAGE OF THE ISLAM IN THE ZOHAR**

الصحف والمجلات والدوريات

1. أحمد الشفيع الماحي، زرادشت والزرادشتية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية الحادية والعشرون، الرسالة(160) مجلس النشر العلمي/ جامعة الكويت

2. أرمند أودين، طبيعتا يسوع المسيح، المشرق، العدد التاسع، بيروت1932م، ص(667- 675).

3. جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة إمام عبد الفتاح، سلسلة عالم المعرفة، العدد(173)،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت

4. عثمان جمعة ضميرية، الإسلام وعلاقته بالديانات الأخرى، مجلة البحوث الإسلامية، العدد(21)، الرياض، ربيع الاول408هـ، ص(315- 320).

5. لويس ماسينيون، المسيح في الأناجيل تبعا للغزالي، مجلة الدراسات الإسلامية، باريس1932

6. ماجد عبدا لرشيد، صحيفة الأيام، السبت 2008/08/30 - 5494.

7. محمد عابد الجابري، هرقل وإثم الأريسيين وضغاطر والمقوقس، جريدة الاتحاد الإماراتية، 8 محرم 1427هـ- 7/ 2/2006م.

8. محمد عمارة، بين العصمة والازدراء، الأنبياء في القرآن والكتاب المقدس، صحيفة المصريون، مجموعة من الأعداد.

9. مونتاغيو آشلي، البدائية، ترجمة محمد عصفور، عالم المعرفة، العدد 53، مايو1982م المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

الرسائل الجامعية

1- عبدالرحمن الصمادي، موقف أبي حامد الغزالي من عقائد النصارى، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، الأردن 2000م

2- موسى محمود طه، كشف القرآن الكريم لانحرافات أهل الكتاب وإبطالها، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس 1424هـ 2003م

3- هند دخيل الله القثامي، أثر عقيدة اليهود في موقفهم من الأمم الأخرى، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية 1421هـ.

المواقع الالكترونية

1- موقع أرشيف النصوص المقدسة

http://sacred-texts.com/bib/index.htm

2- موقع الكنيسة العربية، تفسير العهد الجديد

http://www.arabchurch.com/newtestament_tafser/matew2.htm

3- موسوعة تاريخ الأقباط

http://www.coptichistory.org/new_page_391.htm

4- موقع أسرة البابا كيرلس السادس العلمية على الرابط التالي:

http://popekirillos.net/ar/fathersdictionary/read.php?id=152
3

5- موقع وزارة خارجية اليهود

http://www.altawasul.com/MFAAR/this+is+israel/jewish+religio
n/about+the+jewish+religion/

6- موقع دائرة المعارف البريطانية:

http://www.britannica.com/EBchecked/topic/537449/Shabbet
ai-Tzevi

7- موقع المكتبة اليهودية الافتراضية:

http://www.jewishvirtuallibrary.org/jsource/biography/Zvi.html

8- موقع جامعة بنسلفانيا

http://www.sas.upenn.edu/religious_studies/rak/publics/judaism/
Ezra.htm

9- موقع دائرة المعارف اليهودية

www.jewishencyclopedia.com

10- قاموس أصل الكلمات

www.etymonline.com

11- المكتبة الكلاسيكية المسيحية

http://www.ccel.org/ccel/schaff/npnf206.vii.iv.xii.html#vii.iv.xii-p32

12- موقع الموسوعة الحرة ويكيبيديا(النسخة الإنجليزية)

http://en.wikipedia.org/wiki/Ezra

13- موقع طريق الإيمان/ منتدى حراس العقيدة

http://www.imanway1.com/horras/showthread.php?t=12301

14- موقع أغنية عزرائيل

http://www.songofazrael.org/azrael- chronicles/whoisazrael.html

موقع كتاب الزوهار

https://www2.kabbalah.com/k/index.php/p=zohar/zohar&vol=49&sec=1719#15660

15- موقع الإسلام اليوم

http://islamtoday.net/bohooth/artlistn-86-935-1.htm

فهرس أطراف الآيات القرآنية الكريمة

22	كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ	93	آل عمران	22
23	إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ	62	البقرة	23، 222
24	وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ	116	المائدة	48
25	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا	6	التحريم	62، 66
26	وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا	48	المائدة	66
27	إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ	72	الأحزاب	85
28	وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ	96	البقرة	87
29	قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ	6	الجمعة	87
30	وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ	18	المائدة	87، 241
31	.... لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ	11	الشورى	92
32	لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ	181	آل عمران	112
33	وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ	138	الأعراف	117
34	وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ	64	المائدة	124
35	يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا	13	الحجرات	140
36	وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ	54	مريم	148
37	إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ	68	آل عمران	148
38	وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا	156	النساء	150
39	وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ	157	النساء	150، 157، 203،
40	فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ	27–33	مريم	151
41	وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا	12	العنكبوت	153
42	وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ	18	فاطر	153
43	وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ	34	الحج	175
44	مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ	15	الإسراء	177

45	أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ	38–41	النجم	177
46	إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن	82	يس	182
47	مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ	75	المائدة	185، 236
48	هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ	7	آل عمران	185
49	وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ	87	البقرة	207
50	وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ	57–58	الزخرف	208
51	.... لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ	6	التحريم	216
52	أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ	90	الأنعام	216
53	ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ	31	التوبة	221
54	وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ	100–101	الأنعام	229
55	قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ	68	يونس	229
56	وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا	4	الكهف	229
57	وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا (٨٨) لَّقَدْ جِئْتُمْ	88–95	مريم	230
58	مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ	91	المؤمنون	230، 250
59	تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ	1–2	الفرقان	230
60	لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ	4	الزمر	230
61	قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ	81	الزخرف	230
62	قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ (١) ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ	1–4	الإخلاص	230
63	إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ	35–37	آل عمران	232
64	فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ	155–157	النساء	233
65	لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ	17	المائدة	235
66	شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا	13	الشورى	236
67	إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ	59	آل عمران	237

68	وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ	49-50	آل عمران	238
69	إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ	110	المائدة	238
70	مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ	79-80	آل عمران	241
71	وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ	80	البقرة	242
72	ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ	24	آل عمران	242
73	وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ	111	البقرة	242
74	وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْ	135	البقرة	242
75	وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ	75	آل عمران	243
76	وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ	57	النحل	243
77	أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا	40	الإسراء	243
78	وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ	15-16	الزخرف	243
79	وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا	58-59	النحل	244
80	وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ	25	الأنبياء	252
81	إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ	92	الأنبياء	252
82	فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ	72	يونس	254
83	وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ	132	البقرة	254
84	أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ	133	البقرة	254
85	وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم	84	يونس	254
86	فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ	52	آل عمران	254
87	وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ	41	البقرة	255
88	وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ	91	البقرة	255
89	وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ	48	المائدة	255، 259
90	كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ	93	آل عمران	256
91	يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا	15	المائدة	256

فهرس أطراف الأحاديث

Abstract

This work deals with the sonship belief according to the people of the Book(Jews and Christians) its roots and effects.

This study consists of introduction, five chapter, conclusion and recommendations.

The first chapter has been divided into tow sections, the first one deals with the term ' Jews' their beliefs, Sacred texts and movements. The second one deals with the term' Christians' their beliefs, Sacred texts and movements.

The second chapter about the sonship belief in the Holy Bible, in the Old Testament and in the New Testament.

The third chapter deals with the sonship belief according to the Jews, its roots and effects.

The fourth chapter deals with the sonship belief according to the Christians, its roots and effects.

The fifth chapter deals with the attitude of Islam towards the sonship belief.

This work has reached to many results, the most important one is Moslems should study the beliefs of Jews and Christians under the light of the Qur'an, because it is the criterion through which we can measure their beliefs.

The researcher ends this study supplicating Almighty Allah to make this study useful for humanity. Glory is to be for Almighty Allah alone, the Lord of honor and power. He is absolutely free from what they ascribe him , may peace be upon the messengers and praise to Allah, the lord and creator of the worlds.